

ابن حنبل النسخي

تأليف
الدكتور فاضل صالح السامرائي

مدرس في كلية التربية — جامعة بغداد
و محاضر بكلية الدراسات الإسلامية

١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

ساعدت جامعة بغداد على نشره



ابن حنبل الخسوف

تأليف

الدكتور فاضل صالح السامرائي

مدرس في كلية التربية — جامعة بغداد

ومحاضر بكلية الدراسات الإسلامية

١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

ساعدت جامعة بغداد على نشره

طبع بمطابع

دار الفتوى

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة البحث

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على محمد
أفضل خلقه واكمل عباده وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته .

وبعد فما إن علمت طائفة من اخواني الأحبة أنني أزمعت اختيار هذا البحث
« ابن جني النحوي » ليكون موضوع رسالتي للماجستير حتى انطلقت ألسنتهم
بالنصح لي بأن أترك هذا الموضوع « الشائك » ! ولقد نصح لي غير واحد بأن
أغيره مع أنني امضيت في بحثه مدة طويلة . وحجتهم في ذلك أنه موضوع شائك
وان ابا الفتح لم يشتهر بالنحو وانما كان مشهوراً باللغة . غير أنني كنت منذ نعومة
أظفاري محباً للنحو شديد التعاق به أحس بهصلة عميقة وثيقة بيني وبينه من دون
سائر الموضوعات ، وكنت محباً لأبي الفتح وكنت وانا أقرأ في كتبه والمنقول منها
أحس بسعة عقله وبراعته في التعليل والتحليل فيزداد حبي له وأعجابي به ، ولذا
صممت على المضي في هذا البحث واستخلاص منهج أبي الفتح النحوي مهما
كلفني ذلك من مشقة . وكنت ايضاً أرى بحوثه النحوية ونظراته في النحو مبنوثة
في كثير مما يكتب فأقول : لم لا يستخلص منهجه النحوي وقد كتب في النحو
وألف في أصوله وبحث فيه ؟

وشكرت لاخواني حرصهم على نصحي واخلاصهم لي وقدرت صدق
مودتهم اياي الا انني مضيت على ما انتويت فكان الذي بين يديك والحمد لله .

ان البحث - كما ترى - ينقسم الى ثمانية أبواب مع مقدمة وخاتمة فالباب الاول يشمل عصره وبلده ونسبه ونشأته وأخلاقه ووجهته وأسرته ووفاته .

والباب الثاني يشمل ثقافته وشيوخه وركزت القول خاصة في ذكر شيخه الذي اثر فيه تأثيراً كبيراً أعني أبا علي الفارسي وذكرت وجوه أثره فيه . ثم ذكرت علاقته الأدبية بالمتنبي وشرحه لديوانه .

وقد اشتمل اعتزاله والاجابة عن سؤالين هما : هل كان شيعياً ؟ وهل كان شعوبياً ؟

ثم ذكرت فيه مكانته العلمية وأدبه وعلمه وما يؤخذ عليه من هنات يسيرة . ويشمل كذلك هذا الباب تلامذته وآثاره وقيمتها العلمية .

أما الباب الثالث فانه يشمل التطور النحوي من أوليته الى عصره، ووصف عصره من حيث فساد الالسنه ووجود بقية فصحاء فيه ، وأشهر النحويين في زمنه ودراساته في اللغة والأصوات والتصريف والنحو .

ويشمل بحث الشواهد وأعني بها القرآن الكريم ، وموقفه من القراءات ، والحديث النبوي والاستشهاد به، وكلام العرب من شعر ونثر والمولدين والاستشهاد بشعرهم في المعاني .

أما الباب الرابع فهو بحث في مجهوده في أصول النحو، ويشمل أصول النحو وتعريفاً به وجهوده فيه وأثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث فيه . كما يشمل أدلة الصناعة : السماع (النقل) والقياس والاجماع وعدم النظر والحمل على الظاهر واستصحاب الحال واستدلالات اخرى .

كما يشمل بحثاً في العلل وكلامه فيها ، وهل كانت العرب تلاحظ العلل ؟ وما لاحظته العرب من العلل في كلامها .

أما الباب الخامس فإنه يشمل بحثين : علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو ،
والعامل عند أبي الفتح وموقفه منه .

والباب السادس بحث في عقلية أبي الفتح ونهجه في كتبه وبحثه وعقدت فيه
موازنة مقتضبة بينه وبين ابن هشام وبينه وبين ابن مضاء القرطبي .

وبحثت في الباب السابع مذهب النحوي وهو يشمل الاختلاف في مذهبه
النحوي ، والمدرسة البغدادية ، وهل كان أبو الفتح بغدادياً ؟ واتبعت في اثبات
مذهبه النحوي خطوات أربعاً :

أسس المدرسة التي يتبعها في بحثه ، واصطلاحاته النحوية ، ومع من يعد
نفسه ؟ ونماذج من دراساته في المسائل الخلافية .

أما الباب الثامن فإنه يشمل نماذج من دراساته النحوية ، ونماذج من اعرابه
ومبادئه وأقوالاً عامة في اللغة والنحو والأصول .

ونماذج من آرائه النحوية مما خالف فيه الجمهور وما خالف فيه سيبويه
خاصة وما خالف فيه شيخه أبا علي الفارسي وما وافقه فيه ، وما وافق فيه الكوفيين
واجتهاداته الخاصة . وفي هذا الباب نلاحظ آراء نحوية نسبت إليه وهما في مغني
الليث وشرح الاشموني وجمع الهوامع واثبتنا الصواب فيها .

هذا عرض موجز لطريقة البحث التي اتبعتها في رسالتي هذه ، وقد تلاحظ
انني أكرر النص أحياناً مرة أو أكثر منها فقد يكون للنص أكثر من دلالة اذكرها
في موضعها فلا أكتفي بالاحالة على النص الذي سبق بل انقله ليكون حاضرأبازاء
العين فلا يسأم القارئ من مراجعة النص المار الذكر ، كما ان حضوره أدعى الى
التأمل والربط بين الدلالة والنص وأيسر على القارئ ، وأحياناً اكتفي بالاشارة الى
النص وذلك حين لا أرى ان هناك داعياً قوياً يدعو الى اعادة النص مرة اخرى
فأستخلص فكرته .

وفي الختام آتمنى أن أكون قد وفقت لرسم منهج أبي الفتح النحوي وتقديم
صورة واضحة له .

ولا يفوتني أن أقدم غاية التقدير لأستاذنا الجليل الدكتور مصطفى جواد الذي
كان يتحفني بتوجيهاته السديدة المواصلة ونظراته الصائبة :
كما أشكر لجميع الذين اعانوني عونهم وأسعدوا الي جميلا فيه

والحمد لله في البدء والختام

فاضل صالح السامرائي

المحرم الحرام ١٣٨٤ هـ

مايس ١٩٦٤ م

الباب الأول

عصره ونشأته

لمحة تاريخية —

الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

في هذا القرن — اعني القرن الرابع الهجري — أصيب العالم الاسلامي بانقسام كبير حتى كأنه عقد انفراط أو صخرة تفتتت (١) ونشأت فيه دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض وقد تم ذلك في حدود سنة ٣٢٤ هـ « ٩٣٥ م » (٢) وقد تغلب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها فصارت فارس والري واصبهان وهمدان في ايدي بني بويه ، وكرمان في يد محمد بن الياص ، والمغرب وافريقية في يد الفاطميين وخراسان في يد نصر بن احمد الساماني ، والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم (٣) ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في ايدي بني حمدان « ٣١٧ — ٣٩٤ » ومصر والشام في يد ابن (طفج) (٤) الاخشيدي وهو من موالي آل طولون (٥) ولم يبق في يد الخليفة الا بغداد وأعمالها (٦) .

(١) ظهر الاسلام ج ٢ / ١

(٢) الحضارة الاسلامية (لآدم متز ١ ص ١)

(٣) المصدر السابق

(٤) الفخري ٢٤٧ ، الكامل لابن الاثير سنة ٣٢٤ هـ ابو هلي الفارسي ص ٣١

(٥) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية — الدولة العباسية — للشيخ محمد الخضرى

بك ص ٣٦٧

(٦) متز ج ١ ص ١

وكان أغلب هؤلاء يعترفون بالسيادة العليا للخليفة من الناحية النظرية الدينية ويقومون له بالدعاء في المساجد (١) أما في واقع الامر فليس له إلا أن يمنح لقباً (٢) أو ان يوافق مكرهاً على أمر اذ فقد الحرية في غالب أمره وخصوصاً في زمن البويهيين (وقد دخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ) وكان البويهيون مطلقي التصرف ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاص الخلفاء وانتقاص حقوقهم ، فحين دخل معز الدولة أحمد بن بويه (٣٣٤-٣٥٦هـ) على الخليفة (*) أخذت عليه البيعة للمستكفي واستحلف له بأغلظ الايمان ولخواصه وحلف المستكفي له ولاخويه عماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه وكتب بذلك كتاباً ووقعت فيه الشهادة عليهما (٣) حتى ان معز الدولة فكر في ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية ولكنه عدل عن ذلك لما قد يعرض لسلطانه من خطر بسبب وجود الخلافة العلوية التي يعطيها الجند ويعترف بها الديلم ، ويكثرون أداة في يد الخليفة يستغلها المصالحته

(١) فالقراطة كانوا يخطبون باسم المهدي - محاضرات تأريخ الامم الاسلامية - الخصري ص ٣٧٩ والظاهر ان المقصود بالمهدي هذا هو عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وعبيدالله المهدي ظهر في شمال أفريقيا وملك المغرب ، وكان من الاسماعيلية القرامطة وقد مات سنة ٣٢٢هـ

- لاحظ كتاب المذاهب الاسلامية - لمحمد أحمد أبو زهرة ص ٨٩-٩٠
وتأريخ الاسلام السياسي - لحسن ابراهيم ج ٣/١٤٤-١٤٦ والملل والنحل
لشهرستاني ج ١/٣٣٠-٣٣٣

(٢) منزج ١ ص ١

(٣) المنتظم ٦/٣٤٠ دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص ٢٤٧ .

(*) المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)

متى شاء (١) وذكر ابن الاثير (٢) ان معز الدولة أهان الخليفة المستكفي وقبض عليه وسمل عينيه واجلس المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ) على عرش الخلافة واطلق له الف درهم في اليوم ثم قطع ذلك الراتب النقدي بعد أن فتح البصرة وعين له اقطاعات يسيرة يعيش منها ورتب له كتابا يتصرف بشؤونها (٣) .

وكثر الخلع والسمل في خلفاء هذا القرن فقد بويع القاهر محمد بن المعتضد بالله أحمد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام (٤) . والمتقي لله وهو أبو اسحاق ابراهيم ابن المقتدر بويع لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة (٥) .

وبويع المستكفي بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة وخلع في شعبان سنة أربع وثلثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر (٦) وسملت عيناه (٧) .

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلثين وثلثمائة ، وقيل انه بويع في جمادي الاولى من هذه السنة وغلب على الاسر ابن بويه الديلمي غلبة تامة والمطيع في يده لا أمر له ولا نهى

(١) تأريخ الاسلام السياسي - للدكتور حسن ابراهيم ٤٤/٣

(٢) ابن الاثير ١٦٢/٨

(٣) تأريخ الاسلام السياسي ٤٤/٣

(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤ / ٣١٢

(٥) مروج الذهب ٤ / ٣٣٩

(٦) المرجع السابق ٤ / ٢٥٥

(٧) ابن الاثير ١٦٢/٨

ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر (١) . وصادر القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ) أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس ، وأفسد الوزير ابن مقلة قلوب الجند على القاهر وزين لهم الوثوب حتى هجموا عليه وخلعوه وسملوه حتى سالت عيناه الى خديه ثم حبس وافر ج عنه حتى بلغ به الحال أن وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس (٢) (٥) .

وذكر المسعودي أنه أضرب صفحاً عن وصف اخلاق طائفة من الخفاء لانهم كانوا كالمولى عليهم لا أمر ينفذ لهم (٣) .

وذكر ابن طباطبا المتقي لله قال : واضطربت عليه الامور واستولى عليه رجل من امراء الديلم يقال له توزون فهرب المتقي ومعه ابنه الى الموصل خوفاً على نفسه من حرب بغداد . ثم جرى عليه من القهر والسمل ما أثرناه آنفاً .

وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وأخذ ما كان فيها (٤)

وذكر هذا المؤرخ المستكنفي قائلاً : ثم اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال اليهم

(١) مروج الذهب ٣٧٢/٤ ، وانظر كتاب الوزراء للصائبي

وكتاب أخبار الرازي بالله والمتقي لله للصولي

(٢) الفخري ص ٢٣٠ عن (أبو علي الفارسي) للشابي ص ٣٠

(٥) ذكر السيوطي ان الخلافة ضعف أمرها في هذا الوقت وتغاب امراء الاطراف وبطل معنى الوزارة وصارت الدنيا في أيدي عمالها - المختار من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ص ١٤٦ سنة ٥٣٢٣هـ .

(٣) التنبيه والاشراف ص ٣٤٦

(٤) الفخري ص ٢٥٤

وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجانهم (١)

ووصف البيروني موقف الخلفاء العباسيين من سلاطين بني بويه في هذه العبارة فقال وان الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في أيدي الدولة العباسية انما هو أمر ديني اعتقادي لا ملك دنيائي فالقائم من ولد العباس الآن [يعني في عهد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ] انما هو رئيس الاسلام لا ملك (٢)

وقد ساءت الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مساء بالغة اذ استهل هذا القرن بفتن أثارها القرامطة على أبواب بغداد وانتهت هذه الفتن بالاستيلاء على مكة سنة ٩٣٠م (١) (٣١٩هـ) . وذكر المسعودي في (التنبيه والاشراف) في أيام الرازي (٣٢٢-٣٢٩هـ) مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الاحساء لا اعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة ٣٢٢هـ (٤) .

وفي سنة ٣٣٣هـ بعد دخول أبي الحسن البريدي بغداد ، انتهت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهدك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف رجل وقيل اكثر من ذلك (٥) .

وقد وصف الصولي حالة بغداد في الوقت الذي تقلد فيه بحكم إمرة الأمراء (٣٢٧-٣٢٩) فقال : ان العامة عاثوا في الأرض فسادا وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها وكثرت المصادرات وتفاقم شر اللصوص الذين تسلمحوا بالعدد لكبس الدور ليلا وشكا الناس من غير جدوى الى بحكم ما أحله بهم أصحابه

(١) الفخري ص ٢٥٨

(٢) الآثار الباقية ص ١٣٢ وانظر تأريخ الاسلام - لحسن ابراهيم ٢٤٨/٣

(٣) اطللس التاريخ الاسلامي ص ١٢

(٤) التنبيه والاشراف ص ٣٣٧

(٥) المصدر السابق ص ٣٤٤

من بلاء وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت احوال العراق .

وصفوة القول أن حالة الدولة العباسية أصبحت من الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة الراضي من دفع أرزاق الجند ولا من الحصول على مايكفيه . وفكر الخليفة في الاستنجاد بأبي عبدالله الحسن البريدي . [١] وظلت الحال على ذلك حتى توفي الراضي سنة ٣٢٩هـ . وفي هذا العصر يصف المقدسي بغداد فيقول انها كانت احسن شيء للمسلمين واجل بلد وفوق ماوصفنا حتى ضعف امر الخلافة فاختلفت وخف اهلها فأما المدينة [٢] فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بهـ ذلك الخراب ... وهي في كل يوم الى ورآ وأخشى انها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان . [٣]

على ان حال بغداد في سنة الحمدانيين ٣٣٠-٣٣١هـ الذين عرفوا بتشجيع الأدباء والشعراء بعطاياهم لم تكن احسن منها في عهد من سبقتهم من أمراء الأمراء فقد «كثرت المتلصصة ببغداد وكبست دور المياسير وخرج الناس عن بغداد هاربين الى كل وجه على انسداد طرقهم ولو أمنوا لخرج اضعااف من خرج ... وغلت الأسعار في جمادى الآخرة غلاء عظيما ، ومات الناس جوعا ووقع فيهم البلاء فكانوا يبقون على الطريق اياما لا يدفنون حتى اكلت الكلاب بعضهم» [٤]

ولعل البلاد ذاقت بعض الرفاهية على يد عضد الدولة [٣٧٢هـ] فقد كان أقدر البويهيين الذين حكموا العراق وابعدهم نظرا في السياسية والادارة [٥]. وكان

(١) الأوراق للصولي ١٣٣/٢-١٣٥ وانظر [تاريخ الاسلام ٢٨/٣]

(٢) يعني مدينة المنصور بالجانب الغربي

(٣) أحسن التقاسيم ص ١٢٠

(٤) الصولي ٢٣٤-٢٣٧ ، كتاب حسن ابراهيم ص ٣١

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة - للدوري ص ٢٦٨

عُهد الدولة دون سائر اعضاء أسرته هو الذي يمثل السيد الحاكم تمثيلاً حقيقياً وقد خضعت لسلطانه في آخر أمره البلاد الممتدة من بحر الخزر الى كرمان و عمان، وكان مهيباً يعنى بنقل الأخبار واعتنى بالعمران وأعاد كثيراً من بناء المساجد وأقام للحجاج السواقي في الطريق واحتفر لهم الابار وأعاد عمارة بستان عرصة دار العباس ابن الحسين وغيره فامتلأت الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار وطهر السبل من اللصوص . [١]

وفي آخر ايامه احدث رسوماً جائرة وزاد الرسوم القديمة وكان يتوصل الى أخذ المال بكل طريق [٢] .

وبعض الحكام كان يستعمل العنف في جباية المكوس وفي مال الخراج . الى غير ذلك من وسائل ظالمة . حتى ان صمصام الدولة أراد سنة ٣٧٥هـ أن يفرض ضريبة قدرها عشر الثمن على الشباب الحرير فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلاء يفتن فاعفوا من ذلك ، ولم يقتصروا في الضرائب على الكماليات بل أرادوا ان يفرضوها على الضروريات كالمالح .. وكان « الشطار » يفرضون ضرائب معينة على البيوت فمن لا يدفعها يهاجم ويؤخذ ماله [٣] .

الحالة العلمية

ان هذا التردى البليغ الذي ذكرنا طرفاً منه في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم يؤثر في الحالة العلمية كذلك التأثير بل ربما كان العكس هو

(١) انظر متن من ٣٣-٣٥ وانظر كتاب الاذكياء لابن الجوزي

(٢) ابن الاثير ٩/١٦

(٣) ظهر الاسلام ٢/١٠

الصحيح « فالمملكة الاسلامية في هذا القرن كانت أعلى شأنًا في العلم من القرون التي كانت قبله » [١] .

ان تفتت هذه الوحدة ووجود امارات وعواصم متعددة ادبا الى نعش الناحية العلمية في أكثر من مكان ، فبينما كانت بغداد موئل العلماء وكعبة القصاص منهم اذا نحن نرى مراكز علمية في حلب وشيراز وغيرهما فكانت هذه الامارات « تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والادباء » [٢] وبعد أن كانت البصرة والكوفة أهم مراكز العلم والثقافة تعددت العواصم الثقافية وأصبحت شيراز والري وأصبهان ودينور وهمدان وبخارى ونيسابور وسمرقند وجرجان وحلب والقاهرة من أهم المراكز بجانب تلك . ووجدنا من العلماء من ينسب الى هذه البلاد أو غيرها ففيهم الامدي والابوردي والاسترابادي والانطاكي والبستي والبسطامي والسجزي والشهرستاني والطالقاني والعسكري والفارابي والكرماني والهروي والفسوي وغير أولئك [٣] .

واصبح الذين ينشدون المال والشهرة يجدونهما في أكثر من موطن ، وهذا جعل كثيراً من العلماء ينعمون في ظل التفرد أكثر مما كانوا ينعمون في ظل الوحدة (٤) . وتم في هذا العصر امتزاج الثقافات فهؤلاء الفرس والهنود يتثقفون الثقافة العربية وينتجون فيها وهؤلاء وثنيو حران والسريانيون يغرقون البلاد بالثقافة اليونانية . وهؤلاء الخلفاء يشجعون الطب والتنجم اولا لحاجتهم اليهما ثم ينفذ العلماء منهما الى ابواب الفلسفة الاخرى من طبيعيات ورياضيات والهيئات . . .

(١) ظهر الاسلام ٢/٢

(٢) المصدر السابق ٢/٢

(٣) وفيات الاعيان ج ١/٦١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١٣٤

(٤) ظهر الاسلام ٢/٢

ويقتبس علماء كل علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك (١) .

وقد غني بالكتب وجمعها الى درجة فائقة فكان الامراء والادباء والعلماء يجمعون عشرات الوف من الكتب وقد وصف المقدسي خزانة الكتب التي كانت في دار عضد الدولة بانها «حجرة على حدة عليها وكيبل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقت عضد الدولة من انواع العلوم الا وحصله فيها . وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق عليها ابواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها اسامي الكتب ولا يدخلها الا كل وجيه (٢) .

وفي سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٧ م) صودر حبشي بن معز الدولة لانه اراد عصيان اخيه امير بغداد فكان من جملة ما اخذ منه خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء وماليس بمجلد (٣) .

وفي سنة ٣٥٥ هـ نهب قوم من الغزاة دار ابي الفضل بن العميد بالري وكان يخشى على دفاتره وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر غير انها سلمت فسري عنه مع كل ما فقد ولم يبق غيرها (٤) .
وان كتب الصاحب بن عباد تحمل على اربعمائة جمل أو اكثر وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات (٥)

(١) ظهر الاسلام ١١/٢

(٢) احسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٤٩ ، وانظر متر ص ٢٤٤

(٣) تجارب الامم لمسكويه ج ٦/٢٤٦ سنة ٣٧٥ هـ

(٤) تجارب الامم لمسكويه ٦/٢٨٦

(٥) ياقوت ٢/٣١٥ متر ، ص ٢٤٦

هذا زيادة على دور الكتب والمؤسسات العلمية التي انشئت في كثير من المدن
كالبصرة والموصل ونيسابور ورام هرmez وغيرها (١)

وبرزت في هــ هذا القرن أسماء لامعة في شتى ميادين العلم والادب كالطبري
والمقنبي والفارابي والاصفهاني وابن النديم وابي الوفاء الفلكي والرياضي والجراح
ابي القاسم والاشعري (٢) وبرز فيه اعلام الادب والعربية والفن كالصاحب بن
عباد وبديع الزمان الهمداني وابن العميد وابي هلال العسكري والازهري صاحب
التهذيب وابن فارس صاحب المعجم وابي علي القالي صاحب الامالي والجوهري
صاحب الصحاح وابن خالويه وابي فراس الحمداني وكشاجم والسري الرفاء
والشريف الرضي والسلامي والواواء الدمشقي (٣) وابن دريد صاحب الجمهرة ، كما
نبغ في هذا العصر ابو اسحاق الزجاج وابو بكر محمد بن السري السراج وابو بكر
محمد بن القاسم الانباري الذي كان يقول « احفظ ثلاثة عشر صندوقاً وابو القاسم
الزجاجي وابوسعيد السيرافي وابو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وابن جني (٤)
وابراهيم الفارابي مؤلف ديوان الادب وغيرهم وغيرهم .

نرى من هذا الاستعراض العاجل ان هــ هذا القرن حاشد بأبرز رجال العلم
والادب والفن وان الناحية العلمية قد تطورت تطوراً بعيداً وخطت خطوات
واسعة على عكس ما شاهدناه في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي
تردت تردياً بالغاً كما مر بنا آنفاً .

الحالة الدينية :

في مطلع هــ هذا القرن نكصت حركة الاعتزال التي ازدهرت في العصر

(١) ياقوت ٢/٤٢٠ ، المقدسي ص ٤١٣ وانظر متر ص ٢٤٩

(٢) اطلس التاريخ الاسلامي « القرن الرابع الهجري ص ١٢ »

(٣) مجلة المقتطف . مجلد ١١١ ج ٣/١٥٤

(٤) مجلة المجمع العالمي العربي مجلد ٢٨ ج ٤/٣٦٥ مقالة الدكتور محمد اسعد طلس

العباسي الاول وكان لظهور أبي الحسن الاشعري الذي كان معتزلياً أول أمره ثم خرج عليهم بعد أن تسليح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها والتي حاربهم بها بقية حياته أثر كبير في هذا النكوص وكان للكتب التي ألفها شأن كبير في رد المعتزلة بعد أن كانوا رفعوا رؤوسهم فجحروهم الاشعري في اقناع السماسم (١) .

قال الدكتور حسن ابراهيم « أما انتصار مذهب أهل السنة فقد توج بظهور أبي الحسن الاشعري ذلك انه لم يكذب بمضي اثنا عشر عاماً على موت المتوكل حتى ولد سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) ذلك الرجل الذي تربى في أحضان مذهب المعتزلة ثم رفض تعاليمهم في الأربعين من عمره بعد أن تسليح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها وحاربهم بها بقية حياته وحمل على آرائهم حملة كتب لها التوفيق والنجاح... » (٢) ولا شك ان سلطان المعتزلة أخذ يضعف ويضمحل منذ مجيء المتوكل الى الخلافة اذ أظهر أمر السنة والجماعة وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث (٣) .

وكان لثبات الامام أحمد بن حنبل امام ما سمي بفتنة القول بخلق القرآن ثباتاً منقطع النظير أثر عظيم في نفوس الناس وأثارت فتنة التعذيب والتسلط وارغام العلماء على القول بخلق القرآن رد فعل عنيف بحيث لم يجرؤ أحد على أن يظهر الكلام في الاعتزال (٤) فيما بعد .

وكان الخلفاء العباسيون في الاعم الاغلب من أهل السنة الذين يقاومون الاعتزال . وقد تدخل القادر بالله في أمر العقائد (٥) فعمل كتاباً « فيه الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد في كتابه

(١) وفيات الاعيان ٢/٤٤٧

(٢) تاريخ الاسلام ٣/٢١٨

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤/٣٧

(٤) الشلبي عن ابن زولاق ص ١٨ ومجلة مجمع اللغة العربية ج ٨/١٤٤ لابراهيم

مصطفى .

(٥) دراسات في العصور العباسية المتأخرة للدوري ص ٢٥٥

فضائل عمر بن عبدالعزيز وأفكار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي وبحضر الناس سماعه (١) . وكتب كتاباً قرأه على الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة والطعن على المعتزلة (٢) .

وكان أكثر أهل بغداد سنيين يحترمون الشيخين عثمان وعلياً ، فلما جاء البويهيون شجعوا التشيع ورسوموا للناس مراسم ينوحون فيها ويلطمون وجوههم يوم عاشوراء (٣) . ويبتهجون باظهار الزينة واشغال النيران بعيد الغدير غدیر خم (٤) . وكان البويهيون شيعة زيدية (٥) لا يعترفون بحق العباسيين لحكم العالم الاسلامي (٦) . وأراد معز الدولة ازالة الخلافة العباسية واقامة خلافة علوية مكانها ولكنه عدل عن ذلك لاعتبارات سياسية (٧) .

وخلاصة القول انه « كما تقاسمت المملكة الاسلامية العناصر الجنسية المختلفة كذلك تقاسمتها المذاهب والطوائف الاسلامية المختلفة » (٨) .

الموصل - بلده

حالاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية :

قال المقدسي وهو من أهل القرن الرابع للهجرة ، الموصل « بلد جليل حسن

(١) المنتظم ٦١/٧ ، ١٠٩/٨

(٢) المنتظم ٤٢/٨

(٣) المنتظم ١٥/٧

(٤) الكامل ١٧/٧

(٥) ابن حنبل ص ٣٢- الدوري ٢٤٧

(٦) ابن الاثير ١٤٩/٧ وانظر ١٦٢/٨

(٧) حسن ابراهيم ٤٤/٣ ، الدوري ٢٤٧

(٨) ظهر الاسلام ٧٤/١

البناء طيب الهواء صحيح الماء كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من اسناد عال وفقه مذكور» (١)، إلا أن هذا البلد الجليل لم يكن حظه في هذا القرن أحسن من غيره، فقد كانت الفتن واضطراب حبل الامن وتردي الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تختلف فيه عن غيره. فقد توالى عليه الفتن فخربت المساجد وهدمت الاسواق والقصور والدور وهجرها كثير من رجال الادب الى غيرها طلباً للطمأنينة والسكينة أو الرزق والرفاهية. وقلما خلت سنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية. ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين الاساكفة واحترق سوق الاساكفة بما فيه، وكان الوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فرجع ليوقع بالثائرين فحصنوا البلد وسدوا الدروب، فلما رأى ذلك ترك قتالهم وأمر من التف حوله من اعراب البادية أن يخبروا الاعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر الى الخليفة فعزله. وفي سنة ٣٠٧ أيضاً ثارت فتنة كبيرة بين الموصلين والاكراذ الماردينية ولم تهدأ حتى ارسل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكينة الى ربوعها. وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية واهل المربعة والبرزازين - ثم انضم اليهم الاساكفة - وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الاثير واجترأ أهل الشر وتعاهد أصحاب الخلقان والاساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الاساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبدالله الحمداني ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفوا ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فاصالحوا بينهم (٢).

وكان هذا الاقليم في يد الحمدانيين في سنة ٢٩٢ هـ وليها الامير ابو الهيجاء

(١) أحسن التقاسيم - المقدسي ١٣٨

(٢) ابو الفتح بن جني - مقالة للدكتور محمد اسعد طلس - مجلة المجمع العلمي

العربي المجلد ٣٠ ج ٣ / ٤٤٠ - ٤٤٥

عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي بأمر الخليفة المكتفي بالله علي العباسي
واقام بها الى سنة ٣١٦ . . . وولي ولده الموصل ناصر الدولة حسن بن ابي
الهيضاء (١) (٣١٧ - ٣٥٨ هـ) .

ويذكر بروكلمان عهده قائلا « الحق ان عهده كان اسوأ مثل للاستبداد
الشرقي . ذلك بأن الضرائب الباهضة التي انقضت ظهور افراد رعيته عجزت عن
اشباع مطامعه فوجه همته نحو ضم الكثرة العظمى من اراضي البلاد الى ممتلكاته
الخاصة » (٢)

اما الحالة العلمية فيها فقد ازدهرت كما ازدهرت في سائر الامارات الاسلامية
ونبغ فيها جمهرة من كبار العلماء والشعراء والادباء والمصنفين وخاصة في زمن
بني حمدان الذين كانوا يجودون بالمال الوفير للشعراء والادباء والعلماء واشهرهم في
ذلك سيف الدولة ابو الحسن علي (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ) الذي كان قصره ملتحق الادباء
ومنتدى العلماء والشعراء كالمعتبي شاعر عصره الفريد والفارابي الفيلسوف والموسيقى
البارع والاصنفهاني الذي قدم له كتابه الشهير فأعطاه جائزة عليه الف دينار
واعتذر اليه .

كما جمعت الموصل في عهد هؤلاء نخبة صالحة من كبار الادباء امثال السري
الرفاء (- ٣٦٦ هـ) والاخوين الشاعرين المعروفين بالخالدين (٣) والاديب الشاعر

(١) منية الادباء في تاريخ الموصل الحذباء ص ٤٠

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ٣ / ٨٩

(٣) هما ابو بكر محمد بن هاشم بن وعل بن عرام بن يزيد واخوه ابو عثمان سعيد بن
هاشم من بني عبد القيس وهما من سكان الخالدية وهي قرية من اعمال الموصل
« معجم البلدان - الخالدية ، معجم الادباء ٤ / ٢٣٧ ، يتيمة الدهر ١ / ٤٧٤ عن مقالة

الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢ / ٢٩٣

العالم المصنف الطبيب ابو الفتح كشاجم (١) محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي الموصللي وكان من كبار ائمة الادب والشعر والفلك والتصنيف وذكر عنه انه كان من اعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ، والشاعر ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي النصيبي المشهور بالبغواء (المتوفى سنة ٣٩٨) ، والامام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى التميمي الموصللي وهو صاحب المسند المعروف به ، والجغرافي البلداني الاشهر ابو القاسم محمد بن علي ابن حوقل الموصللي البغدادي وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان واصول التجارة ، والطبيب الفيلسوف الفقيه ابو جعفر احمد بن ابي الاشعث (المتوفى سنة ٣٦٥) ، والاديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش ، والشاعر الاديب الفحل ابو الحسن السلامي واضرابهم (٢) .

هذا اضافة الى المؤسسات العلمية وخزائن الكتب التي انشئت فيها كما انشئت في غيرها من البلدان (٣) كما ذكرنا .

في هذا العصر وفي هذا البلد ولد صاحبنا ابو الفتح بن جني ونشأ

اسمه ونسبه

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي ولا يذكر المترجمون له نسباً من وراء هذا ، وكان ابوه « جني » مملوكاً رومياً سلبان بن فهد بن احمد الأزدي الموصللي (٤) وقال ابو بكر المصحفي « قال لي ابو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني - رحمه الله - جني -

(١) لقب انتزعه لنفسه من الاحرف الخمسة الاولى من كلمات (كاتب ، شاعر اديب ، جواد ، مصنف) وربما اضيف اليها كلمة طبيب « شذرات الذهب

٨٣/٣ ، مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢ / ٢٩٦

(٢) مقالة الدكتور محمد اسعد طلس مجلد ٣١ ج ٢ / ٢٩٢ - ٣٠١

(٣) الحضارة الاسلامية - لمتز ٢٤٨

(٤) نزهة الالباء ص ٢٢٨ ، المنتظم ٧/٢٢٠

والد عثمان - رجل تركي جندي شتم الوجه وحشي الصورة لاعلم عنده ولا فهم
وانجب بابنه عثمان وكان عثمان اشقر اعور في صورته بعض التركية . (١)

و«جني» بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها (٢) وسكون الباء (٣) علم رومي
وهو معرب كني (٤) او معرب جنايس (٥) وجني تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة
للفظ اليوناني (Gennaius) ومعناها كريم ، نبيل ، جيد التفكير ، عبقرى ،
مخلص (٦) وذكر ابن السمعاني في (الأنساب) فقال : «وحنى لي اسماعيل بن المؤمل
النحوي ان ابا الفتح كان يذكر ان اياه كان فاضلا بالرومية» (٧) وظاهر انه يترجم
لفظ «جني» وهو ينطبق على ما ذكره الأستاذ النجار .

وذكر ابن جني روميته في شعره قائلا (٨)

فان اصبح بلا نسب	فعلمي في الورى نسبي
على أني أوول الى	قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا	ارم الدهر ذو الخطب
ألاك دعا النبي لهم	كفى شرفا دعاء نبي

مشيرا بالبيت الاخير الى ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جواب

(١) فهرست ابى بكر بن خير ص ٣١٨

(٢) الأنساب - لابن السمعاني ١٣٩٦

(٣) بغية الوعاة ص ٣٢٢

(٤) بغية الوعاة ص ٣٢٢

(٥) مجلة المقتطف مجلد ١١١ ج ٣/١٥٣

(٦) مقدمة الخصائص - لمحمد على النجار ص ٢

(٧) الأنساب ١٣٩٦

(٨) نزهة الالباء ص ٢٢٨ ، انباه الرواة ، ٣٣٦/٢

كسرى قال مزق الله ملكه ولما جاءه جواب هرقل قال ثبت الله ملكه . (١)
نشأته وسماته :

نحن نعلم ان ولادة ابي الفتح كانت في الموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة (٢) وان ابيه كان مولى رومياً يونانياً لسلامان بن فهد بن احمد الأزدي الموصلية ولا نعلم عن والده كثيراً ، فلا نعلم ابن كان قبل ذلك ولا متى جاء ولا اين ولد ؟ والذي نعلمه ان «جني» - والد عثمان - كان رجلاً شتيم الوجه وحشي الصورة (٣) وان ابنه عثمان نشأ في الموصل وربى فيها ودرس على شيوخها حتى اتصل بشيخه ابي علي الفارسي ثم استوطن مدينة السلام .

ولاندري عن سمات ابي الفتح كثيراً (٤) ولا عن صفاته الخلقية ما نستطيع به ان نرسم صورته واضحة .

غير اننا علمنا انه كان «اشقر اعور في صورته بعض التركية» (٥) ولعلها الرومية . وذكر عنه انه قال شعراً عاتباً على صديق له يذكر فيه انه كان ممتعاً باحدى هينيه وهو (٦) .

من المتقارب

(١) فتح الباري - المطبعة الخيرية ج ١/ ٣٤ ومن الملاحظ ان ابن حجر يرويها بلا ذكر للسند كما انه لم يعقب عليها . وقد جاء في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقبصر ليهلكن ثم لا يكون قبصر بعده ولتقسم كنوزهما في سبيل الله . (التجريد الصريح ج ٢/ ٢٤) واذا صح الاول فالجمع بينهما ان الاول ربها كان دعاء لقبصر في حياته ان يثبت الله ملكه .

(٢) سنين ذاك فيما بعد .

(٣) فهرسة ابن خير ص ٣١٨

(٤) مقدمة الخصائص ص ١١

(٥) فهرسة ابن خير ص ٣١٨

(٦) نزهة الالباء ص ٢٢٨

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسده
وقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة ان لا اراك لما كان في تركها فائده

وانما قال « خشيت على عيني الواحدة » ، لانه كان اعور (١) وقيل ان هذه
الابيات لغيره وكان قائلها اعور (٢) وايأ كان الامر فان عوره ثابت بغض النظر
عن ثبوت هذه الابيات له او لغيره ، اذ ليس هذا الشعر هو المصدر الوحيد لذكر
عوره (٣) وقد نبزه بشر بن هرون بالاعور حيث يقول

العر والعار فيك تما والعرور التام والعرور

طوف ابن جني في البلاد فذهب الى الشام (٤) وحلب (٥) وواسط (٦) وذكر
دار الملك (٧) ولعله يقصد دار الملك في شيراز أو دار المملكة للبويهيين في شرقي
بغداد واتصل بسيف الدولة في حلب وتوثقت علاقته بالمتنبي هناك (٨) وخدم ابو
الفتح من البيت البويهي عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة
وولده بهاء الدولة وفي زمانه مات .

وكان يلزمهم في دورهم وبياباتهم . (٩)

(١) نزهة الالباء ص ٢٢٨

(٢) البداية والنهاية ١١ / ٣٣١ ويذكر ابن خالكان قبل انها لابي منصور الديلمي

(٣) مقدمة الخصائص ص ١١

(٤) الخصائص ١ / ١٢١

(٥) الخصائص ٢ / ٨٨ و ٣ / ٦٢

(٦) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠

(٧) الخصائص ٣ / ٢٧٠

(٨) ياقوت ١٢ / ٨٩

(٩) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠

وكان لابن جني من الولد علي وعال وعلاء وكمالهم ادباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم فهم معدودون في الصحيحي الضبط وحسن الخط (١) وتكاد تجمع الروايات على ان وفاته كانت ببغداد في يوم الجمعة للياليين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة في خلافة القادر. (٢) وذكر ابن الاثير في الكامل انه توفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قال « ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة . . . وفيها توفي عثمان بن جني النحوي (٣) ». وراثه الشريف الرضي بمرثية مطلعها (٤)

الا يا القومي للخطوب الطوارق	وللعظم يرمي كل يوم بعارق
ومنها :	
لتبك ابا الفتح العيون بدمعها	والسننا من بعدهما بالمناطق
شقيقي اذا التاث الشقيق واعرضت	خلاتق قومي جانباً عن خلاتي
كان جناني يوم وافى نعيمه	فري اديم بين ايدي الخوالق
ومن للمعاني في الالكمة القيت	الى باقر غيب المعاني وفاتق
مضى طيب الاردان بأرج ذكره	اريج الصبا نندى بعربين ناشق
وما احتاج برداً غير برد عفافه	ولاعرف طيب غير تلك الخلائق

(١) معجم الادباء ١٢ / ٩١ ، الانساب ١٣٩ آ

(٢) نزهة الالباء ص ٢٣٠ ، انباه الرواة ٢ / ٣٣٦ ، المنتظم ٧ / ٢٢٠ ، مرآة

الجنان ٢ / ٤٤٥ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٠٥ وغيرها

(٣) الكامل ٧ / ٢١٥ - ٢١٩

(٤) ديوان الشريف الرضي - المجلد الثاني ص ٦٣

تروى ماء الود بيني وبينه - وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق

وقال فيه اخرى مطلعها (١)

أراقب من طيف الحبيب وصالا وبأبسى خيال أن يزور خيالاً

ودفن بالشونيزي الذي هو من جملة مقابر بغداد عند قبر استاذة الشيخ
ابي علي الفارسي (٢) وهي مقبرة الشيخ جنيد الحالية وتعرف بالشونيزية ايضاً
واكثر مدفونيهامتصوفون

أخلاقه وسيرته

كان ابن جني رجل جد وأمرأ صدق في قوله وفعله فلم يؤثر عنه ما أثر عن
أمثاله من رجال الأدب في عصره من اللهو والشرب والمجون ، وكان عفاً اللسان
والقلم يتجنب الالفاظ المنذية للجبين (٣) . عرف ابن جني بطيب الاخلاق والعفة
والاخلاص وقد ذكر ذلك الشريف الرضي في رثائه له (٤) . ومما قال فيه وقد
نقلناه آنفاً :-

مضى طيب الاردان بأرج ذكره اربى الصبا تندى لعرين ناشق

وما احتاج بردا غير برد عفافه ولا عرف طيب غير تلك الخلاق

ولا إخال الشريف إلا صادقاً في قوله في وصف خلقه أو وصف صورة
مقاربة في الاقل . جاء في (معجم الادباء) « ان أبا الحسين القمي حفيد أبي اسحاق
القمي صاحب ديوان صمصام الدولة لقي ابن جني مرة في الديوان فجعل يتحدث
تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحاق وكان لابن جني عادة في حديثه بأن

(١) ديوان الشريف الرضي المجلد الثاني ص ١٦٦

(٢) روضات الجنات ص ٤٤٦

(٣) مقدمة الخصائص ص ١٤

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي - محمد أسعد طلس مجلد ٣٠ ج ٤/ ٦٠٨

يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين شاخصاً ببصره يتعجب منه . فقال له ابن جني « ما لك يا أبا الحسين تحديق النظر اليّ وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف . قال ما هو ؟ قال شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيت اليوم عند صمودي الى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ .

فامتعض أبو الفتح وقال « ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب قال : المَعذرة أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهت القرد بك . فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت . وعلم أبو الفتح انها نادرة تشييم فكان يتحدث بها هو دائماً » (١) .

وهذه النادرة التي يرويها ياقوت تصور لنا جديته في أموره وبعده عن المجون . ومن خلال ابن جني البارزة الامانة والوفاء فقد كان أميناً في التحديث عن شيوخه دقيقاً في النقل عنهم فهو يذكر الابواب والفصول التي قرأها على شيخه أبي علي أو على غيره ، وأحياناً يذكر الامكنة التي قرأ فيها ويذكر انه نسي اللفظ الذي سمعه وانه ينقل المعنى - كما سنرى ذلك في غير هذا الموضع - .

وكان وفياً لشيوخه ولا سيما أبي علي فهو يذكره بالاعجاب والثناء الحسن والترحم عليه والترضي عنه ، وكان متدبماً بأخلاق العلماء في البحث لا يستكبر أن يسأل شيخه أو أن يكتب له يسأله فقد كتب له يسأله عن مسألة من الموصل الى حلب كما جاء في (الخصائص) :-

« وقد كان أبو علي رحمه الله كتب اليّ من حلب وأنا بالموصل مسألة أطالها في هذه اللفظة (يعني أوّناه اسم أنالم) جواباً على سؤالي اياه عنها » (٢) .

(١) معجم الادباء ١٦/٥-١٧

(٢) الخصائص ٣٨/٣

الباب الثاني

فائسه ولأثره

إذا تصفحت كتب ابن جني فلا شك في أنك ستلقى رجلاً عميق الثقافة، واسع الاطلاع غزير العلم، جم المعرفة. كتب في النحو والتصريف ودرس الاصوات والحروف دراسة عميقة متقنة والف كتباً أبر بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يتكلم أحد في التصريف ادق كلاماً منه (١) لقي رجالاً كثيرين اخذ عنهم وقرأ عليهم فقد ذكر ابن ماكولا انه سمع جماعه من المواصلة والبغداديين (٢) وذكر ابن جني انه اخذ عن شيوخ كثيرين فقد ذكر في اجازته لأبي عبدالله الحسين بن احمد بن نصر انه سمع شيوخاً وقرأ عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتاها واقام بها. (٣)

وذكر في كتبه رجالاً كثيرين استفاد منهم وقرأ عليهم فقد ذكر انه قرأ على:-
ابي بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف ابن مقسم أحد القراء ببغداد،
كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب (٤) وكان من احفظ الناس لنحو الكوفيين ولد سنة خمسين ومائتين وتوفي في سنة اربع وخمسين وثلثمائة (٥) وقبل سنة اثنتين وستين وثلثمائة (٦). وقد تردد اسم ابن مقسم مراراً في كتب ابن جني كسر الصناعة والمبهج والخصائص وكان يأخذ عنه عن احمد بن يحيى ثعلب، فهو يذكر أحياناً انه اخبره عنه كأن يقول «اخبرنا محمد بن الحسن عن احمد بن يحيى (٧) ...» ويذكر

(١) ياقوت ٨١/١٢ (٢) الانساب ١٣٩ أ

(٣) ياقوت ١١١/١٢ (٤) الفهرست ص ٥٥

(٥) تاريخ بغداد ٢٠٦/٢ (٦) الفهرست ص ٥٥

(٧) سر الصناعة ١٥٢/١، المبهج ص ٤٧ والخصائص ٦٨/١ وغير ذلك

احياناً انه قرأ عليه من أحمد بن يحيى كأن يقول « قرأت على محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى (١) .. » وربما روى عنه ما لم يرو عن شيخه أبي علي (٢) .
وذكر انه قرأ على : -

أبي الفرج الأصفهاني وهو علي بن الحسين بن الهيثم القرشي من ولد هشام بن عبد الملك وكان شاعراً مصنفاً اديباً . توفي سنة نيف وستين وثلثمائة وله من الكتب كتاب الأغاني الكبير نحو خمسة آلاف ورقة وكتاب مقاتل الطالبين (٣) فقد جاء في (سر الصناعة) مانصه (٤) قرأت على أبي الفرج علي بن الحسين عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ويذكر احياناً انه حدثه (٥) فلا يذكر القراءة .

وذكر من شيوخه أحمد بن محمد أبو العباس الموصلي النحوي ويعرف بالاخفش .
قال ابن النجار كان اماماً في النحو فقيهاً فاضلاً عارفاً بمذهب الشافعي قرأ عليه ابن جني واقام ببغداد وكانت له حلقة بجامع المنصور قريب من حلقة أبي حامد الأسفراييني وله كتاب في تحليل القراءات السبع (٦) ويبدو انه اخذ عنه النحو في الموصل (٧)

كما استفاد من أبي سهل القطان أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد كان صادقاً اديباً شاعراً راوية للادب عن ابوي العباس ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري ،

(١) سر الصناعة ١/١٧٢ ، ١/١٧٧ ، ١/١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٤ ، المبهج ٢٨ ،

٦٧ وغير ذلك

(٢) سر الصناعة ١/١٧٨

(٣) الفهرست ٢-١٧٣ ر ١٧٧؛ ونج بغداد ١١/٣٩٨

(٤) سر الصناعة ١/٥٤ ، ١/٨٤ ، ١/٢١٣

(٥) المبهج ص ٦٦

(٦) بغية الوعاة ص ١٧٠

(٧) مقدمة كتاب الخصائص ص ١٠

توفي سنة خمسين وثلثمائة (١) وقد ذكره ابن جني في المبهج (٢)

وذكر آخريين استفاد منهم عن طريق القراءة والتحديث كأبي اسحاق ابراهيم بن احمد القرميسيني (٣) وأبي صالح السليل بن احمد بن عيسى الشيخ (٤) وأبي الحسن علي بن عمرو (٥) ومجد ابن مجد (٦) وأبي بكر جعفر بن مجد بن الحجاج (٧) ومجد بن سلمة (٨) وأبي بكر مجد بن علي المراغي (٩) النحوي وكان شرح شواهد كتاب سيويه (١٠) وأبي بكر مجد بن علي (١١) ولعل المقصود به مبرمان شارح الكتاب كما ظن الاستاذ النجار (١٢) أبي مجد بن علي بن اسماعيل ابو بكر العسكري أخذ عن المبرد والزجاج وأخذ عنه الفارسي والسيرافي وتوفي سنة ٣٤٥ (١٣) او هو ابو بكر مجد بن علي بن القاسم الذهبي الذي ذكره ابن جني فيما بعد (١٤) .

(١) تاريخ بغداد ٤٥/٥ ، المنتظم ٣/٧

(٢) المبهج ص ٢٦

(٣) الخصائص ٧٥/١

(٤) الخصائص ١/٣٦٠ ، ٣٨٧ ، ٣/٢٨٣ ، ٣/٢٩٨

(٥) الخصائص ٨٠/١

«٦» المبهج ص ٢٠

(٧) الخصائص ٣/٣٠٥ ، ١/٣٨٦

«٨» الخصائص ١/٣١٥

«٩» الخصائص ٣/٢٩٩

(١٠) معجم الادباء ١٨/٢٦٣

(١١) الخصائص ٢/٢٥٥

(١٢) حاشية الخصائص ٢/٢٥٥

(١٣) بغية الوعاة ص ٧٤

(١٤) الخصائص ٣/٢٩٩

وذكر الدكتور محمد أسعد طلس من الذين قرأ عليهم ابن دريد أبا بكر محمد بن الحسن (١) وهو وهم منه فان ابن دريد توفي سنة احدى وعشرين وثلثمائة (٢) مع ان ابن جني ولد بعدها وقد ذكر هو نفسه قال « ونحن نعرف ان ابن جني قد ولد حول الثلاثين وثلثمائة » (٣)

ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم أبو عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي الشجري (٤) وقد لقيه في الموصل (٥) وأخذ عنه .

ولا ريب ان أعظم استاذ تخرج عليه وأثر فيه هو شيخه أبو علي الفارسي .

أبو علي الفارسي

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي (٦) الفسوي ، والفسوي نسبة الى فسا (٧) من عمل شيراز (٨) ، امه سدوسية من سدوس شيبان من ربيعة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ ص ٤٤٧ .

(٢) الفهرست ص ٩٧ ، معجم الادباء ١٨/١٢٧ ، والمنتظم ١٦/٢٦١ وبغية الوعاة ص ٣٠ .

(٣) مجلة المجمع - المجلد ٣٠ ص ٤٤٩

(٤) الخصائص ١/٧٦ ، ١/٢٥٠ والمبهم ص ٦٧

(٥) ياقوت ١٢/١٠٥ نقلا عن ابن جني

(٦) المنصف - لابن جني ١/٦

(٧) وهي بالفتح والقصر كلمة عجمية وعندهم (با) « بالباء وكذا يتلفظون بها وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح » مدينة بفارس أنزله مدينة بها فيما قبل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل واليهما ينسب أبو علي الفارسي النحوي - معجم البلدان ٤/٢٦٠

(٨) غابة النهاية - لابن الجزري ١/٢٠٦

الفرس (١) ، وذكر الاستاذ أحمد أمين في (ظهر الاسلام) انه فارسي الاب والام (٢) ثم عاد فصحيح هذا الوهم في مقالته (مدرسة القياس في اللغة) فذكر أنه فارسي الاب عربي الام (٣) .

ولد سنة ٢٨٨ هـ في أواخر أيام المعتضد وارثه من بلاده الى بغداد لطلب العلم سنة ٣٠٧ هـ وسنه حينئذ تسع عشرة سنة في خلافة المقتدر بالله (٤) .

روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد (٥) وأخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن كأبي اسحاق الزجاج وأبي بكر بن السراج وأبي بكر الخياط (٦) . وكان متهماً بالاعتزال لكنه صدوق في نفسه (٧) .

طوف كثيراً في بلاد الشام ومضى الى طرابلس فأقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان (٨) وكان قدومه عليه في سنة احدى وأربعين وثلثمائة ووجرت بينه وبين أبي الطيب المنتبي مجالس ثم عاد الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه (٩) .

كان من اكابر الائمة النحويين وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على ابي العباس المبرد . وقال ابو طالب العبدى « ما كان بين سيبويه

(١) معجم الادباء ٢٣٢/٧

(٢) ظهر الاسلام ٩١/٢

(٣) مدرسة القياس في اللغة - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧/٣٥٣ طبع سنة ١٩٥٣

(٤) مقدمة سر الصناعة ص ٢٤

(٥) غاية النهاية ٢٠٦/١

(٦) معجم الادباء ٢٣٢/٧ وغاية النهاية ٢٠٦/١-٢٠٧

(٧) لسان الميزان - لابن حجر ١٩٥/٢

(٧) ياقوت ٢٣٢/٧

(٩) وفيات الاعيان ٣٦١/١

وابي علي افضل منه (١) ورفع من شأن المذهب البصري « (٢) .

فقد كان اوحـد زمانه في علم العربية (٣) وكان عضـد الدولة يقول اذا افتخر بالعلم والمعلمين « معلمي في النحو ابو علي الفارسي الفسوي ، ومعلمي في حل الزيج الشريف ابن الاعلم ومعلمي في الكواكب الثابتة واما كنها وسيرها ابو الحسين الصوفي (٤) :

ومن طريف ما روى عنه ان ابا علي لما صنف كتاب « الايضاح » وحمله الى عضد الدولة استقصـره عضد الدولة وقال له « مازدت على ما عرف شيئاً وانما يصلح هذا للعبيان فمضى ابو علي وصنف التكملة وحملها اليه فلما وقف عليها عضد الدولة قال « غضب الشيخ وجاء بما لانفهمه نحن ولا هو (٥)

اخذ عنه جماعة من حذاق النحو - وبين كأبي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الربعي وابي طالب العبدى وابي الحسين الزعفراني (٦) وروى عنه ابو القاسم التنوخي والجوهري (٧) قال الخطيب البغدادي « حدثنا عنه الازهري والجوهري وابو الحسن محمد بن عبد الواحد وعلي بن محمد بن الحسن المالكي والقاضي ابو القاسم التنوخي « (٨) وروى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن بكر النهرواني (٩)

(١) نزهة الالباء ٢١٦

(٢) نشأة النحو - لمحمد الطنطاوي ص ١٥٦

(٣) معجم الادباء ٧ / ٢٣٢ .

(٤) تاريخ الحكماء - للقفطي ٢٢٦ ونزهة الالباء ٢١٦

(٥) ياقوت ٧ / ٢٣٢

(٦) نزهة الالباء ٢١٦

(٧) لسان الميزان ٢ / ١٩٥

(٨) تاريخ بغداد ٧ / ٢٧٥

(٩) معجم الادباء ٧ / ٢٣٢

وصنف كتباً حسنة قيل لم يسبق الى مثاها (١) منها كتاب الايضاح في النحو
وكتاب الحجة في علل القراءات السبع وكتاب المقصور والممدود (٢) والتذكرة
والمسائل الحلبية والبغدادية والقصرية والبصرية والشيرازية والعسكرية
والكرمانية (٣) وغيرها

توفي ابو علي الفارسي يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع
الاول سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك في خلافة الطائع لله تعالى (٤) ببغداد ودفن
بالشونيزي وهو من جملة مقابر بغداد (٥) واوصى بثلاث ماله لنعاة بغداد
(ينفق) (٦) عليها فكان ثلاثين الف دينار (٧) .

اتصاله به وأخذه عنه

ذكر ابن الانباري ان سبب صحبة ابن جني ابا علي الفارسي أن ابا علي كان
قد سافر الى الموصل فدخل في الجامع فوجد ابا الفتح عثمان بن جني يقرئ النحو
وهو شاب وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو القاء: قام، وقال « فاعترض
عليه ابو علي فوجده مقصراً فقال له ابو علي « زبيت قبل ان تحصرم ثم قام ابو
علي ولم يعرفه ابن جني وسأل عنه ف قيل له « هو ابو علي الفارسي النحوي . فأخذ
في طلبه فوجده ينزل الى السمرية يقصد بغداد فنزل معه في الحال ولزمه وصاحبه

(١) انباه الرواة ١ / ٢٧٣

(٢) نزهة الالباء ص ٢١٦

(٣) بغية الوعاة ٣٢٢ .

(٤) نزهة الالباء ٢١٦

(٥) روضات الجنات ٤٤٦ .

(٦) بياض في الاصل .

(٧) غاية النهاية ١ / ٢٠٧

من حينئذ الى أن مات ابو علي ... (١) .

ويذكر الخبر ابن خلكان بشكل آخر اذ يقول « قرأ الادب على الشيخ ابي علي الفارسي وقعد للاقراء بالموصل فاجتاز به شيخه ابو علي فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه فقال له « تزبيت وأنت حصرم ، فترك حلقة وتبعه ولازمه حتى تمهر (٢) » ويذكر الرواة انه صحبه اربعين سنة (٣)

ويرى الدكتور محمد اسعد طلس ان هذه القصة مصنوعة (٤) لاسباب اولها ان ابن خلكان يذكرها على شكل آخر غير ما يذكرها عليه ابن الانباري وياقوت هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يذكر ابن جني في كتابه (الخصائص) ان ابا علي أنشده بالموصل سنة احدى واربعين وثلثمائة ونحن نعرف ان ابن جني قد ولد في حدود الثلاثين وثلثمائة فعلى هذا يكون عمر ابن جني في سنة احدى واربعين نحواً من اثني عشرة سنة ، وما يجوز عقل ان انساناً له هذا العمر يرحل في طلب العلم قبل هذه السن من الموصل الى بغداد ثم يعود ويخلق حلقة يعلم فيها النحو ومن ناحية ثالثة جرت عادة المترجمين من المتقدمة ان يخلقوا قصصاً وروايات يعللون بها اسباب انصراف هذا الطالب الى ذلك العلم او هذا الشيخ فيخترعون لذلك قصصاً ينسجها خيالهم وانا أرى ان قصة الزبيب والحصرم من هذا النوع ... »

ويقول فؤاد البستاني « - ويبدو لنا من النظر الى تاريخ مولد ابن جني ثم الى السنة التي توفي فيها ابو علي الفارسي أن ياقوتاً قد اشتط في قوله انه لزمه اربعين

(١) نزهة الالباء ٢٢٩ ، ياقوت ٥ / ١٥

(٢) وفيات الاعيان ٢ / ٤١٠ ، وهو ماذهب اليه بطرس البستاني في (دائرة المعارف) مجلد ١ / ٤٣٦ .

(٣) نزهة الالباء ٢٢٩ ، بغية الوعاة ٢٢٢

(٤) مجلة المجمع مجلد ٣٠ / ٤٤٩ .

سنة فلعله لزمه ثلاثين سنة او ما يزيد عليها قليلا الا اذا رجعنا بتاريخ مولد ابي الفتح الى سنة ٣٢٠ هـ « (١) » .

ويقول الاستاذ عبدالله أمين « - يقول بعض المؤلفين ان ابن جني لازم شيخه ابا علي الفارسي اربعين سنة . وهذا غير معقول لان ابن جني لم يعش الاثنتين وستين سنة قضى منها قبل ملازمة شيخه نحو عشرين سنة على الاقل (٢) لان الروايات متضادة على انه لازم بعد ان تصدر للتدريس في جامع الموصل ولا يمكن ان يتصدر للتدريس في مسجد جامع قبل سن العشرين ثم لم يعش بعد شيخه الا خمس عشرة سنة .

فان الشيخ مات سنة ٣٧٧ هـ والتلميذ مات سنة ٣٩٢ هـ فيكون قضى من عمره كله نحو خمس وثلاثين سنة قبل معرفته شيخه وبعد افتراقهما بوفاة هذا الشيخ بدون ملازمة له (٣) والباقي من عمره بعد طرح خمس وثلاثين سنة وهو سبع وعشرون سنة هو الذي يمكن ان يقال انه لازم فيه « (٤) »

ففي اصل القصة التي تذكر كيف تم الاتصال بين الشيخ وتلميذه شك اولاً وفي المدة التي قضاها معه ثانياً .

اما الشك بالنسبة للنقطة الاولى فانا لا اقول ان القصة ثابتة ولكن الاستاذ محمد اسعد طلس لم يقدم الادلة التي تنفي ثبوتها اذ الاختلاف في رواية الحادثة لا يني وقوعها كما هو واضح ، فن المشاهد ان حوادث تقع في ايامنا وعلى قرب منا ثم تختلف الروايات وتتضارب في نقلها وكيفية وقوعها فلا نقول ان الحادثة مصنوعة لا اساس لها .

(١) دائرة المعارف - لفرّاد البستاني المجلد الثاني ٤١٥ .

(٢) الفصيح في الاقل .

(٣) الفصيح « من غير ملازمة » .

(٤) مجلة المقتطف مجلد ١١١ ج ٣ / ١٥٩ « ابن جني ابو الفتح عثمان » .

والناحية الاخرى التي استدلت بها الدكتور مجد اسعد طلس تتعلق بعمر ابن جني وهو شك صحيح فيما لو ثبت مولده انه في سنة ثلاثين او قبلها بقليل وعين المترجمون تاريخ الحادثة بما يتنافى هو وسنه ، ولكن هذا لم يثبت وسنذكر ذلك .
واما قوله بأن عادة المترجمين جرت ان يخلقوا قصصاً وروايات يعللون بها اسباب انصراف الطالب الى الشيخ ، فما من شك في ان الطالب لا ينصرف الى شيخ الا لسبب ، وربما اختلق المترجمون طرفاً من القصص كما ذكر الاستاذ ولكن هذا لا يسوغ لنا ان نقول ان ما ذكره المترجمون باطل من اساسه ، ولكن الصواب ان تحقق الحادثة وتنقد فإن ثبتت والا فانا نقول « انه ليس لنا من الادلة ما يثبت الحادثة كما انه ليس عندنا ما ينفيها الا اذا ابان النقد بأدلة كافية انها موضوعة

اما الشك في المدة التي قضها مع شيخه فيرجع الى تاريخ مولده والى تثبيت عمره . ذكر ابن النديم وياقوت وغيرهما ان مولده كان قبل سنة ثلاثين وثلثمائة ولم يذكروا وقتاً محدداً له . والذي ارجحه كما رجحه آخرون قبلي ان ولادته كانت في حدود عشرين وثلثمائة او بعدها بقليل وذلك للأسباب التي سأذكرها » -

١ - ان المؤرخين لم يتفقوا على سنة مولده ، فبينما نرى طائفة منهم تذكر أن مولده كان قبل سنة ثلاثين وثلثمائة نرى جماعة آخرين يجعلونه قبل هذا التاريخ بكثير . فقد ذكر أبو الفدا أن مولده سنة اثنتين وثلثمائة (١) . وذكر ابن قاضي شهبة أنه توفي في سن السبعين (٢) أي ان ولادته كانت في حدود سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

٢ - والقول الارجح في انصالة بأبي علي الفارسي أنه كان في سنة ٣٣٧ هـ وهي السنة التي سار فيها معز الدولة من بغداد الى الموصل قاصداً لناصر الدولة (٣)

(١) تاريخ أبي الفدا ج ٤/ ٢٩ - لعله من غلط الطبع والنسخ .

(٢) انظر مقدمة الخصائص ص ٩ .

(٣) الكامل ٣٢٩/٦ .

وان اتصاله بشيخه كان في هذا العام (١) . اذ من المعلوم صلة الفارسي بالبويهيين واستصحابهم له اذ لو كان ولد قبيل الثلاثين لكان عمره ثماني سنوات وليس من المعقول أن يتصدر للتدريس أو أن يرحل في طلب العلم في مثل هذه السن . ويذكر الاستاذ مجد النجار أن الروايات تجمع على أن أبا الفتح صحب أبا علي سنة ٣٣٧هـ ولازمه في السفر والحضر . اذن لانجد بدأ أن نرجع بتاريخ ولادته الى ما هو أبعد من هذا التاريخ . ويذكر بعض علماء المشرقيات ان ولادته كانت سنة ٢٢٠هـ (٢) .

٣ - لزم ابن جني استاذة - أبا علي - في بغداد وشيراز وقيل أنه رافقه الى حلب فكان معه في قصر سيف الدولة سنة ٣٤١هـ ولقي هناك أبا الطيب المتنبي وجرت بينهما مناظرات لغوية . فان صححت وفادته على أمير حلب في تلك السنة ينبغ أن يكون . ولده قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة بعدة سنوات ، اذ لو جعلناه قريباً من تلك السنة لاضطررنا الى تسليم أن ابن جني قد أصبح عالماً باللغة يناظر أبا الطيب وهو في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة وهذا لا يصح الاطمئنان اليه (٣) .

٤ - الاستثناس بما ذكره ابن جني في (الخصائص) عن الصلات بينه وبين شيخه . فقد جاء فيه (٤) .

« وحدثنا أبو علي سنة احدى وأربعين قال » قال أبو سعيد الحسن بن الحسين « باز » وثلاثة « أبواز » فان كثرت فهي « البيزان » فهذا « فلع » وثلاثة « افلاع » وهي من « الفلعان » .

فترى أن مستوى الحديث لا يتناسب مع غلام في الثانية من عمره ، فلفظ

(١) مقدمة الخصائص ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ .

(٣) انظر دائرة المعارف لفؤاد البستاني - المجلد الثاني ٤١٦ .

(٤) الخصائص ٧/١ .

« التحديث » ، وذكر شيخه مصدر القول ، ومادة الكلام التي قيلت لانسمح إلا بأن يكون المحدث في غير هذه السن .

وكذلك ما ذكره ابن جني في (الخصائص) (١) .

« وحدثنا أبو علي سنة احدى وأربعين » قال في قول الله جل اسمه « فراغ عليهم ضرباً باليمين » ثلاثة أقوال « احدها باليمين التي هي خلاف للشمال ، والاخر باليمين التي هي القوة ، والثالث باليمين التي هي قوله « وتالله لا أكيدن أصنامكم » .

وما جاء فيه (٢) في تجاوز المعاني والاحوال .

« ومنه أبيات العجاج أنشدناها (٣) سنة احدى وأربعين »

أما تربني أصل القعدا	واتقي أن انهض الارعادا (٤)
من أن تبدلت بآدى آدا	لم يك ينآد فأمسى انآدا (٥)
وقصباً مُحَنِّي حتى كادا	يعود بعد أعظم أعوادا (٦)
فقد أكون مرة روادا	اطلم النجاد فالنجا-ادا

وما جاء فيه أيضا (٧) « ومما خامت عنه دلالة الاستفهام قول الشاعر ،

(١) الخصائص ٢٤٩/٣-٢٥٠

(٢) الخصائص ١٧٤/٢

(٣) يعني أبا علي .

(٤) القعداء جمع قاعد ، وقد يكون «القعداء» مصدر مبالغة لقعد كالكذاب . مصدر «كذب» «للمبالغة» الارعاد مفعول اتقي .

(٥) آلالء القوة كالآيد واناد (انثنى واعوج) حاشية الخصائص .

(٦) القصب كل عظم ذي مخ .

(٨) الخصائص ١٨٤/٢

انشدناه سنة احدى وأربعين » :

انى جزوا عامراً سيثا بفعالهم أم كيف يجزونني السوى من الحسن
ولا أجد في صدري حاجة للتعليق في مستوى الابيات والاغراض التي كان
يستشهد لها ، وان ذلك لا يمكن أن يكون مع شباب صغير في الثانية عشرة من
عمره ، ولا شك في أن رجوعنا بتاريخ مولده الى حدود سنة عشرين وثلاثمائة هو
أكثر موافقة ونسقا .

هـ - ما ذكره المترجمون له انه صاحب شيخه أربعين سنة (١) اذ من الراجح
أنه اتصل به سنة ٣٣٧هـ - كما مر - ومعلوم أنه توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فتكون
صحبته أربعين سنة . وليس من المعقول أن يتصل به وهو صبي في السابعة أو الثامنة
من عمرة فالمناسب أن نرجع بتاريخ ولادته الى وراء بضع سنين في الأقل حتى
حتى تنسق المسألة وتتوافق . وعلى هذا ارى ان يؤخذ أمد الصحبة الذي ذكره
المؤرخون مع الدلائل الأخرى لتصحيح عمره لا لانكار قصة الاتصال بينه وبين
شيخه .

ومن المحتمل أن يكون مولده في سنة ٣٠٢هـ كما ذكر أبو الفدا (٢) الا انني
أرجح أن يكون مولده في حدود العشرين وليس لدي دليل قاطع يؤكد ذلك وانما
هو تقدير حسب . فهو الموقف الوسط بين من يقول ان ولادته كانت قبيل الثلاثين ،
ومن يقول انها كانت في السنة الثانية بعد سنة ثلاثمائة اذ الفرق كبير بين التاريخين .
كما ان قول الشيخ ابي علي له « زبيت وانت حصرم » قد يشم منه انه كان في السابعة
عشرة او الثامنة عشرة من عمره لاني الخامسة والثلاثين . فاحتمال ان يقال مثل هذا

(١) نزهة الالباء ص ٢٢٩ ، ياقوت ، البغية ٣٢٢ .

(٢) ابو الفدا مؤرخ متأخر وناقل من كامل ابن الأثير غالباً ، فلذلك جاز أن
يكون في نقله تغيير أو في نسخ كتابه وهم « م . ج » مات أبو الفدا في سنة ٧٣٢هـ .

القول للشاب هو اكبر من احتمال ان يقال للرجل . وهو تقدير و ترجيح على كل حال .

وعلى اي كان الأمر فقد صحب التلميذ استاذة وثوثقت العلاقة بينهما فقد صحبه الى الشام (١) يدل على ذلك ما جاء في (الخصائص) « قال لي ابو علي بالشام » والي حلب (٢) « قال لي ابو علي رحمه الله بحلب سنة ست واربعين ونحن في دار الملك » ، (٣) انشدني رحمه الله ونحن في دار الملك ولعلها دار ملك البويهيين في شيراز . وذكر الذهبي انه لزم ابا علي الفارسي (٤) وتبعه في اسفاره حتى احكم العربية ولاريب انه كانت في التلميذ صفات حبيته الى شيخه ، وفي الشيخ صفات حبيته الى التلميذ دعتهما الى التوافق ودوام الالفة الطويلة فقد كانا معترلين (٥) ، وكان لأبي علي حاجة الى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين للدرس والبحث (٦) وتوافقهما في الأخلاق والاراء فلم يرو في تأريخهما شيء عكر صفاء هذه الصحبة (٧) ، ويسر حالة ابي علي واتصاله بالامراء كل ذلك وغيره مما ساعد على ادامة هذا الصحبة (٨) . وكان ابن جني عنده كخباز يمتحن به تجاربه (٩) وكان ابو علي يعرض عليه قسما من المسائل او يذكر له تعليلا أو يسأله عن تعليل ،

(١) الخصائص ١٢١/١

(٢) الخصائص ٨٨/٢ و ٢٦٢/٣ والمنصف ٦/١

(٣) الخصائص ٢٧/٣

(٤) العبر في خبر من غبر للذهبي حوادث ٣٩٢ ج ٣/٥٣ ، ابناه الرواة ٢/٣٣٦ .

(٥) المزهر ١٠/١ ، لسان الميزان ١٩٥/٢ ، دائرة المعارف - لفؤاد البستاني ٤١٥/٢

(٦) مقدمة سر الصناعة ص ٣٣

(٧) مقدمة سر الصناعة ص ٣٣

(٨) ابو علي الفارسي - الشلبي ٣٢٨

(٩) مقدمة سر الصناعة

وكان يطلبه اذا غاب ، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان ، أو يخالفه ويرى رأياً آخر . ولم يكن ابو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه أحياناً ، وكان متحابين كما يظهر جلياً في كتب ابن جني نفسه (١) ، وابن جني كان يكتب له يسأله اذا لم يكن معه وعز عليه الجواب (٢)

وقرأ عليه ابن جني في اثناء اتصاله به كثيراً من الكتب فقد قرأ عليه كتاب مسبويه (٣) وكتاب الهمز لأبي زيد (٤) والنوادر له (٥) وكتاب التصريف لأبي عثمان المازني (٦) والقلب والابدال ليعقوب (٧) وغير تلك من الكتب .

وكان ابن جني محباً لاستاذه معظماً له دائم النقل عنه شديد الاعجاب به فما قال فيه « والله هو وعليه رحمة فما كان اقوى قياسه واشد بهذا العلم اللطيف الشريف نسبه فكأنه انما كان مخلوقاً له .. » (٨) .

وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي (٩) - رحمه الله - وقد افضنا في ذكر

(١) الخصائص ١ / ١٢٣ ، ١ / ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩

٣٨٨

(٢) الخصائص ٣ / ٣٨

(٣) سر الصناعة مخطوطة ص ٤٥٥ نقلا عن مجلة المجمع العلمي العربي . مقالة

الدكتور محمد اسعد طلس المجلد ٣١ ج ٤ / ٦٦٩

(٤) سر الصناعة ١ / ٨٢

(٥) سر الصناعة ١ / ٨٦ ، ١ / ٢٧٨

(٦) سر الصناعة ١ / ١١١ ، الخصائص ١ / ٣٥٨ والمنصف ١ / ٦

(٧) سر الصناعة ١ / ٢٤٤

(٨) الخصائص ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧

(٩) شيخ الحنفية ببغداد - حاشية الخصائص ١ / ٢٠٨

أبي علي ونبل قدره وبنائة محله (١) « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ، فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشم هذا القول عليه . » (٢) وقد أكثر من ذكره في كتبه فالكتب التي بين أيدينا كثيراً ما رى فيها اسم أبي علي مشفوعاً بالترحم عليه والترضي عنه والاعجاب به يتردد في مواطن كثيرة فقد تردد اسمه في كتاب (الخصائص) وحده ما لا يقل عن (٢٢٤) مرة مترجماً عليه في أكثر من (٩٠) موضعاً مترضياً عنه مرات عديدة .

أمانته في النقل عنه : -

ابن جني أمين فيما ينقل عن استاذة وهو ينسب ما اخذه عنه اليه واذا نسي نص كلامه قال هذا معنى كلامه ، ويستعمل « احسب وأظن أحياناً متوخياً التدقيق في النقل » .

١ - فهو يقول مثلاً في (باب في تعارض السماع والقياس) ، وهو رأي أبي علي رحمه الله وعنه اخذته لفظاً ومراجعة وبحثاً . (٣)

٢ - سمع أبو علي أهل « هيت » ينطقون بفتحة غريبة ، ، وأظنه قال لي انني لما بعدت أنسيتها (٤) ، ،

٣ - وحدثنا أبو علي رحمه الله فيما حكاه وأظنه عن خلف الأحمر (٥) .

(١) ارتفاع قدره

(٢) الخصائص ٢٠٨/١

(٣) الخصائص ١٢٠/١

(٤) الخصائص ٩٢/١

(٥) الخصائص ٢٦٢/١

٤ - (باب في تجاذب المعاني والاعراب) يقول هذا موضع كان ابو علي يعتاده ويلم كثيراً به ويبعث على المراجعة له والطاق النظر فيه (١)

٥ - (باب في نقض الاصول وانشاء اصول غيرها منها) يقول « رأيت أبا علي - رحمه الله - معتمداً هذا الفصل من العربية دائم التطرق له والفزع فيما يحدث اليه » (٢) .

٦ - (باب في التجريد) قال « اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ورأيت أبا علي - رحمه الله - به غريباً معنيا ولم يفرد له باباً لكنه وسمه في بعض الفاظه فاستقريتها منه وأنقت لها » (٣) .

٧ - في كلامه على حروف المعجم يقول : « وهذا كله رأي أبي علي وعنه أخذته ، وقد أتيت في هذا الفصل من الاشتقاق وغيره بما هو معاني قوله وان خالفت لفظه » (٤)

الى غير ذلك من النصوص الكثيرة . فهو - كما نرى - أمين جداً في نقله عنه ، وقد كان يلحظ الامانة هو في شيخه والثقة فيما ينقل .

قال في (الخصائص) ، وهذا أبو علي - رحمه الله - كأنه بعد معنا ولم تبين به الحال عنا كان من تحوُّبه وتأنيه ونخرجه كثير التوقف فيما يحكيه دائم الاستظهار لا يراد ما يرويه فكان تارة يقول « أنشدت لجرير فيما أحسب ، وأخرى قال لي أبو بكر فيما أظن ، وأخرى في غالب ظني كذا وأرى اني قد سمعت كذا » (٥)

(١) الخصائص ٣ / ٢٥٥

(٢) الخصائص ٣ / ٢٢٧

(٣) الخصائص ٢ / ٤٧٣

(٤) سر الصناعة ١ / ٤٥

(٥) الخصائص ٣ / ٤١٣

فهو معجب - كما ترى - بأمانة شيخه وتوحيه التدقيق في النقل ولاشك في أن
لذلك أثراً كبيراً فيه هو أيضاً .
أثره فيه : -

لقد أثر أبو علي فيه ، في نهج بحثه وطريقة تفكيره وفتح له كثيراً من الابواب
بذكرها له تلميذه بأمانة فقد كان وفياً معه الى أبعد الحدود ، ويظهر هذا التأثير في
نواح عدة منها : -

(١) - القياس : - قال ابن جني « ونحن نعتقد ان اصحبنا فسحة أن نشرح
كتاب يعقوب ابن السكيت في القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه أمثل من
معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس انبل وانه من كتاب
لغة عند الناس .

قال لي أبو علي - رحمه الله - بحلب سنة ست واربعين « اخطىء في خمسين
مسألة في اللغة ولا اخطىء في واحدة من القياس » (١)
ولا يزيد أن نطيل فسياًتي منهجه في القياس فيما بعد

(٢) - التعليل : - يقول « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا
العلم ثلث ما وقع لجميع اصحابنا » (٢) وانت اذا تصفحت (الخصائص) رأيت ولع
ابن جني بالتعليل واغراقه فيه . لاحظ الخصائص ١ / ١٢٠ ، ١ / ١٢٢ ... وسنضرب
مثلاً في باب آخر

(٣) - في أصول النحو - واحيلك على كتاب (الخصائص) لترى ذلك فقد
تردد اسمه فيه أكثر من مائتي مرة ، لاحظ الخصائص ١ / ١٢٠ ، ١ / ٢٠٦ ، ١ / ٣٢١
٢ / ٤٧٣ وانظر كتاب (ابو علي الفارسي) للدكتور شبلي (٣)

(١) الخصائص ٢ / ٨٨

(٢) الخصائص ١ / ٢٠٨

(٣) ابو علي الفارسي ص ٦٣٧

(٤) - في ذكر مبادئ عامة في النحو واللغة ، انظر الخصائص ١ / ١٢١ ،
١ / ٢٠١ وهي تتردد كثيراً في كتبه .

(٥) - الاستعانة بعلوم اللغة الأخرى للاستشهاد والتدليل على المسألة كأن
يستفيد من العروض في اللغة وغير ذلك .

قال : ، وأخبرني (١) ايضاً قال : سألتني سائل قديماً فقال هل يجوز الحزم
في أول اجزاء متفاعلين من الكامل ؟ قال : ولم أكن حينئذ أعرف مذهب
العروضيين فيه ، فعدلت به الى طريق الاعراب ، فقلت : لا يجوز . فقال لم
لا يجوز ؟ فقلت لان التاء بعد الميم قد يدركها السكون في بعض الأحوال فيكره
الابتداء بحرف قد يكون في بعض احواله ساكناً في ذلك المثال بعينه كما كرهت
العرب الابتداء بالهمزة المخففة لأنها قد قربت من الساكن . أفلا ترى الى تناسب
هذا العلم واشتراك أجزائه حتى أنه ليحتاج عن بعضه بجواب غيره . (٢)

٦ - في بحوث أخرى : -

أ - الاشتقاق الأكبر - يقول - هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير
أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويخلد اليه . (٣)

ب - الجوار في نحو : - هذا جحر ضب خرب ، وتخرجه على حذف المضاف ،

قال : وعلى نحو من هذا حمل أبو علي رحمه الله .

* كبير أناس في بحار مزمل * (٤)

(١) يعني أبا علي

(٢) سر الصناعة ١ / ٥٥

(٣) الخصائص ٢ / ١٣٣

(٤) الخصائص ١ / ١٩١ - ١٩٢

ج - التجريد - قال - « اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن ورأيت أبا علي - رحمه الله - به غرباً معيناً ولم يفرد له باباً لكنه وسمه في بعض الفاظه فاستقريتها منه وانقت لها (١) .

د - في تلاقي اللغة - قال - هذا موضع لم اسمع فيه لاحد شيئاً الا لأبي علي رحمه الله وغير ذلك وغيره (٢) :

لاشبهة في أن القاريء لكتب ابن جني يلحس أثر شيخه أبي علي فيه وان أثره فيه أكبر بكثير من أثر شيوخه الآخرين بل لا يكاد المترجمون له يذكرون له من شيوخه غير أبي علي .

ولاريب ان للصحبة الطويلة بين التلميذ وأستاذه أثراً ضخماً في طبع روح الشيخ في تلميذه - طبعة منقحة معدلة - وتمكن المحبة بينها تمكناً عميقاً فبقيت ذكراها تعطر بعد وفاة شيخه في كتبه .
حقاً لقد كان التلميذ وفياً لشيخه متمسكاً في كل ذلك بأخلاق أجلة العلماء .

مع المتنبي :

ليس من شك في التقاء ابن جني والمتنبي في بلاط سيف الدولة ابن حمدان وفي شيراز عند عضد الدولة (٣) . لقد صحب أبو الفتح أبا الطيب دهرًا طويلاً (٤) وذكره في كتبه مرات مثنيًا عليه في حدة خاطره وتوقد ذكائه وشاعريته وصدقه كما كان أبو الطيب المتنبي مجلاً له معترفاً بفضله . ، وكان المتنبي يقول ابن جني

(١) الخصائص ٢/٤٧٣

(٢) الخصائص ١/٣٢١

(٣) مقدمة الخصائص ٢١

(٤) يتيمة الدهر ١/١٢٤

أعرف بشعري مني (١) ، ويقول هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس (٢). وكان المتنبي اذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول سلوا صاحبنا أبا الفتح (٣). وجاء في (مسالك الأبصار) (٤) « وكان ابو الطيب المتنبي اذا سئل عن معنى قاله أو توجيه اعراب حصل فيه اعراب دل عليه وقال : عليكم بالشيخ الاعور ابن جني فساوه فانه يقول ما أردت وما لم أرد » وهذا النص الأخير يدل على تمكن ابن جني وسعة علمه وقابليته في التعامل والتخريج : وسئل المتنبي عن قوله

* باد هواك صبرت ام لم تصبرا *

فقال « كيف اثبت الألف في (تصبرا) مع وجود « لم » الجازم وكان من حقه أن تقول (لم تصبر) ؟ فقال المتنبي لو كان ابو الفتح ههنا لاجابك ، يعني ، وهذه الالف هي بدل من نون التأكيد الخفيفة كان في الاصل (لم تصبرن) ونون التأكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها أبدل منها ألفا . (٥) وسئل المتنبي بشيراز عن قوله :

وكان ابنـاعـدو وكأثره له ياءى حروف انيسـيان

فقال : لو كان صديقنا ابو الفتح حاضرا لفسره (٦) ، قلت وتفسيره ان لفظة « انسان » خمسة أحرف اذا كانت مكبرة فاذا صغر قيل « انيسان » فزاد عدد حروفه وصغر معناه فيقول للمدوح ان عدوك الذي له ابنان فيكاثرك بهما

(١) شذرات الذهب ١٤١/٣

(٢) بغية الوعاة ص ٣٢٢

(٣) مقدمة الخصائص ص ٢١

(٤) ٣٠٦/٤ من النسخة المصورة في دار الكتب (عن مقدمة الخصائص ص ٢١).

(٥) رفيات الاعيان ج ٢ ص ٤١٢ نقلا عن شرح ديوان المتنبي لابن جني

(٦) معجم الادباء ٨٩/١٢

كأما زائدين في عدده ناقصين من فضله وفخره لانهما ساقطان خسيان كيأي
« انيسيان » زبدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه (١)

وكما كان ابو الطيب معجباً به فقد كان ابن جني معجباً به ذاكراً له
في كتبه مسجلاً له حضور ذهنه وحسن معاني وصدقه فيما يقول وكثيراً ما يطاق
عليه لفظه « شاعرنا » قال في (الخصائص) (في التقديم والتأخير) « ذاكرت المتنبي
شاعرنا » نحواً من هذا وطالبة به في شيء من شعره فقال لا ادري ما هو الا ان
الشاعر قد قال

* لسنّا كمن حلت أباد دارها *

البيت فمعجبت من ذكائه وحضوره مع قوة المطالبة له حتى أوود ما هو في
معنى البيت الذي تعقبت عليه من شعره (٢) .

يقول : وحدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً (٣) . وانظر
الخصائص ٢٧/٢ و ٣٠٢/١، ٢٤/١

وفي قراءة ابن جني على المتنبي ديوانه او تلمذته له خلاف ، فقد جاء في
(معجم الادباء) وحدث أبو الحسن الطرائفي قال « كان ابو الفتح عثمان
بن جني - يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً بنظره في شيء من النحر من غير أن
يقرأ فيه شيئاً من شعره أنفة واكباراً لنفسه (٤) »

وقال آخرون بل قرأ عليه ديوانه وتماجد له ، فقد جاء في (روضات الجنات)
وقرأ ديوان المتنبي على صاحبه (٥)

(١) معجم الادباء ١٢/١٠٢

(٢) الخصائص ٢/٤٠٣

(٣) الخصائص ١/٢٣٩

(٤) معجم الادباء ١٢/٨٩ بغية الوعاة ٣٢٢

(٥) وفيات الاعيان ٢/٤١٢ ، روضات الجنات ٤٤٦ ، العبر للذهبي حوادث

سنة ٣٩٢

والصواب انه قرأ عليه شعره فقد جاء في (الصبيح المدي) قال ابو الفتح
ابن جني لما قرأت علي أبي الطيب قوله في كافور
وما طربي اني رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن اراك فاطرب
قلت له : لم ترد علي أن جعلته ابا زنة (كنية القرد) فضحك ابو الطيب
فانه بالذم اشبه منه بالمدح (١) ،
وكما يقول هو نفسه في شرح الديوان كنت قرأت ديوان ابي الطيب
عليه فقرأت عليه قوله في كافور
الا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا اشتكي فيها ولا أتعجب
وبي ما يذود الشعر عي اقله ولكن قاي يا ابنة القوم قلب
فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟
فقال حذرناه وأنذرناه (٢) .

شرحه لديوانه : -

من المعلوم أن ابن جني شرح ديوان المتنبي شرحاً كبيراً سماه (الصبر) (٣)
أو (الفسر) (٤) وقيل (النشر) (٥) وشرحاً صغيراً في تفسير معاني هذا الديوان
وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة وذكرهما ياقوت في الاجازة (٦) والكتابان

(١) دائرة المعارف - لفؤاد البستاني ٤١٥/٢

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ حاشية ص ٤٥٣

(٣) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦ ، وفيات الاعيان ٢ / ٤٤١ ، هدية العارفين - المجلد

الاول ٦٥٢

(٤) كشف الظنون ٨١٠

(٥) شذرات الذهب ٣ / ١٤٠

(٦) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

موجودان مخطوطان الاول في المتحف الاسوية بموسكو ورقه ٢٧٥ وفي المتحف
البريطانية ١٠٤٠ ثاني ، والصغير في القاهرة « (١) . ٢٦٥ (٢) .

وذكر الباخريزي ذلك فقال : « فوري انه كشف الغطاء عن شعر المتنبي » (٣)
وذكر الاستاذ المرحوم طه الراوي انه « قد شرح ديوان المتنبي شرحا استفاد
منه كل شراح الديوان بعد لانه - لعشرته للمتنبي عرف الظروف والمناسبات
التي احاطت شعره » (٤)

وتناول النقاد شرحه فحمل عليه معاصره محمد بن حمد المعروف بابن فؤاد
حملة شعواء في كتابين هما (الفتح على ابي الفتح) و (النجفي على ابن جني) ولم
يتورع في ذلك (٥) وكذلك كتب أبو حيان التوحيدي المتوفى سنة / ٤٠٠ هـ رداً
عليه بعنوان الرد على ابن جني في شعر المتنبي (٦)

وكذلك الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ ٤٣٦ هـ) نقب الأشراف
العلوي له كتاب تدع فيه الأبيات التي تكلم عليها ابن جني (٧) وآخر ايضاً هو أبو
الغاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني صنف لهها الدولة البويهية (٣٧٩-٤٠٣ هـ)

(١) معجم الادباء ١٢-١١٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

(٣) دعية القصر ص ٢٩٧

(٤) ناربخ علوم اللغة العربية ص ١٩٣

(٥) ياقوت ج ٧ / ١٧٩٤ ، مقدمة الخصائص ص ٢٢

(٦) ياقوت ٥ / ٣٨١

(*) ذكر الاستاذ الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه (أبو حية - ان
التوحيدي) ص ٢٥٦ هـ هذا الكتاب وقال عنه « لم اعرف له نسخة ولا مأثوراً
في نقل »

(٧) ياقوت ٤ / ١٨٨ ، لسان المان ٤ / ٤ ٢٢

تهذيباً لشرح ابن جني الكبير في قالب مصحح مختصر (١) . ومنهم الربيعي علي بن عيسى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ له كتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي وهو ممن شارك ابن جني في الاخذ عن أبي علي وملازمته (٢) .

والشيخ العميد أبي سهل محمد بن الحسن الزوزني استدرأ على ابن جني باسم « قشر الفسر » منه نسخة بمكتبة طلعت بدار الكتب مخطوطة سنة ٤٧٥ هـ (٣) .

اعتزاله :

من الثابت أن ابن جني كان معتزلياً ، تتردد آراؤه في الاعتزال في كتبه وتطبع بحجته أحياناً . ومما يدل على اعتزاله : -

١ - ما جاء في (الخصائص) ، الحمد لله الواحد العدل القديم (٤) ، وفي مكان آخر ، انه أراد به عصر القديم (٥) وفي مكان آخر يقول وكذلك افعال القديم سبحانه (٥) ، وغير ذلك (٦) .

وتأكيد أن « القدم » من أخص معتقدات المعتزلة . قال صاحب (الملل والنحل) والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد والقول بأن الله تعالى قديم و«القدم» أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلاً (٧) وقال الجوهري غير المعتزلة انه عالم بعلم وحي بحياة وقادر بقدره وان هذه الصفات قديمة معه (٨) .

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب - لابن حجة الحموي ج ٥/٢٨٤

(٢) معجم الأدباء - رجسة الربيعي

(٣) مقدمة الخصائص ص ٢٢

(٤) الخصائص ١/١

(٥) الخصائص ٣/٢٥١

(٦) الخصائص ٢/٤٤٧

(٧) الملل والنحل - للشهرستاني ص ٤٩

(٨) مفاتيح العلوم - للخوارزمي ص ٢٧

٢ - جاء في (الخصائص) - وكذلك افعال التمديم سبحانه نحو خلق الله السماء والأرض وما كان مثله ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق أفعالنا ولو كان حقيقة لامجازاً لكان خالقاً للكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا عز وجل (١) .

وهذا رأي المعتزلة جاء في (مقدمة في أصول التفسير) ، وأما عدلهم فن مضمونه ان الله لم يشأ جميع الكائنات بل عندهم ان افعال العباد لم يخلقها الله لآخرها ولا شرها . (٢)

واتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها . (٣)
وان الله تعالى ليس خالقاً لافعال العباد (٤) .

٣ - جاء في الخصائص : - فأما قوله سبحانه : وفوق كل ذي علم عليم فحقيقة لامجاز وذلك أنه سبحانه ليس عالماً بعلم فهو اذن العليم فوق ذوي العلوم اجمعين (٥) ويقول ايضاً ، ولسنا نثبت له سبحانه علماً لانه عالم بنفسه . (٦)

وهذا رأي المعتزلة ويسمى التوحيد عندهم ، ومضمونه نفي الصفات . . .
وانه (سبحانه) لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع (٧) وانما هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم ولا قدرة وحياة . (٨)

٤ - المنزلة بين المنزلتين - عقد في (الخصائص) باباً (في الحكم يقف بين

(١) الخصائص ٤٤٩/٢

(٢) مقدمة في أصول التفسير - لابن يتيمة ص ٣٧

(٣) الملل والنحل ص ٤٩

(٤) اعتقادات لفرق المسلمين والمشركيين - لفخر الدين الرازي ص ٣٨

(٥) الخصائص ٤٤٩/٢

(٦) الخصائص ٤٤٩ / ٢

(٧) مقدمة في اصول التفسير ص ٣٧

(٨) الملل والنحل ص ٤٩ ومفاتيح العلوم ص ٢٧

الحكمين) محاولا تطبيق هذا المبدأ على مسائل نحوية كالكمرة قبل باء المتكلم في نحو (غلابي) أهى حركة اعراب أم بناء ؟ وما فيه اللام والاضافة نحو (الرجل وغلامك) أهو منصرف أم غير منصرف ؟ وغير ذلك ، وقرر ان هذه منزلة بين المنزلتين (١) ولا شك أن هذا مبدأ معنزي (٢)

٥ - قال في قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) انها ساق ربهم (٣) ويقول ايضا « فأما قول من طغى به جهله وغلبت عليه شقوته حتى قال في قول الله تعالى (يوم يكشف عن ساق انه اراد به عضو القديم فأمر نحمد الله على أن نزهنا عن اللام بمجراه » (٤) .

ولا شك انه يعني اهل السنة اذ جاء في صحيح البخاري - قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود . عن أبي سعيد رضي الله عنه قال « - سمعت النبي صلى الله عليه وسلم لم يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وبقي كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحداً (٥)

٦ - جاء في (المبهج) :- وقال لي مرة بعض أصحابنا من المتكلمين (٦) وجاء في (الخصائص باب في قوة اللفظ لقوة المعنى) وذاكرت بهذا الموضوع بعض أشياخنا من المتكلمين فسر به وحسن في نفسه (٧) فهو يذكر المتكلمين ويذكر أنهم أصحابه وأشياخه .

(١) الخصائص ٣٥٦/٢ و١٠ بعدها

(٢) مقدمة في أصول التفسير ٣٧ ، الملل والنحل ٥٢ ، الفصل في الملل ١١٣/٢

(٣) الخصائص ٢٤٦/٣

(٤) الخصائص ٢٥١/٣

(٥) التجريد الصريح - كتاب تفسير القرآن ج ٢/١١٤

(٦) المبهج ص ٣٥

(٧) الخصائص ٢٦٦/٣

فليس هناك شبهة في أنه معتزلي قال السيوطي :- ان ابن جني كان معتزلياً
كشيخه الفارسي (١) وقال في (المزهري) عنه :- وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي
معتزليين (٢)

هل كان شيعياً ؟

اختلف المترجمون لابن جني أكان شيعياً أم لا ؟ فذهب قوم الى أنه كان
شيعياً :-

١ - فقد ورد اسمه في (أعيان الشيعة) أبو الفتح عثمان بن جني وهو من
مشايخ السيد الرضي (٣) .

٢ - وورد ذكر قسم من مؤلفاته في كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة)
« الخصائص » ويقال له (خصائص العربية ، في فلسفة هذه اللغة وهو في النحو
لابي الفتح عثمان بن جني النحوي (٤) .

٣ - الصلاة على (علي) :- ومنه قول علي صلوات الله عليه الى الله أشكو
عجري ويجري (٥) وقد كان هذا من تقاليد الشيعة ومما يحرصون عليه ، ويذكر
المقرئ أن جوهر التائيد بعد ان تم له فتح مصر لسيد المعتز أمر بالجهار بالصلاة
على علي ابن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء . (٦)

٤ - التسليم على علي - ومن كلام ابن عباس في صفة أمير المؤمنين عليهما

(١) الاشباه والنظائر ٣٣٨/١

(٢) المزهري ١٠/١

(٣) أعيان الشيعة ج ٩/٣٩

(٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ٧/١٦٣

(٥) الخصائص ١٣٥/٢

(٦) مقدمة الخصائص ص ٣٧ ، الخطط المقرئية ١٥٦/٤

السلام (١) وهو من عادات الشيعة في الغالب .

٥ - الصلاة على الحسن - قال الحسن صاوات الله عليه ارجل سـ آله عن
صائم قاء . . . (٢)

٦ - وراه في خطبة « الخصائص » يقول - وصلى الله على صفوته مجد وآله
المنتجبين عليه وعليهم السلام أجمعين وراه يغفل ذكر الصحابة رضوان الله
عليهم في هذا المقام وكان هذا من شعار الشيعة [هـ] وراه ايضاً في هذا المقام لا يدخل
(على) على الآل وهذا مما يلتزمه الشيعة وفي حاشية عصمت على الجامى ص ٧ ،
منع الشيعة ادخال (على) على (الآل) عند التصلية على النبي وآله . (٣)

٧ - نزوله في دار الشريف أبي علي الجواني نقيب العلويين في واسط (٤)

٨ - علاقته الوثيقة بالشريف الرضى نقيب العلويين اذ هو من شايخه - كما
مر - ورثاه الشريف بقصيدة - دة ، ويهتم ابن جني بقصائد الشريف الرضى فيؤلف
كتاباً خاصاً بها سماه « تفسير العلويات (٥) وعلاقته بالسيد المرتضى »

وهو مما يستأنس به على أنه شيعي وليس دليلاً قاطعاً فقد رثى الشريف ابا
اسحاق الصابي فهل كان الصابي شيعياً ؟

٩ - ويرى أحد تلاميذ ابن جني علي بن أبي طالب في المنام بأمر ابن جني

(١) التمام ١٢٤

(٢) المقتضب ص ٢٣

(٣) مقدمة الخصائص ص ٣٧

(٥) راجع اخبار العباسيين المتأخرين وكتاباتهم فانهم كانوا يغفلون ذكر الصحابة

(٤) انباه الرواة ٢/٣٤٠

(٥) أبو علي الفارسي ٨٣

بإتمام كتاب المحتسب ويثبت هذه الرؤيا ابن جني بخطه على ظهر نسخة كتاب المحتسب (١) (*) .

١٠ - علاقته الوثيقة بعضد الدولة وعضد الدولة شيعي من قوم شيعيين (٢) وكان البويهيون حراساً على اظهار شعائر الشيعة . (٣)
ومن ذلك انه في سنة ٣٥٢ في يوم عاشوراء الزم معز الدولة أهل بغداد بالنوح واقامة المآتم على الحسين رضى الله عنه وأمر باغلاق الأسواق وعلقت عليها المسوح (٤) .

١١ - قصة الزرب وهي : - ان علي بن عيسى الربيعي كان على شاطيء دجلة في يوم شديد الحر فاجتاز عليه الشريف المرتضى ومعه ابن جني وعليهما مظلة تظلهما من الشمس . فهتف الربيعي بالمرتضى وقال له : ما أحسن هذا التشيع ! علي تتقلى كبده في الشمس من شدة الحر وعثمان عندك في الظل لئلا تصيبه الشمس . فقال المرتضى للملاح جد واسرع قبل أن يسبنا . (٥) وجاء في معجم الادباء أن ذلك كان مع الشريفين الرضى والمرتضى وأنه قال لهما من أعجب أحوال الشريفين ان يكون عثمان جالسا معهما في الزرب - وهو السفينة - وعلي على الشط بعيدا عنهما .
فبينما يفهم يقدمو (سر الصناعة) من هذه القصة ان الربيعي (به لوثه وجسارة وبدرات لا تؤمن وأنه كان شيعياً وان ابن جني لم يكن شيعياً (٦) يفهم

(١) معجم الادباء ١٢ / ١١٤ ، ابو علي الفارسي ص ٨٣

(*) كثير من أهل السنة رأوا علياً في المنام وآمنوا بهلذه الرؤى

(٢) ابن الاثير ٦ / ١٤٦

(٣) مقدمة الخصائص ص ٣٨

(٤) الكامل سنة ٣٥٢ ج ٧ / ٧ ، المنتظم سنة ٣٥٢ ج ٧ / ١٥

(٥) نزهة الالباء - ترجمة الربيعي

(٦) مقدمة سر الصناعة ٤١ - ٤٢

الدكتور الشلبي العكس فيقول - « وانت ترى ان القصة لا تنتهي بنا الى هذه النتيجة التي انتهى السادة الاساتذة اليها بل هي دليل على ثبوت التشيع عند ابن جني » (١)

(١٢) - اعترالته - والعلاقة بين التشيع والاعتزال وثيقة يقول منز - أما من حيث العقيدة والمذهب فان الشيعة هم ورثة المعتزلة ... (و) ان عضد الدولة وهو من الامراء المنتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزلة (المقدسني ٤٣٩) ويصرح المقدسني بأن الفاطميين يوافقون المعتزلة في أكثر الاصول (المقدسني ٢٣٨) ونجد الشيعة الزيدية يرتقون بسند مذهب المعتزلة حتى ينتهي الى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ويقولون ان واصلاً أخذ عن محمد بن علي بن أبي طالب وأن مجداً أخذ عن أبيه (منية الامل لاحمد بن يحيى المرتضى ١٣١٦ هـ ص ٥) والزيدية يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة . (خطط المقرئ ٢ / ٣٥٢) (٢)

« أما علاقة الشيعة بالمعتزلة فيقول كولد تسيهر ان الصلة بينهم أمر لا سبيل الى الشك فيه ومن الشيعة فرع الزيدية وهم أكثر من غيرهم ميلاً الى مذهب المعتزلة » (٣)

وهناك آخرون يرون أن ابن جني لم يكن شيعياً وإنما كان يصانع الشيعة لان ييدهم السلطان ، فالاستاذ مجد النجار يقول في مقدمة الخصائص « ولم يعرف عن ابن جني انه كان شيعياً ولكن يبدو من أمره أنه كان يصانع الشيعة ومحط في حبلهم ويأخذ أخذهم » (٤) وكذلك قال محققو سر الصناعة (٥) .

وأرى ان الرأي الثاني هو الصواب ، ان ابن جني لم يكن شيعياً وإنما كان يصانعهم وذلك لما يلي -

-
- (١) أبو علي الفارسي ٨٧
- (٢) الحضارة الاسلامية - آدم منز ٨٠ - ٨١
- (٣) الحضارة الاسلامية - لتز ص ٩٧
- (٤) مقدمة الخصائص
- (٥) مقدمة سر الصناعة ص ٣٤ ، ص ٤١ - ٤٢

١ - الترضي عن عمر « جاء في (المنصف) » ومنه قول عمر رضي الله عنه ،
« خشو شئنا وتمعددوا » (١) وجاء فيه « وقرأ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه
« الله لا اله الا هو الحي القيوم » (٢) ونحوه في اماكن اخرى .

٢ - الصلاة على الصحابة مع النبي . جاء في (المقتضب) - والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً « (٣) وفي (التصريف
الملوكي) « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . » (٤)

٣ - الفصل بين الصلاة على الرسول وآله بـ « على » وان ورد في اماكن
اخرى بغير فصل كما قال الاستاذ الشلبي ، وهو من شعائر الشيعة - كما مر - جاء في
(التصريف الملوكي) « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » (٥)

٤ - الترضي عن علي - جاء في (الخصائص) أولاً يعلم أن أمير المؤمنين علياً
رضي الله عنه هو البادئ والمنتهى عليه (٦) - يعني النحو - وشعار الشيعة التسليم عليه .
٥ - الترضي عن الحسن والرحم عليه - جاء في (الخصائص) -

« ومنه قراءة الحسن رضي الله عنه (صَادِ والقرآن) (٧) وجاء فيه ايضاً «
وقد حكي عن الحسن رحمه الله انه كان يقول « آمين اسم من اسماء الله عز وجل » (٨)

(١) المنصف ١ / ١٢٩

(٢) المنصف ٢ / ١٨ ، ٣ / ٦٣

(٣) المقتضب ٣٥

(٤) التصريف الملوكي ص ٢

(٥) المصدر السابق

(٦) الخصائص ٣ / ٢٠٩ - ٢١٠

(٧) الخصائص ٢ / ١٣٠

(٨) الخصائص ٣ / ١٢٣

وهو هنا يعني الحسن البصري وعلى أي حال فهو دليل على عدم شيعيته فإن كان يعني الحسن بن علي فشعار الشيعة هو السلام عليه وإن كان الحسن البصري فهو واضح .

وجاء فيه ايضاً : - فأما الحكاية عن الحسن رضي الله عنه وقد سأله رجل عن مسألة . (١)

٦ - امثاله التي يضربها تشعر بذلك ، فهو يقول في (الخصائص) ألا تراك لو قلت : دخلت البصرة فرأيت افضل من ابن سيرين لم يسبق الوهم الا الى الحسن رضي الله عنه (٢) وفي مكان آخر يقول : - وذلك نحو قولك فلان يقول بقول أبي حنيفة ويذهب الى قول مالك (٣) .

لقد كان في رجال الشيعة غنى لو كان كذلك .

٧ - الترحم على أبي حنيفة - جاء في الخصائص : - هذا موضع كان ابوحنيفة رحمه الله يراه ويأخذ به (٤) .

٨ - الترحم على أصحاب أبي حنيفة ، فقد جاء في (الخصائص) : - وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي رحمه الله (٥) ، وهو شيخ الحنفية ببغداد . وفي مكان آخر يقول وكذلك محمد بن الحسن (*) رحمه الله انما ينتزع اصحابنا منها العلل (٦) .

(١) الخصائص ٢/٤٦٨

(٢) الخصائص ٣/٢٣٣ - ٢٣٤

(٣) الخصائص ١/١٨

(٤) الخصائص ١/٢٠٨

(٥) الخصائص ١/٢٠٨

(٥) الامام ابو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله عنها ولد بواسط ونشأ بالكوفة ولد سنة ١٣٢ هـ ومات بالري سنة ١٨٩ هـ . تهذيب الأسماء واللغات - للنووي ١/١٨٠

(٦) الخصائص ١/١٦٣

(٩) له كتاب (مسألان من كتاب الايمان لمحمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي - فاتيكان ثالث - ملحق ٣٢) (١) . ونكتني بذلك .
ولذا أرجح ان ابن جني لم يكن شيعياً وانما كان مصانعاً للشيعة .
أ كان شعوبياً أم مفضلاً للعرب على غيرهم ؟
لقد علمنا أن ابن جني لم يكن عربياً في النسب وان كان عربي المنشأ والثقافة ،
ولكن كان رومياً يونانياً . وهو يذكر ذلك في أبيانه التي نقلناها عنه :-

فان أصبح بلا نسب	فعلمي في الوري نسي
على أني أوول الى	قروم سـادة نجب
قياصرة اذا نطقوا	أرم الدهر ذو الخطب
ألاك دعا النبي لهم	كفى شرفا دعاء نبي

أفكان شعوبياً يبغض العرب والعربية ، أم كان يحبهم ويفضلهم ؟
نستطيع أن ننظر الى هذا الامر من ناحيتين :-

أ - موقفه من العرب .

ب - موقفه من العربية .

أ - أما موقفه من العرب فانه موقف الحب والاعجاب والتقدير البالغ لهم . وهو
يكبر هذا الامر في كثير من المناسبات في كتبه ومن أمثلة ذلك :

١ - جاء في (الخصائص) :- فان قلت ومن أين يعلم أن العرب قد راعت
هذا الامر واستشفته وعنيت بأحواله وتبعه حتى تحامت هذه المواضع التحامي
الذي نسبته اليها وزعمته مراداً لها ؟ وما أنكرت أن يكون القوم أجنى طباعاً
وأبيس طيناً من أن يصلوا من النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لا يصح
لذي الرقة والدقة منا أن يتصوره الا بعد ان توضح له انحازوه بل أن تشرح له
اعضاؤه :

(١) تاريخ الادب العربي - بروكلمان ج ٢/٢٤٧

قيل له « هيهات ! ما أبعدك عن تصور احوالهم وبعد اغراضهم ولطف اسرارهم » (١) .

٢ - وجاء في (الخصائص) - قيل لن يخاو ذلك ان يكون خبراً روسلوا به أو تيقظاً نبهوا على وجه الحكمة فيه . فان كان وحيّاً أو ما يجري مجراه فهو أنه له واذهب في شرف الحال به لان الله سبحانه انما هداهم لذلك ووقفهم عليه لان في طباعهم قبولاً له وانطواء على صحة الوضع فيه لانهم مع ساقدمناه من ذكر كونهم عليه في اول الكتاب من لطف الحس وصفاته ونصاعة جوهر الفكر ونقائه لم يؤثروا هذه اللغة الشريفة المنتقاة الكريمة الا ونفوسهم قابلة لها محسة لقوة الصنعة فيها - معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها » (٢)

٣ - وجاء في (الخصائص) عن أعرابي قرأ (طوبى) (طيبي) ولم ينفع معه التكرار في قراءتها (طوبى) ، افلا ترى الى هذا الاعرابي وانت تعتقده جافياً كزراً لا دمثاً ولا طبعاً كيف نبا طبعه عن ثقل الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزّ ولا تمرين وما ظنك به اذا خلى مع سومه وتساند الى صليقته ونجره ؟ » (٣)

ب - حبه للعربية - وكما كان محباً للعرب كان ممتلئاً حباً للعربية وهو يكرر ذلك في مواطن كثيرة بحيث لا يبقى للقاريء في كتبه اي شك في اعجابه الكبير بها ومن أمثلة ذلك :

١ - جاء في (الخصائص) عن العرب - وقد ذكرناه قبلاً - انهم ، لم يؤثروا هذه اللغة الشريفة الكريمة الا ونفوسهم قابلة محسة لقوة الصنعة فيها معترفة بقدر النعمة عليهم بما وهب لهم منها . (٤)

(١) الخصائص ٧٢/١

(٢) الخصائص ٢٣٨/١ - ٢٣٩

(٣) الخصائص ٧٦/١

(٤) الخصائص ٢٣٨/١ - ٢٣٩

٢ - وجاء فيه ، لو أحسست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقّة والدقة لاعتذرت من اعتراؤها بلغتها فضلاً عن التقدير لها والتنويه منها (١) .

٣ - وجاء فيه :- وذلك انني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والرقّة والارهاف والرقّة ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمح به امام غلوة السحر (٢) .

٤ - وجاء :- وكلام العرب لمن عرفه وتدرّب بطريقها فيه جار مجرى السحر لطفاً وان جسا عنه اكثر من ترى وجفا (٣)

٥ - ويقول فيه :- فهذا أمر قد مناه امام القول على الفرق بين الكلام والقول ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ويعجب من وسع مذاهبها وبدعم ما أمد به واضعها ومبتدئها (٤)

ولا يذهبن بك الظن ان الابيات التي قالها تدل على شعوبية فيه وعلى بغض للعرب يطويه فهو لم ينتقص امة ولا شعباً وانما ذكر انتسابه الى العلم وهو من أجل الانساب . فان انتسب أحد الى فلان أو فلان فهو ينتسب الى العلم وينتهي اليه ، مع أن نسبه ليس قاصراً فهو ينتمي الى قياصرة ملكوا الدنيا ، فهل في هذا بأس ؟ وهل فيه انتقاص لأمة أو شعب ؟ أو ان ذكر نسبه بخير عند هذا انتقاصاً لنسب الآخرين ؟

لا شك ان ابن جنّي - كما نقلنا طرفاً من نصوصه - لا ينطوي على شيء من

(١) الخصائص ١ / ٢٤٢

(٢) الخصائص ١ / ٤٧

(٣) الخصائص ١ / ٢٠٥

(٤) الخصائص ١ / ١٧

الشعوبية ، بل العكس تماماً كان قابله مفعماً بالحب الكبير والنقـد البـالغ للعرب ولغتهم .

مكانته العلمية

بلغ ابن جني مكانة علمية سامية أثبتتها له المتقدمون والمتأخرون على السواء وكان مثارة إعجاب بالغ . ومن قرأ نصوص المترجمين له يكديقول انه بلغ مكانة في العربية لم يفلها أحد سواه . قال الباخري في (دمية القصر) : - هو أبو الفتح عثمان بن جني ليس لأحد في أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولا سيما في علم الاعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته (١) وقال الثعالبي فيه : - هو القطب في لسان العرب ، واليه انتهت الرياسة في الأدب ... وكان الشعر اقل خلاله لعظم قدره وارتفاع حاله (٢) وقال ياقوت : - عثمان بن جني النحوي ... من أحـذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه (٣) . ويقول صاحب الوفيات : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور كان اماماً في علم العربية ، (٤) وكان المتنبي يقول : - ابن جني أعرف بشعري مني (٥) وجاء في تاريخ ابن خلدون مثل ما وصل اليه بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتها (٦) .

(١) دمية القصر ص ٢٩٧

(٢) يتيمة الدهر ١٢٤/١

(٣) معجم الأدباء ٨١/١٢

(٤) وفيات الاعيان ٤١٠/٢ ، مرآة الجنان ٤٤٥/٤

(٥) شذرات الذهب ١٤١/٣

(٦) تاريخ ابن خلدون ص ١٠٠٠

أسوق هذه الأقوال مستغنياً عن التعليق ولو شئت لنقلت الكثير جداً (١).
وان شئت فارجع الى كتب التراجم واللغة ففيها مايدلك على سمو مكانته وعلو منزلته .

اما بالنسبة للمحدثين فلاشك أن ابن جني يتصدر المكانة السامية عندهم وخاصة عند علماء اللغة والصرف فلا تكاد تجد بحثاً في اللغة والاصوات والتصريف يخلو منه ذكر ابن جني ذاكرين له النظرات النافذات في هذا الميدان .

جاء في (دائرة المعارف الاسلامية) « ويعتبر ابن جني اكثر الثقات علماً بالتصريف » (٢) ويقول الدكتور محمد أسعد طلس « والتف تلاميذ أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتى أصبح امام بغداد وحيثها غير مدافع كما أصبح مرجع العالم الاسلامي في علوم العربية » (٣) ويقول في مكان آخر « أما بعد فنحن ازاء آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الامثال (٤) فقد بذل في اكتناؤه اسرار هذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الاصوات .. ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة الا من اطلع على آثار الصرفيين واصحاب المعاجم فانها كلها مطبوعة بطابعه » (٥) .

(١) انظر تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، نزهة الالباء ص ٢٢٨ ، انباه الرواة ٣٢٥/٢ ،
الكامل ٢١٩/٧ البداية والنهاية ٣٣١/١١ ، الانساب ١٣٩ آ ، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٤ ،
الكافي والالقباب ٢٤١/١ ، روضات الجنات ٤٤٦ ، بغية الوعاة ٣٢٢ ،
مفتاح السعادة ١٤/١ وسائر كتب التراجم .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ / ١٢٢

(٣) مجلة المجمع المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٢١

(٤) المصدر السابق ٦٢٢

(٥) المصدر السابق المجلد ٣١ ج ١ / ١١١

ويذكر الأستاذ (متس) ان «كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة اسرار اللغة من مبتكراته ، ويذكر أنه لم يجيء بعده عالم يتم ما بدأ به .» (١)

ويذكر الناشرون لسر الصناعة انه لا يكاد يعرف بين علماء العربية في القرن الرابع أو بعده نظير لابي الفتح عثمان بن جني الذي ترك ثروة تأليفية ضخمة يميزها الابتكار والطرافة واتساع الافق والكشف عن الاسرار اللغوية التي استقرت في الوعي الباطن لاجيال العرب ، وسهولة الاسلوب (٢) ، وبه وبشيخه ختم الائمة المبتكرون (٣) .

ويقول المرحوم طه الراوي بعد أن اثنى عليه ثناءً بالغاً « كان نسيج وحده في صناعة التصريف » (٤) وهو يعد بحق فيلسوف العربية وباقرها (٥) واكبر أئمة النحو بعد الخليل وسيبويه (٦) .

وانا لا أميل الى ما يذهب اليه بعض الباحثين ان سبب منحاه هذا المنحى وتصوره للعربية هذا التصور كونه من أب رومي، فانا لا انصور ان للجنس والنسب أثراً في العقلية ، فقد منح الله عباده من جميع الاجناس نعمة العقل ولم يختص جنساً منه بشيء وحرم آخرين .

وهذا ما كرهه الأستاذ أحمد أمين اكثر من مرة ، فهو يذكر عن أبي علي الفارسي انه كان مجددا أعلن القياس والثورة على القديم ولعل ذلك لأنه فارسي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦١٥

(٢) مقدمة سر الصناعة ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ٣٤

(٤) تاريخ علوم اللغة العربية ص ٢٦

(٥) مقدمة الخصائص ص ٢٦

(٦) الرد على النحاة - حاشية ص ٨٦

الاب (١) والأم ولأنه معتزلي (٢) وفي محاضراته (مدرسة القياس في اللغة) يجعل كذلك الفارسي وتلميذه ابن جني من أعلام مدرسة القياس ويقول : - فأما أبو علي الفارسي ففارسي الاب عربي الأم ... وأما ابن جني فهو من أب رومي (٣) ويقول في مكان آخر ، وقد أنجب العنصر الرومي ادباء وعلماء كان لهم في فهمهم وعلمهم طابع خاص لم يكن مألوفاً في العقلية العربية والفارسية ومن أشهر هؤلاء ابن الرومي الشاعر وابن جني النحوي (٤) وفي مكان آخر منه يقول : فابن الرومي وابن جني وامثالهما كانوا عرباً في المنشأ والمربي وكانوا روماً بعقائهم الموروث فجمعوا بين مزايا العقل المطبوع والعقل المصنوع وانتجوا منها نتاجاً صالحاً ذا طعم خاص (٥).

أنا أؤمن بامتزاج الثقافات فالشخص ينشأ في مكان ما يتشقف فيه ثقافة خاصة ثم ينزح الى مكان آخر يتلقى فيه العلم أو يقرأ كتباً الفت على غير ما ألف فيكتسب ثقافة أخرى تمتاز وتكون ثقافة خاصة وهذا يجري لجميع الأجناس ولجميع الثقافات وهو شيء طبيعي . أما أن الشخص لكونه رومياً أو فارسياً فإنه يجعل عقلية خاصة فهذا مالا اتصوره .

الثقة فيه

ان ابا الفتح بعد أن نال تلك المكانة العالية لم يكن مستغرباً أن يكون مودعاً للثقة فيما يكتب ويقول . ولو رجعت الى كتب اللغة كلسان العرب والمخصص لابن سيده والمحكم له ، واذا تركنا هذه الى (المثل السائر) أو (سر الفصاحة) ، وغيرها من الكتب وجدت آراءه وكلماته وتعليقاته وما نقل عن العرب منتشرة مبثوثة فيها ،

(١) اشرنا أن هذا وهم ازاله فيما بعد وقرأ النص التالي

(٢) ظهر الاسلام ٨٩/٢

(٣) (مدرسة القياس) - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧/٣٥٣ - ٣٥٤

(٤) ظهر الاسلام ٢٦٧/١

(٥) ظهر الاسلام ٦٩/١

ولاعجب في ذلك اذا كان « هو القطب في لسان العرب واليه انتهت الرياسة في الادب » (١) كما يقول صاحب اليتيمة .

فمثلا نرى (لسان العرب) ينقل تعبيراً له وهو قوله « ومنهم من يخف ويسرع قبول ما سمعه » ويورده ليدل على استعمال أسرع متعبداً (٢) فيقول « فهذا اما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وأما أن يكون اراد (الى قبوله) فحذف وأوصل . »

ومثل آخر ماجاء في (الخصائص)

مارية لؤلؤ ان اللون اوّدها طل وبنس عنها فرقد خصر

ثم قال : وقوله - بنس عنها هو من النوم « (٣) وفي اللسان :

(بنس) قال ابن سيده - قال ابن جني - قوله بنس عنها انما هو من النوم غير انه انما يقال للبقرة ولا اعلم هذا القول من غير ابن جني « (٤) وفيه (فرح) - « ورجل فرح وفرح ومفروح عن ابن جني » وفيه - (خرف) ، « الخرف - رفع ، والخرف - رفع والخرف بكسر الخاء وضم الفاء الاخيرة عن ابن جني » (٥) (والفصيل) بكسر الصاد وضم الباء - عن ابن جني واستكبر الشيء رآه كبيراً وعظم عنده ، عند ابن جني « (٦) .

وفي « الهمع » فعلاات ويجوز الفتح والاسكون مع الاتباع بشرط ان تكون

(١) اليتيمة ١ / ١٢٤

(٢) دائرة المعارف - فؤاد البستاني ٢ / ٤١٨

(٣) الخصائص ٢ / ٢٤

(٤) مقدمة الخصائص ص ٣٣

(٥) الخصائص ١ / ٦٨ ومقدمة الخصائص ص ٣٣

(٦) لسان العرب ، مقدمة الخصائص ٣٣

الفاء مضمومة أو مكسورة لا تفتوحه الا في ثلاثي معتل اللام نحو ظبية فيجوز فيه
ظبيات بالسكون اختياراً في لغة حكاها ابن جني والمشهور الفتح . « (١)
وفيه » ولا يثنى أجمع وجمعاء على رأي البصريين الاستغناء عنها بكلاو كلتا
ولم يجمع يسار استغناء عنها بجمع (شمال) .
قاله ابن جني في كتاب التمام « (٢) .

واخيراً أنقل لك هذا النص عنه هو نفسه لترى سعة ثقافته واطلاعه وثقته
بنفسه . قال في (الخصائص) « فهذه هي الاصول التي يكون فيها المثالان أصليين .
وما علمنا ان وراء ما حضرنا وأحضرنا منها مطلوباً فيتعب بالتماسه وتطلبه . « (٣)
أدبه - شعره ونثره

شعره

لابن جني شعر جيد الا انه كان مقلاً ، ذكرت كتب التراجم أنه كان يقول
الشعر ويجيد نظمه (٤) ، وان له اشعاراً حسنة (٥) . وذكر ابن ماكولا ان له شعراً
بارداً وكذا في الكامل (٦) .

وقال الباخرزي « وما كنت اعلم أنه ينظم القريض أو يسبغ ذلك الجريض
حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها (٧) .

(١) مع الهوامع ٢٤/١

(٢) مع الهوامع ٤٣/١ - لاحظ التمام ص ١٢٢

(٣) الخصائص ٥٨/٢

(٤) تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، نزهة الالباء ص ٢٤٨

(٥) وفيات الاعيان ٤١٠/٢

(٦) الكامل لابن الاثير حوادث سنة ٣٩٣

(٧) دمية القصر ص ٢٩٧

غاض القريض وأودت نضرة الادب وصوحت بعد ري دوحة الكتب
وذكروا من أشعاره :

فان اصبح بلا نسب فعلمي في الوري نسبي
وهي قصيدة طويلة (١)
وذكروا من شعره :-

صدودك غني ولاذنب لي يدل على نية فاسده
وقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة أن لا أراك لما كان في تركها فائده (٢)
ويقال ان هذه الابيات لغيره وكان قائلها أعور (٣) أيضاً . وله شعر جميل
بأخذ باللب من مثل :-

غزال غير وحشي	حكي الوحشي مقلته
رآه الورد يجني الور	د فاستكسه - اه حلتته
وشم بأنفه الريحما	ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبما	ء فاختلسته نكهته (٤)

أسلوبه ونثره

وكما كان لابن جني شعر حسن كان له نثر يتميز بالسلاسة والسهولة والفصاحة
وكانت عبارته جميلة ، وأنت اذا قرأت في كتبه ترى عبارة سهلة عذبة فصيحة
واسلوبا سائغا وتعبيرا محكما (٥) .

(١) تاريخ بغداد ٣١١/١١ ، نزهة الالباء ٢٢٨ ، انباه الرواة ٣٣٦/٢

(٢) نزهة الالباء ٢٢٨

(٣) البداية والنهاية ٣٣١/١١ وقد مر ذلك

(٤) يتيمة الدهر ١٢٤/١ (٥) دائرة المعارف - لفؤاد البستاني ٤٢٠/٢

يقول الدكتور محمد أسعد طلس « فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً
كتب في النحو والصرف والبلاغة باغة كلها سلاسة وعدوبة وكلها جمال ولذة
بأسلوب فني رائع إلا الامام أبا الفتح بن جني وإلا الامام عبدالقاهر الجرجاني
رحمهما الله (١). »

لقد جمعت عبارته بين الوضوح والجمال فهني تكاد تخاو من الغريب
والتعقيد مرتبط بعضها ببعض متسلسلة تسلسلاً منطقياً ولا ينتقل الى موضوع
جديد إلا اذا أشبع موضوعه بياناً وأملت نفسه اطمئناناً (٢).

يقول الابيوردي في أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي :- وهو يتفاح في
تصانيفه كابن جني (٣) فهو اذن مشهور بالتفاح في أسلوبه ، والمرزوقي أيضاً
ممن أخذ عن أبي علي (٤) .
ومن نثره في خطبة نكاح :-

الحمد لله فاطر السماء والارض ، ومالك الابرار والنقض ، ذى العزة والعلاء ،
والعظمة والكبرياء ، مبتدع الخلق على غير مثال ، والمشهود بحقيقته في كل حال ...
وأشهد شهادة تخضع لعلوها السماوات وما أظلت ، وتعجز عن حملها الارضون
وما أقلت ، أنه مالك يوم البعث والمعاد ، القائم على كل نفس بالمرصاد ، وأن
لا معبود سواه ولا إله إلا هو ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، وبجل وكرم ، عبده
المنتخب ، وحجته على العجم والعرب (٥)

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٤/٦١٣

(٢) مقدمة سر الصناعة ص ٢٢

(٣) معجم الادباء - ترجمة المرزوقي ج ٢/١٠٤ عن مقدمة الخصائص ص ٢٧ .

(٤) المصدر السابق

(٥) معجم الادباء ٩٣/١٢

مأخذ وملاحظات

وهناك هنات يسيرة تؤخذ عليه منها :-

١ - جاء في (الخصائص) :- كما ان القول قد لا يتم معناه الا بغيره (١) .
وجاء في (المنصف) :- وكذلك مثال (مفاعل) قد لا ينصرف معرفة ولا نكرة (٢)
وذكر صاحبا المغني والقاموس ان (قد) مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت
المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس (٣) .

٢ - استعمل (كافة) معرفة بأل ومضافة في أماكن كثيرة نحو قوله :-
« والوجه فيه ما عليه الكافة (٤) » وجاء فيه « اجازة هذا مذهب سيبويه وأبي
الحسن وكافة أصحابنا » (٥) وانظر أيضا الخصائص ١/١٨٨ ، ١/٢٤٣ ، ١/٣٥٥ ،
٢/١٥ ، ٢/١٥ أيضا ، ٢/٣٨٨ ، ٢/٤٦٦ ، ٣/٢٢٠ ، ٣/٢٤٥ وسر الصناعة ١/٤٨ ،
٢/٨٢ ، ١٤٥ ، ١٩٨ والتمام ٥٥ .

ذكر صاحب القاموس أن ذلك لا يجوز (٦) ، وذكر آخرون ان ذلك أسلوب
عربي سائغ مقبول (٧) .

٣ - وجاء في (الخصائص) - وبذلك تعرف حاله أصاب هو أم رخص؟
وأصبح هو أم سقيم (٨)

(١) الخصائص ١/٢٠

(٢) المنصف ٢/٧١

(٣) مغني اللبيب (قد) ١/١٧١ ، القاموس المحيط (القد) ، مقدمة الخصائص ٢٨

(٤) الخصائص ١/٩

(٥) الخصائص ١/١٨٨

(٦) القاموس المحيط (الكف)

(٧) انظر تاج العروس - شرح القاموس ، الصحاح للجوهري ، لسان العرب

(٨) الخصائص ١/٣٦

والصواب أو صحيح هو أم سقيم (١)

٤ - وجاء فيه : - فقد ترى الى معرفة اسبابه (٢) وجاء فيه « وقد ترى ذلك الى كثرة ما توالى فيه الضماتان » (٣) وجاء فيه ايضا « فقد ترى الى توافي هذه الاشياء (٤) . وهذا التعبير لا يصح اذ الرؤية بالعين تتعدى الى مفعول واحد ومعنى العلم تتعدى الى مفعولين (٥) و (ألم تر الى كذا) كلمة يقال عند التعجب وعند تنبيه المخاطب (٦) كقوله تعالى - ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم ؟

٥ - جاء في (الخصائص) : - وكذا ينبغي ان يعتقد ذلك منهم لما نذكره آنفاً (٧) ، و ، آنفاً ، اي ، قبيلاً ، (٨) وسالفاً (٩) والصواب على هذا ان يقال لما ذكرناه آنفاً ، او لما نذكره بعد .

٦ - جاء في (الخصائص) « لاسيما والقياس اليه مصغ (١٠) وفيه : لاسيما

(١) شرح الرضي على الكافية - ٤٣١/٢ ، شرح المفصل - ١٥١/٨ ، مقدمة

الخصائص ٢٨

(٢) الخصائص ٥٠/١

(٣) الخصائص ١٧٧/٣

(٤) الخصائص ١٢٣/١

(٥) الصحاح

(٦) القاموس المحيط (الرؤية) ، لسان العرب (رأى)

(٧) الخصائص ٢٤٥/١

(٨) لسان العرب

(٩) الصحاح وانظر تاج العروس

(١٠) الخصائص ٣٠٩/١

والاصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس (١) وانظر الخصائص أيضا ١٨٧/٢ ، ٤٠٧ ،
١٢٨/٣ ، وسر الصناعة ٥٧/١ ، ٥٧ ، أيضاً ٨١ ، والنمام ٢٢٢

وهذا التعبير منعه المرادي وجوزه آخرون وقالوا هو تركيب عربي . (٢)

٧ - جاء في (الخصائص) - وقد كان أبو علي رحمه الله كتب الي من حلب
جوابا على سؤاله اياه عنها (٣) وجاء فيه ، اخذ في الجواب عليه ، (٤) وجاء فيه :
فهذه كلها ونحوه من غير ما ذكرنا اجوبة صحيحة على اصول فاسدة ، (٥) .
والصواب أن يقال : - أجاب عن سؤاله (٦) لاعلى سؤاله .

٨ - جاء في (الخصائص) : - فلما كان الامر كذلك اقتضت الصورة رفض
البعض واستعمال البعض (٧) وجاء في (المبهج) ، وانا اذكر البعض منها ليبدل على
الكل ان شاء الله (٨) .

وبعض لا تدخله اللام خلافا لابن درس - توبه (٩) وقد استعمالها سيبويه
والاخفش في كتابيهما (١٠) .

(١) الخصائص ٣٦١/١

(٢) الرضي على الكافية ٢٧١/١ ، حاشية الصبان ١٦٨/٢ ، مقدمة الخصائص ٢٩

(٣) الخصائص ٣٨/٣

(٤) الخصائص ٣٢٨/٣

(٥) الخصائص ٣٣٠/٣

(٦) الصحاح ، لسان العرب (جوب) و (تاج العروس) (الجواب)

(٧) الخصائص ٦٤/١

(٨) المبهج ٢٩٩

(٩) انظر القاموس (بعض) وتفصيل ذلك في اللسان وفي تاج العروس ، مقدمة

الخصائص ٢٨

(١٠) المصدر السابق

٩ - جاء في (الخصائص) - ثم ألا ترى الى صحة طوال ... ثم ألا ترى الى صحة طواء . (١)

والصواب اثم . وقد أشار الى هاتين النقطتين الاستاذ محمد النجار في مقدمة الخصائص ؛

١٠ - جاء في (سر الصناعة) : - ألا ترى أنك اذا قلت « قمت وزيدا قد كان يجوز ذلك » والصواب ربط الجواب بالفاء أي فقد كان يجوز .

١١ - جاء في (المنصف) : - واذا ثبت انها فعل - قد يخلو من أن تكون في الاصل فَعَلْ أو فَعُلْ أو فَعِلْ . (٢)
والصواب فقد يخلو .

١٢ - جاء في (المبهج) : - إنما يكون هواياها لا طيفاً على الحقيقة ... أي اذا كان هو هي فلا محالة انها حاضرة ناظرة الى ما يجري هناك (٣) .
والصواب .. اذا كان هواياها فلا محالة ، والغريب أن الضمير الاول اتى به نصباً والثاني رفعاً .

١٣ - جاء في (الخصائص) : - ووجوه الحكمة فيها خفية عنا (٤) وجاء فيه : -
وان خفيف عنا اغراضه ومعانيه (٥) . وجاء في (المنصف) فلو كان له « ركك »
أصل في كلامهم لما خفي عنه (٦) .

(١) الخصائص ١/١٥٩

(٢) المنصف ١/٢٨٥

(٣) المبهج ٥٢

(٤) الخصائص ١/٤٨

(٥) الخصائص ١/٥٢

(٦) المنصف ٢/٣١٠

والذي نعلم أنه في الأمور المعنوية يقال خفي عليه (١) الأمر وفي المحسوسات يقال :- « خفي عنه » .

١٤- جاء في الخصائص :- وذلك انه على حذف المضاف لاغير (٢) قالت طائفة :- لا غير لحن ، وقد رد عليهم صاحب المحيط قال لانه مسموع (٣) . واستشهد ببيت في ذلك هو :-

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا لعن عمل أسلفت لاغير تسأل
١٥- جاء في (الخصائص) :- وأما أنا فأجيز أن تكون الهاء في قوله :

• جزى وبه عني عدى بن حاتم •

عائدة على عدى خلافا على الجماعة (٤) .

والذي نعلم ان الصواب « خلافا للجماعة » .

١٦- جاء في الخصائص :- ألا ترى انك اذا قلت : ما جاءني غير زيد فانما في هذا دليل على أن الذي هو غيره لم يأتك ، فأما زيد نفسه فلم تعرض للاخهار عنه باثبات مجيء له أو نفيه عنه فقد يجوز أن يكون قد جاء وأن يكون أيضاً لم يجيء (٥) .

والمعلوم في نحو هذه العبارة أن يكون معناها مثل : ما جاءني الا زيد (٦) .

١٧- جاء في مقدمة الخصائص في قول ابن جني « وانما جاز ذلك في هذا

(١) اللسان (خفا)

(٢) الخصائص ١/ ١٩٢

(٣) القاموس المحيط (الغبرة)

(٤) الخصائص ١/ ٢٩٣

(٥) الخصائص ١/ ١٣٥ .

(٦) حاشية الصبان ٢ / ١٥٤ ، حاشية الخصائص ١ / ١٣٥ رقم (٦)

الموضع لا لشيء يرجع الى نفس أو بل لقريئة انضمت « (١) وهذا اسلوب غير قاصد فان (لا) في قوله (لا لشيء) عاطفة ولم يتقدم معطوف .

١٨- جاء في (الخصائص) :- ألا تراهم كيف يدخلون تحت قبح الضرورة مع قدرتهم على تركها ليعادوها لوقت الحاجة اليها ، فمن ذلك قوله :-

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كلامه لم أصنع

أفلا تراه كيف دخل تحت ضرورة الرفع ولو نصب لحفظ الوزن وحي جانب الاعراب من الضعف (٢) .

ورد ذلك الامام عبدالقاهر الجرجاني قال « وإذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه الا الحاجة له الى ذلك ، والا لانه رأى النصب يمنعه ما يريد ، وذلك انه اراد انها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً ولا بعضاً ولا كلاً . والنصب يمنم من هذا المعنى . ويقتضي ان يكون قد أتى من الذنب الذي ادعته بعضه » (٣) فان قلت : لم آخذ كل الدراهم فعنى ذلك انك اخذت بعضاً منها واذا قلت كل ذلك لم يكن فعناه انه لم يكن منه شيء* (٤) .

١٨- جاء في (المقتضب) :- وهذا هدف مهيف عنه أي اصاب السهم

(١) الخصائص ١ / ٣٤٨

(٢) الخصائص ٣ / ٦١

(٣) دلائل الاعجاز ٢١٥

(*) يشكل على البيانين نحو قوله تعالى (ان الله لا يحب كل مختال فخور) والجواب عن الآية بأن دلالة المفهوم انما يعول عليه عند عدم المعارض وهو هنا موجود ، اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً

(انظر مغني اللبيب - كل ١ / ٢٠٠)

عنه أي عدل (١) ولعل هنا تصحيحاً في الكلمة (اصاف) بزيادة الميمزة في اولها والصواب (صاف) (٢) ولو كان المقصود به الرباعي لقال (مصاف) ؛

٢٠- جاء في (الخصائص) والمعنى الذي يرفع الفعل هو وقوع الفعل موقع الاسم ، وجاز في الافعال ان يرفعها المعنى كما جاز في الاسماء ان يرفعها المعنى اعني الابتداء لمضارعة الاسم للفعل (٣)

والامثل ان يقول : لمضارعة الفعل للاسم فالفعل المضارع هو الذي يشبه الاسم ويضارعه ولذلك سمي كذلك ومحمل عليه .

تلامذته

أخذ عن أبي الفتح بن جني جماعة كثيرون من أشهرهم :-

الشريف الرضي (٤)

وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى (٥) الشاعر المشهور ، ولد ببغداد سنة ٣٥٩هـ وتلقى العلوم والآداب على أساتذتها وعلمائها ودرس اللغة على أبي الفتح عثمان بن جني حتى صار بارعاً في الفقه والفرائض والآداب وسائر فروع العلم (٦). ابتداءً يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين (٧) حتى صار شاعراً فريداً به . وقد رثى السيد الشريف أبا الفتح بقصيدة مطلعها :-

(١) المقتضب ٢٥

(٢) انظر الصحاح (الصوف) والقاموس (الصوف)

(٣) الخصائص ١ / ٢٧٦

(٤) روضات الجنات ٤٤٦ ، الكنى والالقب ١-٣٠٦ ، أعيان الشيعة ج ٣٩

ص ٢٠٩

(٥) الكامل ٧-٢٨٠ ، مصادر الدراسة الادبية ص ١٨٩

(٦) تاريخ الادب العربي - لحنا الفاخوري ص ٦٦٦

(٧) بتيمة الدهر ٣-١٣٦

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق
وهي في ديوانه (١) ومنها :-
لتبك أبا الفتح العيون يدمعها
شقيتي اذا التأت الشقيق وأعرضت
وقال فيه قصيدة أخرى مطامها :-
أراقب من طيف الحبيب وصالا
ويأبى خيال أن يزور خيالا
ومنها :-

وأكبر همي أن ألقي فاضلا
فدى لأبي الفتح الأفاضل انه
اذا جرت الآداب جاء أمامها
أصادف منه للغايل بلالا
يسبر عليهم إن أرم وقالوا
قرباً وجاء الطالبون لإفالا (٢)
وهي في ديوانه (٣) توفي السيد الشريف ببغداد سنة ٤٠٦ هـ في خلافة
القادر بالله .

عمر بن ثابت الثمانيني :-

أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني (٤) النحوي الضرير ، وهو من (ثمانين) بلفظ
العدد بليدة في ناحية الموصل يقال انها أول قرية بنيت بعد الطوفان بناها الثمانون
الذين خرجوا من السفينة وسميت بهم (٥) امام فاضل وأديب (٦) أخذ عن أبي الفتح

(١) المجلد الثاني ٦٣

(٢) القريع « فعل الابل ، الافال » الواحد أفيل : الفصيل

(٣) المجلد الثاني ١٦٦

(٤) نزهة الالباء ص ٢٤٠

(٥) بغية الوعاة ٣٦٠

(٦) معجم الادباء ٥٧/١٦

عثمان بن جني وأخذ عنه أبو المعمر يحيى بن طباطبا العلوي (١) مات سنة ٤٤٢ هـ وله شرح اللمع لابن جني وهو موجود مخطوط منه نسخة في القاهرة - ثاني ١٣٥/٢ (٢) وشرح الملوكي في التصريف لابن جني ايضاً (٣) وكتاب المفيد في النحو (٤) .

أبو أحمد عبد السلام البصري : -

عبد السلام بن الحسين (٥) بن محمد أبو أحمد البصري اللغوي ، سكن بغداد ، كان لغويًا فاضلاً قارئاً للقرآن عالماً بالقراءات وكان يتولى ببغداد دار العلم وحفظ كتبها والإشراف عليها .

ولد سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء لسبع خلون من المحرم سنة خمس وأربعمائة في خلافة القادر بالله .

قرأ على الفارسي والسيرافي وابن جني وسمع محمد بن اسحاق بن عباد التمار وجماعة من البصريين وحدث عنه عبدالعزيز الأزجي وغيره (٦) .

أبو الحسن السمسعي (٧)

علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السمسعي اللغوي كان لغويًا ثقة أخذ عن أبي

(١) نزهة الالباء ٢٤٠ ، بغية الوعاة ٣٦٠

(٢) بروكلمان ٢٤٧/٢

(٣) نزهة الالباء ٢٤٠

(٤) معجم الادباء ٥٧/١٦ ، بغية الوعاة ٣٦٠

(٥) في نزهة الالباء (الحسن) ٢٣١

(٦) نزهة الالباء ٢٢٩-٢٣١ ، انباه الرواة ١٧٥/٢ ، تاريخ بغداد ٥٧/١١ ، بغية

الوعاة ٣٠٦ ، ٣٢١

(٧) في انباه الرواة ٢-٢٨٨ ، وفيات الاعيان ٤٧٤-٢ وتاريخ بغداد ١٢-١٠ =

الفتح بن جني (١) وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا الفضل بن المأمون (٢) وقرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي (٣). قال الخطيب البغدادي : - كتبت عنه وكان صدوقاً (٤) وكان صاحب خط متقن في الصحة مرغوب فيه لتحقيقه . كتب الكثير ونصدر ببغداد للرواية وأقرأ الادب (٥) مات في المحرم سنة خمس عشرة واربعمائة في خلافة القادر بالله . (٦)

ثابت بن محمد الجرجاني الاندلسي : -

أبو الفتوح كان اماماً في العربية متمكناً في علم العرب ومولده سنة خمسين وثلثمائة ودخل بغداد وأقام بها طالباً . روى ببغداد عن ابن جني وعلي بن عيسى الربيعي وعبد السلام بن الحسين البصري وروى كثيرا من علم الادب ... شرح جمل الزجاجي . قال ابن بشكوال قتل في المحرم من سنة ٤٣١ (٧) .

علي بن زيد القاشاني -

علي بن زيد القاشاني النحوي ، أحد أصحاب أبي الفتح بن جني وهو صاحب

= (السهماني) قال ابن خلكان ولا اعرف نسبته الى ماذا هي ... ثم بين انه نسبة الى السهم خطأ والصواب سسمي

(١) زهرة الالباء ٢٣٢

(٢) تاريخ بغداد ١٢-١٠ ، انباه الرواة ٢-٢٨٨

(٣) معجم الادباء ج ١٤ ص ٥٨

(٤) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠

(٥) انباه الرواة ٢-٢٨٨ ، معجم الادباء ج ١٤ ص ٥٨

(٦) زهرة الالباء ٢٣٢ ، معجم الادباء ج ١٤ ص ٥٨

(٧) معجم الادباء ٧-١٤٥ ، البغية ٢١٠

الخط الكثير الضبط المعقد سلك في طريقة شيخه أبي الفتح (١)

ومن تلاميذه أيضاً الأمير عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ صاحب سر الفصاحة (٢). ومحمد بن عبدالله بن شاهويه وحدث بالاجازة عن أبي الفتح بن جني وذكر أنه قرأ عليه من كتب الادب والنحو. (٣)

أثره في الكتب بعده

من يطلع على المعجمات وكتب اللغة وكتب اصول النحو وكتب التصريف يجد أثر ابن جني واضحاً فيها ، وكأن كتبه كانت المعين لها يقول ميتس « وكما ان كتب اللغة التي الفت بعد الجوهري كلها عيال عليه فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفة أسرار العربية فانها مما ابتكر الامام ابن جني الذي فهم اسرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق وأنه لمن المؤسف أن لايجيء بعد ابن جني عالم يتم مابداً به مع أن كل الذين جاؤا من بعده قد استفادوا من كتبه ». (٤)

ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة الا من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعجمات من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه (٥) .

ومن يتصفح لسان العرب والمخصص لابن سيده والمحكم له وسر الفصاحة للخفاجي والمثل السائر لابن الاثير والاشباه والنظائر للسيوطي والاقتراح له وكتب التصريف يدرك مدى الاثر الذي طبعه فيها فصاحب اللسان كثير النقل عن ابن جني - وقد ضربنا أمثلة لذلك - وكذلك ابن سيده في كتابيه المخصص والمحكم وربما

(١) معجم الادباء ١٣ / ٢١٨ ، البغية ٣٣٨

(٢) أعلام النبلاء ١ / ٢٠ ، فوات الوفيات ١ / ٤٨٩ ، مقدمة سر الصناعة ١٧

(٣) البغية ٥٢ - ٥٣

(٤) ميتس ٢٢٧

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي - الدكتور محمد أسعد طلاس المجلد ٣١ ج ١ / ١١١

أورد ألفاظه وعباراته دون أن يشير إليه (١) فثلاً يقول ابن سيده في بحث أصل اللغة أمتواطاً عليها أم الهام « وقد أدمت التنقيير والبحث مع ذلك عن هذا الموضوع فوجدت الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري وذلك لأننا اذا تأملنا حال هذه اللغة الشريفة الكريمة . . . » وأول الكلام في (الخصائص) « واعلم فيما بعد أنني مع تقادم الوقت دائم التنقيير والبحث عن هذا الموضوع فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري » وفي (المحكم) ٢ / ٥٦٨ ترجمة (فوه) يسوق ابن سيده كلاماً طويلاً في أصل « فم » ثم يقول « فالقول في تشديد الميم عندي أنه ليس بلغة في هذه الكلمة (فقه) » ولم ينسبه ابن سيده الى ابن جني وهذا البحث برمته في سر الصناعة في أول حرف الميم (٢) . وفي (المحكم) أيضاً نقل فصلاً في تفسير النحو أنشأه ابن جني في (الخصائص) لم يعزه الى صاحبه وجاء صاحب اللسان فعزاه الى ابن سيده (٣) . ويذكر السيوطي في مقدمة « الاقتراح » أنه استمد كثيراً من كتاب « الخصائص » فيقول « واعلم اني قد استمددت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب « الخصائص » لابن جني فإنه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو (٤) ولو تصفحت كتاب « الاشباه والنظائر » له وتابعت العناوين التي صدرها بمحثة لوجدت أثره فيه بيناً فإنك تجد فيه من مثل الاتباع ، الاتساع ، اجراء اللزوم مجرى غير اللزوم ، مطابقة المعنى للفظ ، اصلاح اللفظ ، الاستغناء وغير ذلك ومجرد النظر الى هذه العناوين يدل دلالة واضحة على أثر ابن جني فيه

آثاره

خاف ابن جني كتباً كثيرة في النحو والنصريف واللغة والعروض والقراءات

(١) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٤ - ٦٤٧

(٢) المحكم ٢ - ٦٨ عن مقدمة الخصائص ص ٣١

(٣) المحكم ٢ - ٣٣٦ - المصدر السابق ص ٢٩

(٤) الاقتراح ص ٢

وغير ذلك ذات قيمة علمية عظيمة ، منها ما هو مطبوع بين ايدينا ومنها ما لا يزال مخطوطا في خزائن الكتب ومنها ماضاع ولا نعلم عنه شيئا . وكقبة التي عثرت عليها هي : -

١ - الراجيز ذكره ياقوت في الاجازة (١) .

٢ - اسم المفعول وهو المقتضب ذكره ياقوت في الاجازة كذلك (١) وقد طبع المقتضب مع رسالتين أخريين بعنوان « ثلاث رسائل للإمام أبي الفتح عثمان بن جني » بالمطبعة العربية بمصر ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م .

٣ - اعراب الحماسة وهو موجود مخطوط بعنوان اعراب ابيات ما استصعب من الحماسة « الازهر أدب » ٧٧٨ « ٩٠٣٣ (٢)

٤ - الالفاظ من المهموز وقد ورد في الفهرست (٣) ولعله هو المطبوع بعنوان « عقود الهمز » مع المقتضب وما يحتاج اليه الكاتب .

٥ - البشري والظفر - صنعه لعضد الدولة ومقدارة خمسون ورقة في تفسير بيت من شعر عضد الدولة .

أهلا وسهلا بذى البشرى ونوبتها وباشمال سـرايانا على الظفر (٤)

٦ - التبصرة في العروض (٥)

٧ - تذكرة أبي علي - اختصرها أبو الفتح (٦)

(١) معجم الادباء ١٢-١١٠

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢-٣٤٣

(٣) الفهرست ص ١٣٤

(٤) ياقوت ١٢ / ١١٢

(٥) هدية العارفين - المجلد الاول ص ٦٥٢

(٦) كشف الظنون ٣٨٤

٨ - التذكرة الاصبهانية (١)

٩ - التصريف الملوكي وهو مطبوع نشرته مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر .

١٠ - التعاقب وذكره في الخصائص ١ - ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣ - ٥٨ ، ٢٢٥

١١ - تفسير أرجوزة أبي نواس وجاء ذكره في معجم الادباء (٢) ، منه نسخة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة (٣) .

١٢ - تفسير شعر المتنبي وقد ذكره في سر الصناعة (٤) وورد اسمه بأسماء مختلفة فقد ورد بأسم الصبر في شرح شعر المتنبي (٥) وورد باسم الفسر (٦) كما ورد بأسم النشر (٧) وهذا الكتاب موجود مخطوط في المتحف الآسيوية بموسكو ورقه ٢٧٥ والمتحف البريطانية ثاني ١٠٤٠ (٨) وقد قدمنا ذكره .

١٣ - تفسير العلويات وهي اربع قصائد للشريف الرضي (٩) ولعل هذا الكتاب هو ما يسمى ايضا كتاب تفسير المرآتي الثلاث والفصيحة الرائية للشريف الرضي (١٠) .

١٤ - تفسير معاني ديوان المتنبي وذكره ياقوت في الاجازة اي اجازة ابن

(١) شذرات الذهب ٣ - ١٤٠

(٢) ياقوت ١٢ - ١١٠

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ - ٣٤٣

(٤) سر الصناعة ١ - ٢٢٢ ، ٢٣٣

(٥) انباه الرواة ٢ - ٣٣٦ ، وفيات الاعيان ٢ - ٤١١

(٦) الفهرست ١٣٤ ، كشف الظنون ٨١٠

(٧) شذرات الذهب ٣ - ١٤٠

(٨) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ - ٣٤٦

(٩) ياقوت ١٢/١١٠

(١٠) الفهرست ١٣٤

جني لأبي عبدالله الحسين بن احمد بن نصر وذكر أن حجمه مائة ورقة وخمسون ورقة (١) وهو موجود في القاهرة «ف ٢٦٥:٤ على مذكر الدكتور محمد اسعد طلس»

١٥ - التلقين (٢)

١٦ - التمام وهو مطبوع باسم التمام في تفسير اشعار هذيل مما أغفله السكري- طبع ببغداد الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م وجاء في « انباء الرواة » باسم التمام في شعر الهذليين (٣) وجاء في « الخصائص » قوله « وقد ذكرنا هذا في كتابنا شعر هذيل » (٤) وذكره ايضاً باسم في ديوان هذيل « (٥) .

١٧ - التنبيه ذكره ابن خلكان (٦) وذكر جرجي زيدان انه كتاب ضخم في نيف واربعمئة صفحة فيها شرح لغوي نحوي موجود في لندن وفي المكتبة الخديوية (٧) وهو في شرح ديوان الحماسة (٨) ولعله هو المقصود بالتصبيية الذي ذكره ابن خبير « (٩) ولعل الاخير تصحيف وذكر ابن جني أن له كتاباً في تفسير ابيات الحماسة . (١٠)

(١) ياقوت ١١٠/١٢

(٢) انباء الرواة ٣٣٦/٢

(٣) انباء الرواة ٣٣٦/٢

(٤) الخصائص ١٢٤/١

(٥) الخصائص ١٥١/١

(٦) وفيات الاعيان ٤١١/٢

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣٠٣/٢

(٨) الاعلام - للزركلي ٣٦٤/٤

(٩) فهرسة أبي بكر بن خبير ٣١٧

(١٠) الخصائص ٢ - ٤٠٥

- ١٨ - تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب (١)
- ١٩ - الخطاريات - قال بروكلمان ان في مكتبة سليم اغا بالاستانة كتاباً له بأسم المخاطريات رقم ١٠٧٧/٤ ويغلب على الظن انه هو والاسم محرف (٢)
- ٢٠ - الخصائص وهو مطبوع
- ٢١ - الخطيب (٣)
- ٢٢ - الدمشقيات جاء في « الاشباه والنظائر » للسيوطي « وقال ابن النحاس في « التعليقة » حكى ابن جني في كتاب له يسمى « الدمشقيات » غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولاً عن الاخفش « (٤)
- ٢٣ - ذو القد « ٥ » وورد باسم هذا القد أيضاً (٦) .
- ٢٤ - الزجر وذكره في الخصائص (٧) « وقد كنت عملت كتاب الزجر عن ثابت بن مجد وشرحت احوال تصريح الفاظه واشتقاقها . »
- ٢٥ - سر السرور (٨) ونقل عنه ياقوت .
- ٢٦ - سر الصناعة والجزء الاول منه مطبوع سنة ١٩٥٤ وقد ذكره ابن جني في اماكن من كتبه (٩)

-
- (١) مقدمة الخصائص ص ٦٣
- (٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ - ٣٤٦
- (٣) هدية العارفين - المجلد الأول ٦٥٢
- (٤) الاشباه والنظائر ٢٥٣/١
- (٥) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨
- (٦) انباه الرواة ٣٣٦/٢
- (٧) الخصائص ٤٠/٢ ، ٢٣١/٣
- (٨) ياقوت ١١٠/١٢
- (٩) الخصائص ٢ / ١٥ ، ٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣ / ٥ ، التمام ٤٣ ، المبهج ٣١

٢٧ - شرح الايضاح لابي علي الفارسي ذكر بروكلمان انه موجود في مكتبة شهيد علي باشا ٩٣٠ (١) .

٢٨ - شرح الفصيح (٢)

٢٩ - شرح القلب والابدال ليعقوب (٣)

٣٠ - شرح القوافي ذكره ابن الانباري (٤)

٣١ - شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت ذكره ابن جني في الخصائص (٥) .

٣٢ - الشعر قال الدكتور محمد اسعد طلس - هو كتاب لاسناده ابي علي الفارسي رواه عنه ابن جني وعلق عليه تعليقات لغوية ومنه نسخة بمكتبة برلين رقمها ٦٤٦٥ (٦)

٣٣ - شواذ القرآن منه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤ (٧) .

٣٤ - العروض (٨) ذكره جرجي زيدان وقال « هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن (٩) .

(١) بروكلمان ٢ / ٢٤٧

(٢) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٣) الخصائص ٢ / ٨٨

(٤) نزاهة الالباء ٢٢٨

(٥) الخصائص ٢ / ٤٨

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

(٧) المصدر السابق

(٨) نزاهة الالباء ٢٢٨

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٣

- ٣٥ - علل التثنية منه نسخة خطية في ليدن (١) رقمها ١٤٥ (٢)
- ٣٦ - الفائق (٣) .
- ٣٧ - الفرق (٤) .
- ٣٨ - الفصل بين الكلام الخاص والعام (٥) .
- ٣٩ - رسالة في مد الاصوات (٦) .
- ٤٠ - الكافي في شرح قوافي الاخفش (٧) .
- ٤١ - اللمع في النحو « ذكر جرجي زيدان انه موجود في برلين وأيا صوفيا (٨) » وله شروح متعددة منها : -
- أ - شرح اللمع لأبي نصر القاسم بن محمد بن مناذر اللواسطي استاذ ابن بابشاذ (كونا ٢١٠)
- ب - شرح اللمع لأبي البركات عمر بن ابراهيم بن محمد الكوفي المتوفى سنة ٥٣٩ « عاطف افندي ٢٥٥٤ » .
- ج - شرح اللمع لسعيد بن الدهان « شهيد علي باشا ٩٣٩ »
- د - شرح اللمع لعبدالله بن الحسين العكبري - مكتبة البلدية بالاسكندرية (٣٣ نحو) .
- هـ - شرح اللمع لاسعد بن نصر العبرتي المتوفى سنة ٥٨٩ « برلين ٦٤٦٧ » .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٣٠٢/٢ - ٣٠٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

(٣) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٤) المصدر السابق

(٥) الفهرست ١٣٤

(٦) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٧) انباء الرواة ٢ / ٣٣٦

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٣٠٢ / ٢ - ٣٠٣

و - شرح اللمع لعمر بن ثابت الثماني المقدم ذكره في تلامذته « القاهرة
ثاني ١٣٥ »

ز - شرح اللمع لم يسم مؤلفه « بايزيد ١٩٩ » (١) .
وشرحه آخرون منهم الخطيب التبريزي وابن الخشاب النحوي والشيخ ابو
بكر الخفاف المالقي والشيخ أبو الحسن علي بن الحسن بن عفتي المعروف بشميم
الحلي والشيخ بدر الدين العيني وآخرون (٢) .

٤٢ - ما يحتاج اليه الكاتب وهو مطبوع مع رسالتين صغيرتين هما عقود
الهمز والمقتضب .

٤٣ - المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ، وهو مطبوع بدمشق
بمطبعة الترقى عام ١٣٤٨ وقد ذكر ابن جني في كتبه ان له كتاباً في تفسير اسماء
شعراء الحماسة (٣) وورد في (انباه الرواة) وفي كتب أخرى باسم (المنهج) (٤) .
٤٤ - المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية مخطوط - تصور بمعهد احياء
المخطوطات بالامانة العامة للجامعة العربية (٥) .

٤٥ - محاسن العربية (٦)

٤٦ - المحتسب في اعراب الشواذ في مكتبة راغب وفي دار الكتب المصرية
٢ ش قراءات (٧) .

(١) بروكلمان ٢ / ٢٤٧

(٢) روحدات الجنات ٤٤٦

(٣) الخصائص ٢ / ١٩٧

(٤) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦

(٥) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

(٦) بغية الوعاة ٣٢٢

(٧) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٦

- ٤٧ - المختارات « سليم اغا ١٠٧٧ » رقم ٤ (١) .
- ٤٨ - مختصر العروض (٢) ولعله العروض المقدم ذكره لكونه مختصراً .
- ٤٩ - مختصر في القوافي في الاسكوريال (٣) ثاني ٤٤٢ رقم ٤ .
- ٥٠ - المذكرات هي مذكرات عن حدود ومعان وفوائد كتبها أبو الفتح عن الامام ثعلب النحوي ... من محفوظات مكتبة الفاتيكان بايطاليا (٤) .
- ٥١ - المذكر والمؤنث ذكر بروكلهان انه طبع بعناية المستشرق ريش-ر Rescher في المجلة (M.O.) . ج ٨ من ١٩٣ - ٢٠٢ .
- ٥٢ - المسائل الواسطية (٥) .
- ٥٣ - مسألتان من كتاب الایمان لمحمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي - فاتيكان ثالث (ملحق ٣٢) (٦)
- ٥٤ - المعاني المجردة (٧) وفي هدية العارفين معاني المحررة (٨) .
- ٥٥ - المعرب في تفسير قوافي ابي الحسن وقد ذكره في مواطن عدة كالخصائص ١ / ٨٤ ، ٢ / ٩٩ ، ٢٦١ والمنصف ١ / ٢٢٤ ، والتهام ١٤١ ، ١٢٢ ولعله هو المقصود فيما ذكر عن (شرح القوافي) السالف الذكر وقـد ذكر في التهام (والمعرب في
-
- (١) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨
- (٢) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦
- (٣) زبدان وطللس
- (٤) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ / ٣٤٨
- (٥) انباه الرواة ٢ / ٣٤٠
- (٦) بروكلهان ٢ / ٢٤٧
- (٧) ياقوت ١٢ / ١١٠
- (٨) هدية العارفين ١ / ٦٥٢

شرح القوافي (١) وذكره ياقوت باسم (المغرب) (٢) ، ولعله (الكافي) المذكور آنفاً .

٥٦ - المفيد في النحو (٣)

٥٧ - المختطف في معتل العين (٤)

٥٨ - مقدمات ابواب التصريف (٥)

٥٩ - المقصور والممدود (٦)

٦٠ - المنتصف في النحو (٧)

٦١ - المنتصف شرح تصريف المازني وقد طبع بثلاثة اجزاء بمصر وقد ذكره في كتبه (شرح نصريف أبي عثمان) (٨) وورد باسم (المصنف) أيضاً (٩) ،
٦٢ - من نسب الى أمه من الشعراء الفه الامام محمد بن حبيب بن أمية (توفي ٢٤٥هـ) ورواه عنه ابن جني وأضاف اليه تعاليقات ومنه نسختان بدار الكتب المصرية ارقامها ٥٧ ش ، ١٢٢ مجاميع (١٠) .

(١) التمام ص ٤٣

(٢) ياقوت ١٢ / ١١٠

(٣) هدية للعارفين ١ / ٦٥٢

(٤) هدية العارفين

(٥) معجم الادباء ١٢ / ١١٠

(٦) انباه الرواة ٢ / ٣٣٦

(٧) ياقوت ١٢ / ٩١ ، كشف الظنون ١٨٥٠

(٨) الخصائص ١ / ٣٦٩ ، ٢ / ٢٨٨ ، ٣ / ٨٧ ، سر الصناعة ١ / ١٠٩ ، ١٣٢ ،

التصريف الملوكي ٦

(٩) نزهة الالباء ٢٢٨ ، كشف الظنون ١٧١٢

(١٠) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٢ / ٣٤٨

- ٦٣ - المهذب في القراءات (١)
٦٤ - النقص على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطيطه (٢) وقيل اسمه
النقد (٣) على ابن وكيع .
٦٥ - النوادر الممتعة وذكره ابن جني وقال مقدار الف ورقة (٤) وذكره
ياقوت في الاجازة (٥) .
٦٦ - الهجاء وقد وعد بتأليفه (٦) .
٦٧ - كتاب الوقف والابتداء (٧) .

* * *

-
- (١) كشف الظنون ١٩١٤
(٢) معجم الادباء ١٢ / ١١٠
(٣) العربية - ليوهان فلك ص ١٨٠
(٤) الخصائص ١ / ٣٣٢
(٥) ياقوت ١٢ / ١١٠
(٦) الخصائص ٣ / ٢٣٠
(٧) الفهرست ١٣٤ ، ياقوت ١٢ / ١١٠

الباب الثالث

دراسة وموقف من السواد

التطور النحوي من أوليته الى عصره

أقدم من ينسب اليه وضع النحو أبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي الكتاني : ذكرت طائفة من العلماء أنه ابتدعه وذكرت طائفة أخرى أنه أشار عليه بوضعه علي كرم الله وجهه . وهذا الاسم - أعني أبا الاسود - وإن كان أقدم من يذكر في هذا الباب ليس مجمعا عليه أنه هو الواضع الاول للنحو . والذين ذكروا أنه المخترع له لم يتفقوا على كيفية بدايته ولا في أي زمن كان ذلك . وبرزت معه أسماء أخرى كنصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وعبدالرحمن بن هرمز على أنهم هم الواضعون له . فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) أن أبا الاسود « هو أول من عمل كتابا في النحو (١) » وفي كتاب (المعارف) له :- « أبو الاسود أول من وضع العربية (٢) » وذكر أبو الطيب عبدالواحد بن علي في كتاب (مراتب النحويين) : « كان أول من رسم للناس النحو أبا الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » (٣) .

وذكر أبو الفرج الاصفهاني أن أبا الاسود كان الاصل في بناء النحو وعقده ، وقال ابن خلدون : - وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي من كنانة ، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه (٤) . وقال السيرافي :- « اختلف الناس في أول

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦١٥/٢

(٢) المعارف لابن قتيبة ٤٣٤

(٣) مراتب النحويين ص ٦

(٤) تاريخ ابن خلدون ص ١٠٢٦

من رسم النحو : فقال قائلون : أبو الاسود الدؤلي وقال آخرون « نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي » ، وقال آخرون عبدالرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الاسود « (١) » .

والى اللحظة التي نكتب فيها هذه السطور لم يقطع بهذه المسألة بل لا يزال الغموض يسيطر على نشوء النحو وكيفية حتى قال المرحوم مصطفى صادق الرافعي :- « أما تاريخ النحو فلا سبيل الى تحقيقه البتة (٢) » . ويذكر دي بور في كتابه (تاريخ الفلسفة في الاسلام) :- « والحقيقة ان الناس بدأوا يدرسون النحو في البصرة والكوفة ويحيط الغموض بأول نشوء دراسته (٣) » بينما يقول الاستاذ حسن عون :- « نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون أن واضع اللبنة الاولى في بناء النحو العربي انما هو أبو الاسود الدؤلي دون سواه (٤) » . ويذكر المرحوم الاستاذ طه الراوي أن « مجلي الحلبة في هذا المضمار أبو الاسود الدؤلي الكناني أحد أرباب البصائر الحية فاستعرض طائفة من كلام العرب وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل له واستنباط بعض القواعد أسمائها (النحو) ودونها في صحيفة له عرفت عند النحاة بالتعليقة (٥) » ويقول الاستاذ كمال ابراهيم « ويمكننا أن نقرر حكماً ثابتاً ان أبا الاسود الدؤلي هو واضع تلك البداية ولكن عمله لم يكن عملاً تاماً وافياً في حينه فجاء بعده من العلماء من وفاه وأتمه » .

ان المجمع عليه بالنسبة لابي الاسود هو نقط القرآن على عهد زياد بن أبيه، أما بالنسبة لعمله في النحو فلا يزال الاختلاف فيه ضارباً جراحه ، ويمكن أن نقول

(١) أخبار النحويين البصريين ص ١٠

(٢) تاريخ آداب العرب ٣٣٦/١ حاشية رقم (١)

(٣) دي بور ص ٥٤-٥٥

(٤) اللغة والنحو ص ٢٣٥

(٥) نظرات في اللغة والنحو ص ٧

ان نقط القرآن كان بداية لتنبيه الازدهان لحركات الرفع والنصب والجر فبدأت المسألة عن سبب هـ - لذا الاختلاف وبدأ استقراء أولي انتهى بالجهود المتضافرة المواصلة على مر السنين الى وضع النحو .

وذكر الأستاذ ابراهيم مصطفى انه أجرى احصاء في كتاب سيبويه لأقدم اسماء من نسبت اليهم مسألة نحوية ، وهذه نتيجة الاحصاء : -

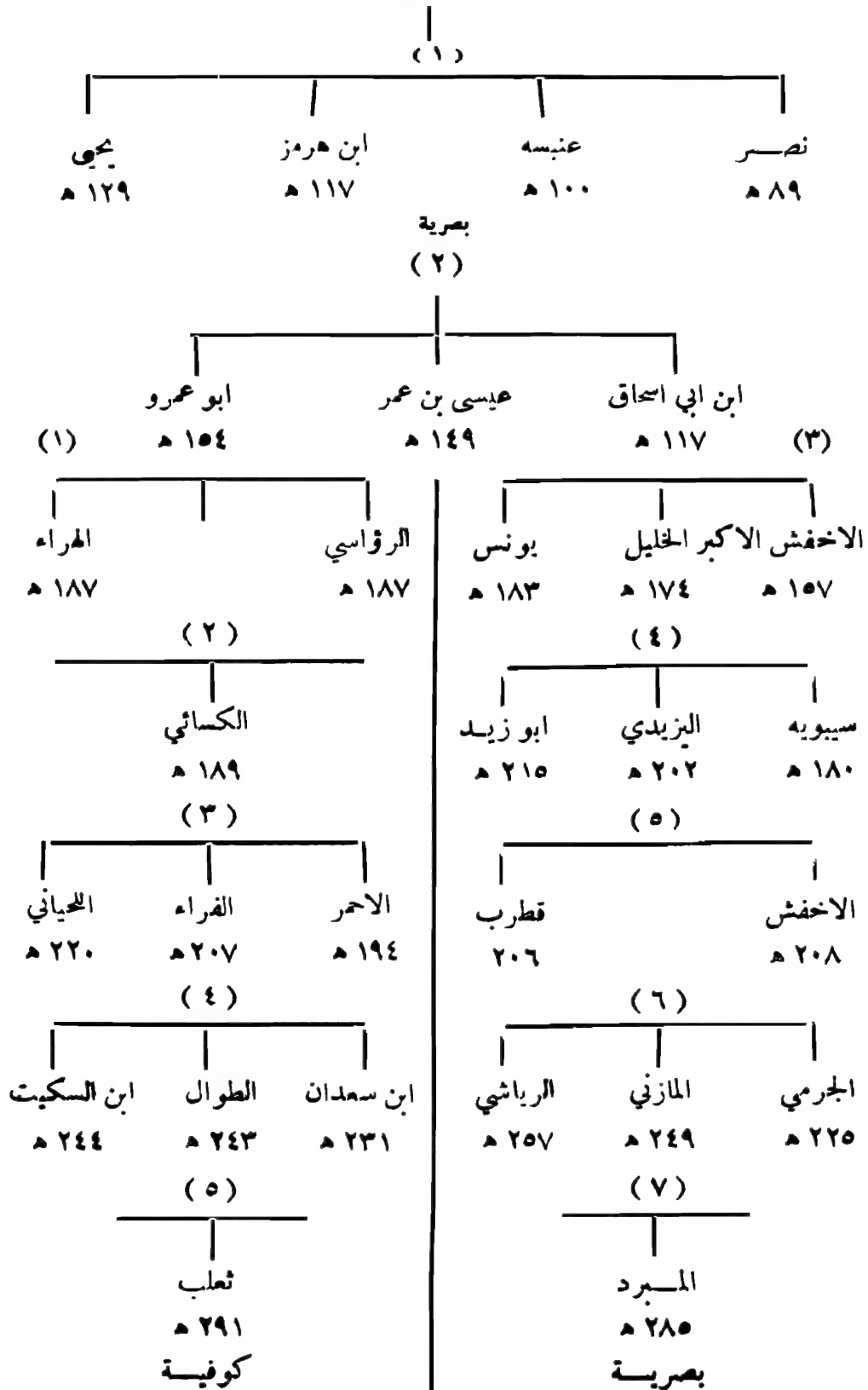
- ١ - عبدالله بن اسحاق المتوفى سنة ١١٧هـ في ٦ مواضع .
 - ٢ - عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٥٠هـ في ١٨ موضعاً .
 - ٣ - أبو عمر بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ في ٣٩ موضعاً .
 - ٤ - الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٦٠هـ في ٣٧٦ موضعاً وأكثر نقل سيبويه عنه .
 - ٥ - يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٥هـ في ١٥٥ موضعاً .
- وأقدم هؤلاء هو عبدالله بن أبي اسحاق وتسند اليه آراء نحوية حتى في كتب المتأخرين كالشمري المتوفى سنة ٩٠٠هـ والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ .

وأول ما نلاحظ انا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب التي نظرناها أي رأي نحوي منسوب الى ابي الاسود الدؤلي ولا الى طبةتين من النحاة معه (١) .

وعلى أي فانا نعلم يقيناً ان نشأة النحو كانت في البصرة ثم بعد مرور طبةتين وبعد ارتسـام صورة تكاد تكون متميزة للنحو بدأ الكوفيون يأخذونه عن رجال البصرة . وانقل اليك هـ - هذا الجدول مبيناً التطور النحوي بالنسبة للبصريين والكوفيين (٢) .

-
- (١) في اصول النحو - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨/ ١٣٨ - ١٣٩
 - (٢) لم يتفق على تقسيم طبقات النحويين واعلامها ، وهذا تقسيم تقريبي لها . انظر مقدمة اخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٥ ونشأة النحور مجد الطنطاوي ص ٥٢

أبو الأسود الدؤلي ٦٩هـ



غير ان الكوفيين كانوا أسبق الى بغداد عاصمة الخلافة من البصريين لمكان الكوفة منهما من الوجهتين السياسية والجغرافية (١) وكان علماءها اسبق اتصالاً بقصور الخلفاء والأمراء فكان الكسائي - مثلاً - ملازماً للرشيد حتى مات في سنة ١٨٩ هـ وكان تلميذه يحيى بن زباد الفراء متصلاً بالمأمون وأمره ان يجمع أصول النحوي في كتاب وأفرد له مكاناً خاصاً في دار الحكمة ووكّل به من يقوم بحاجته وصنف له كتاب (الحدود) .

وكانت اول محاولة لنحاة البصرة للاتصال بالخلفاء هي محاولة سيبويه التي رجع منها خائباً حتى أنجح أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ خاتمة اعلام النحويين البصريين وآخر من يذكر في طبقات البصريين في الاتصال بالمتوكل والتغلب على نده أبي العباس احمد بن يحيى ثعلب في كثير من مناظراته م - هـ حتى انحاز اليه جماعة من تلامذة ثعلب .

وظهر رجال في بغداد يأخذون بهذا المذهب أو ذاك أو يمزجون بين المذهبين اختلف المترجمون لهم في عددهم مع البصريين او الكوفيين أو يطلقون عليهم أحياناً اسم البغداديين واطلقوا على التطور النحوي الذي حدث في بغداد اسم (المدرسة البغدادية) كما سنذكره . وبرز رجال في بغداد بعد المبرد ممن تلمذ له أو لتلامذته من اعلام النحاة من أمثال أبي اسحق الزجاج وأبي بكر محمد بن السري السراج وأبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وعلي بن عيسى الربيعي وابن خالويه وغيرهم منذ نهاية القرن الثالث الهجري والرابع الهجري الى القرن الخامس والسادس .

عصره وفساد الألسنة فيه :

مما يذكر من مظاهر هذا العصر فشو اللحن وخصوصاً في الدور والشوارع

(١) نظرات في اللغة والنحو - طه الراوي ص ٩٥

وذلك لكثرة الجواوي والنساء الأعجميات وغلبة الدبلم والآراك حتى على القصور (١)
ولما ذكرناه من غلبة العناصر الأخرى على الخلافة وغزوها في عقر دارها . وظهور
بوادر اللحن على الالسنه قديم لم تسلم منه السنه عاشت في الجاهلية وهو رأي طائفة
من الباحثين ، فقد ذكر ان الرسول (ص) قال رحم الله امرءا أصلح من لسانه ،
غير ان اصلاح اللسان شيء عام وأن رجلا تكلم بحضرته ممثلا لوفد فلحن فقال
صلى الله عليه وسلم للوفد أرشدوا احاكم فقد ضل . وذكروا سقطات في زمن
عمر بن الخطاب في اللسان والكتابة دعت عمر أن يأمر عاماته اباموسى بضرب
كاتب كتاب أرسل به اليه فيه لحن سوطا ، واشتد في زمن الامام علي وصدر الدولة
الاموية حتى دعا ذلك زيادا أن يأمر بنقط المصحف لتدارك اللحن فيه ، وأن تظهر
النواة لشجرة النحو .

وأخذ فساد الالسنه يسرى ويستشرى حتى عم الحواضر وبدأ يسري الى
البادية ومواطن الفصاحة حتى اختلت الالسنه وانتقضت الفصاحة . وذكروا في
ساقة الشعراء الاسلاميين ، ابراهيم بن علي ، المعروف بابن هرمة وكان قد توفي في
اواسط القرن الثاني للهجرة ، وذكروا على رأس المولدين بشار بن برد المتوفى سنة
١٦٧ هـ (٢) اي من الذين لا يستشهد بأقوالهم . هذا في القرن الثاني للهجرة فما ظنك
بالقرن الرابع الذي هو عصر نحويينا أبي الفتح ؟

يصف ابن جني عصره وما دخل فيه على الالسنه من اضطراب حتى لا تكاد
ترى بدوياً فصيحاً فيقول « - وكذلك لو فشا في أهل الوبر ماشاع في لغة أهل
المدر من اضطراب الالسنه وخبالها وانتقاض عاده الفصاحة وانتشارها لوجب
رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لانا لا نكاد نرى بدوياً
فصيحاً وان نحن آتسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه

(١) ظهر الاسلام ١٨/٢

(٢) نظرات في اللغة والنحو ص ٢٣

وينال ويغض منه (١) » ويضرب مثلاً لرجل طراً عليه ، يدهي الفصاحة البدوية « وتلقى أكثر كلامه بالقبول حتى انشده شعراً لنفسه وجاء بالفاظ على غير قياس وعلى ما لا اصل له من مثل « اشأوها وأدأوها » وشعراً آخر له يقول فيه « كأن فاي (٢) فقوي في نفسه بعده عن الفصاحة . ثم يقول فيه بعد « وعلى ان هذا الرجل الذي أوامأت اليه من امثل من رأيناه ممن جاءنا مجيئه وتحلى عندنا حليته » (٣).

على أن هذا العصر لم يعدم فصيحاً كما ذكر ابن جني نفسه فقد ذكر ان اعرابياً كان يحضره وهو من الفصحاء هو أبو عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي - نعيم جوثة - ويذكره احياناً باسم الشجري وكرر ذكره في مواضع عدة من كتبه (٤) . ويذكر ايضاً انه سأل غلاماً فصيحاً عن لفظة فيقول : - وسألت غلاماً من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه لايحضرني الآن ذكرها فقلت : أكذا أم كذا ؟ فقال : كذا بالنصب لانه أخف . فجئنا الى الخفة وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ .

وأظنه استعمل هذه اللفظة لانها مذكورة عندهم في الانشاد الذي يقال له النصب مما يتغنى به الركبان » (٥) .

اذن فابن جني عاش في عصر ساد فيه اللحن واضطراب اللسنة والتباعد عن الفصاحة وعم ذلك الاعراب حتى لا تكاد ترى بدوياً فصيحاً وقد ذكر ذلك هو نفسه .

(١) الخصائص ٥/٢

(٢) القياس أن يقول كأن في مثل كأن أبي ، فالاسماء الستة لاتعرب بالحروف اذا أضيفت الى ياء المتكلم كما هو معلوم

(٣) الخصائص ٥/٢ - ٨

(٤) الخصائص ١/٧٦ ، ٧٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦/٢ ، المبهج ٦٧

(٥) الخصائص ١ / ٧٨

أشهر النحويين في عصره

أبرز النحويين في عصر ابن جني ثلاثة - أبو علي الفارسي وأبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني .

أبو سعيد السيرافي « - ٢٨٤ هـ - ٣٦٨ هـ

الحسن بن بهزاد عبدالله بن المرزبان السيرافي القاضي النحوي (١) كان أبوه مجوسياً اسمه « بهزاد » فأسلم فسماه أبو سعيد عبدالله (٢) . ولد أبو سعيد بسيراف (٣) من أصل فارسي . ابتدأ فيها بتحصيل العلم (٤) وتلقى فيها علوم العربية على كثير من علمائها (٥) خرج من بلده قبل العشرين وثلاثمائة فمضى الى عمان وتفقه فيها على مذهب أبي حنيفة النعمان ثم رجع الى بلده فأقام فيها قليلاً ثم رجع الى عسكر مكرم (٦) فأقام بها مدة قرأ فيها على محمد بن عمر الصيمري المتكلم (٧) وأخذ عن اعلامها في النحو واللغة والأدب وعلوم الكلام والدين وهاجر الى بغداد بعد ذلك

(١) اللباب ١ / ٥٨٦ ، البغية ٢٢١

(٢) معجم الأدباء ٨ / ١٤٦ ، اللباب ١ / ٥٨٦

(٣) جاء في معجم البلدان « سيراف » بكسر اوله وآخره فاء ... مدينة جليلة على ساحل بحر فارس وذكر ان بين سيراف والبصرة اذا طاب الهواء سبعة ايام ؛ قال « - ومن سيراف هذه ابو سعيد الحسن ابن عبدالله السيرافي النحوي ؛

(٤) الفهرست ص ٩٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٤ ج ٤ / ٥٤٢

(٥) تمهيد كتاب اخبار النحويين البصريين ص ٣

(٦) جاء في معجم البلدان « - عسكر مكرم - بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وهو مضاف الى من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب الى مكرم بن معزاء الحارث احد بني جمونة بن الحارث بن نعيم بن عامر بن صعصعة

(٧) الفهرست ٩٩ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٤ ج ٤ / ٥٤٢

وهو مكتهل الرجولة (١) سكن بغداد وكان من أعلم الناس بنحو البصريين وقرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد ، واللغة على أبي بكر بن دريد والنحو على أبي بكر بن السراج وعلى أبي بكر مبرمان ثم كان الناس يشتغلون عليه بعدة علوم منها القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقاه (٢) اتصل بالقاضي أبي محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد فقرأ هذا عليه العربية (٣) وكان فقيهاً على مذهب الحنفيين العراقيين وخلف القاضي أبا محمد بن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين ثم الجانب الشرقي (٤) .

وقيل كان معتزلياً فقد قدمنا انه درس على محمد بن عمر الصميري المتكلم ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل الا من كسب يده ، ينسخ ويأكل منه وسمع الحديث من محمد بن أبي الازهر البوشنجي وأبي عبيد بن حربويه وروى عنه الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ وغيره (٥) .

كثرت تلاميذه والاخذ عنه والانتفاع به في فروع العلم المختلفة وتخرج به جمهرة من الفحول الأجلة كابن خالويه والحسين بن حماد المشهور (ياقوت ٤/٤) واسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح (ياقوت ٢/٢٦٦) وأبي علي الحسن ابن ابراهيم الصابي (٨/١٥٣) وعلي بن المستنير حفيد قطرب (ياقوت ٨/١٧٨) وغيرهم (٦) وتلمذ له أبو حبيان التوحيدي وهو يحكي عنه في كتابه (الامتاع

(١) تمهيد كتاب اخبار النحويين البصريين ص ٣

(٢) معجم الادباء ٨ / ١٤٦ ، الباب ١ / ٥٨٦

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٤ ج ٤/٥٤٢

(٤) الفهرست ٩٩

(٥) الباب ١ / ٥٨٦

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - محمد أسعد طلس المجلد ٢٤ ج ٤/٥٤٥

والمؤانسة) ويروي ما يرويه عنه في اجـ لال وتوثيق(١) وكان يقول فيه :-
« أبو سعيد بعيد القرين لانه كان يقرأ عليه القرآن والفقه والشـروط والفرائض
والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والهندسة والحديث والاخبار وهو في
كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط(٢) .

ومن المسائل النحوية التي ذكرها له تلميذه هذا -

١ - « الحروف التي تتعدى الى الافعال ، والافعال التي تتعدى بالحروف
يراعى فيها السماع فقط لا القياس .

قال : « هذا كان مذهب أماننا أبي سعيد(٣) » .

٢ - وقال :- « وسمعت أبا سعيد السيرافي يقول الاعراب حركة تحـل
بآخر حرف من الاسم كالدال من زيد(٤) »

٣ - وكان غيره يقول :- الاسماء أصل والافعال فروع عليها ، وسمعته
يقول :- « المذكر أصل والمؤنث فرع والمذكر أخف والمؤنث أثقل ، والنكرة
أخف من المعرفة لان النكرة حال الاسم في الاول

والوصف أثقل من الموصوف لان الموصوف أصل والوصف تابع له ، لانه
لا يشتبه بالفعل في وقوعه موقعه كقولك « هذا رجل يضرب زبداً » فتصفه به كما
تقول « هذا رجل ضارب زبداً(٥) » .

توفي أبو سعيد في رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد عن اربع وثمانين

(١) ظهر الاسلام ٢٤٢/١

(٢) الامتاع والمؤانسة ١٣٣/١ ، وانظرا ٢٢١/١ ، ٢٢٢ ، ٢/٢ ، ١٧٨/٣ ، ١٩٩/٣

(٣) الامتاع والمؤانسة ٢٢١/١

(٤) البصائر والذخائر ١٧٥

(٥) البصائر والذخائر ١٧٥

سنة (١) وقد رثاه الشريف الرضي بقصيدة منها (٢)

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه حتى دهانا فيك خطب مضاع
قرح على قرح تقارب عهده ان القروح على القروح لأوجم
وتلا محق الفضلاء أعدل شاهد ان الحمام بكل علق مولع

ومن آثاره - شرح كتاب سيديويه ، والقات القطع والوصل ، واخبار النحويين
البصريين ، وشرح مقصورة ابن دريد ، والاقناع في النحو ولم يتمه فتمه ابنه
يوسف وكان يقول « وضع أبي النحو في المزايل بالاقناع يريد انه سهله ، وغير
تلك من الكتب (٣)

علي بن عيسى الرماني ٢٩٦ هـ - ٣٨٤ هـ

ابو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله الرماني (٤) النحوي المتكلم الاخشيدي .
أخذ الكلام عن ابن الاخشيد المتكلم فنسب اليه (٥) ولد سنة ٢٩٦ هـ ونشأ بالرمان
بمدينة واسط ثم وفد الى بغداد فأخذ عن الزجاج وابن دريد وابن السراج (٦) وغيرهم
ونبغ في العربية . وثبدا المذهب البصري مع ميل الى الفلسفة لانه معتزلي وظهر ذلك
في دراسته وتأليفه حتى قال الفارسي فيه : ان كان النحو مايقوله الرماني فليس معنا
منه شيء وان كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء (٧) .

(١) اللباب ١ / ٥٨٦

(٢) يتيمة الدهر ١ / ١٣٦

(٣) معجم الادباء ٨ / ١٤٩

(٤) معجم الادباء ١٤ / ٣٣ ، اللباب ١ / ٤٧٥

(٥) معجم الادباء ١٤ / ٧٤ ، مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١ / ٨٣

(٦) ياقوت ١٤ / ٧٤

(٧) معجم الادباء ١٤ / ٧٥ ، نشأة النحو ١٥٧

روى عنه ابو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري (١) ، وتخرج عليه علي بن كردان النحوي وأحمد بن أبي بكر العبدي ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال اللغوي وغيرهم (٢) .

وكان أبو حيان التوحيدى يسميه الشيخ الصالح (٣) وقال فيه انه عالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمطلق وعيب به هذا مع الدين الشيخين والعقل الرزين (٤)

توفي في جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة (٥) ومن مؤلفاته في النحو شرح كتاب سيبويه وشرح مقتضب المبرد وشرح اصول ابن السراج (٦) وغيرها وعمل في القرآن كتابا نفيسا . (٧)

أبو علي الفارسي :-

اما الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي النسوي شيوخ ابن جني فقد ترجمنا له وترسمنا طرفاً من صفاته ونهجه في بحثه .

كان أبو علي الفارسي واجداً على السيرافي والرماني وكانا واجدين عليه ، ويذكر أبو حيان التوحيدى أن ابا علي متقدم بالغيط على ابي سعيد والحسد له لأنه شرح كتاب سيبويه (٨)

(١) الباب ١/٤٧٥

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١/٨٣

(٣) الامتاع والموانسة ١/١٠٧ ، ٣/١٣٠

(٤) الامتاع والموانسة ١/١٣٣

(٥) الباب ١/٤٧٥

(٦) نشأة النحو ١٥٧

(٧) الامتاع والموانسة ١/١٣٣

(٨) الامتاع والموانسة ١/١٣١

ويعتقد أبو حيان موازنة بين هؤلاء الثلاثة فيقول :-

« أبو سعيد اجمع اشمل العلم وانظم لمذاهب العرب وادخل في كل باب
واخرج من كل طريق والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق (١) » .
وذكر ان نوح بن نصر خاطبه بالامام والمرزبان بن محمد ملك الديلم من
اذربيجان خاطبه بشيخ الاسلام وابن خنزابة من مصر خاطبه بالشيخ الجليل وهم
يسألونه في القرآن والحديث والفقه ومسائل مختلفة (٢)

« واما أبو علي فأشد تفرداً بالكتاب (٤) وأشد اكباباً عليه وأبعد من كل ما
عداه مما هو علم الكوفيين وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد واطرافاً مما لغيره . وهو
متقصد بالغيب على أبي سعيد وبالחסد له كيف تم له تفسير كتاب سيبويه ... لأن
هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة
علمهم وفيض كلامهم ... »

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل اجاد فيها ولم يأتل ولكنه قعد على
الكتاب (٣) على النظم المعروف .

وأبو علي يشرب ويتخالع ويفارق هادي أهل العلم وطريقة الربانيين
وعادة المتنسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ولا يصلي إلا في الجماعة ويقوم على مذهب أبي حنيفة
ويولي القضاء سنين ويتأله ويتحرج وغيره بمعزل عن هذا (٤) وأما علي بن عيسى
(الرماني) - وقد تقدم ذكر اكثر هذا في ترجمته - فعالي الرتبة في النحو واللغة
والكلام والعروض والمنطق وعيب به الا انه لم يسلك طريق واضع المنطق بل أفرد

(١) الامتاع والمؤانسة ١٠٧/١

(٢) الامتاع والمؤانسة ١٢٩/١

(٣) يعني كتاب سيبويه

(٤) الامتاع والمؤانسة ١٣١/١-١٣٢

صناعة واطهر براعة ... هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين (١) .
والذي يظهر من هذه الموازنة التي عقدها أبو حيان أن أبا حيان كان متعصباً
لشيخه رافعاً له وبصورة خاصة على أبي علي الفارسي .

ان طريقة أبي علي الفارسي هو الاهتمام بالقياس - كما علمنا - ولا يهمه أن
يخطئ في خمسين مسألة لغوية على أن لا يخطئ في واحدة من القياس (٢) . ووجد
للشيخ أبي محمد بن الخشاب بخطه « كان شيخنا يعني أبا منصور موهوب بن الخضر
الجواليقي قلما ينبل عنده ممارس للصناعة النحوية ولو طال فيها باعه ما لم يتمكن من
علم الرواية وما تشتمل عليه من ضرورها ولا سيما رواية الاشعار العربية وما يتعلق
بمعرفتها من لغة وقصة . ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي
رحمهما الله . وأبو علي أبو علي في نحوه وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة ،
ويقول : أبو سعيد أروى من أبي علي وأكثر تحقّقاً بالرواية وأثرى منه فيها .
وقد قال لي غير مرة لعل أبا علي لم يكن يرى فيما يراه أبو سعيد من معرفة هذه
الاخباريات والانساب وما جرى في هذا الاسلوب كبير أمر (٣) .

وكان الناس يقولون :- أبو سعيد أكثر رواية وأبو علي أكثر دراية (٤) ،
ويعد أبا سعيد زعيم المحافظين وأبا علي زعيم الاحرار في اللغة (٥) .
أما أبو الحسن الرماني فهو ولوع بالمنطق وكان من كبار المعتزلة وقد أكثر
من البحث في المنطق والكلام وما اليهما واللف في ذلك كثيراً (٦) وكانت كتب أبي

(١) الامتاع والمؤانسة ١٣٣/١

(٢) الخصائص ٨٨/٢

(٣) مقدمة سر الصناعة ص ٢٨

(٤) ظهر الاسلام ٩١/٢

(٥) المصدر السابق

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٢٥ ج ١/٨٣

الحسن الرماني وأسلوبه في جدله واحتجاجه صورة ناطقة بغلبة المنطق (١) وقد مرّ بنا أن أبا علي الفارسي كان يقول فيه :- ان كان ما يقوله الرماني هو النحو فليس معنا منه شيء (٢) وذكر ياقوت أن الناس كانوا يقولون في هؤلاء الثلاثة :- « النحويون في زماننا ثلاثة واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي وواحد يفهم جميع كلامه بلا استاذ وهو أبو سعيد السيرافي (٣) » .

أما الفارسي فكان يميل الى المنطق وأقيسته ويطبقها في بحوثه في العربية ولا يغالي في ذلك مغالاة الرماني وهو وسط بين الرجلين على ما ذكر ياقوت . هؤلاء هم أشهر النحويين في عصر أبي الفتح عثمان بن جني .

دراساته

في اللغة والاصوات :-

اشتهر ابن جني بدراساته اللغوية المستفيضة حتى عرف عنه أنه لغوياً أكثر منه نحوياً . وان تصفحت كتبه ولاسيما الخصائص وشرح الصناعة وجدت دراساته في اللغة عميقة مستفيضة تنم على سعة اطلاع ورسوخ قدم في هذا الباب لم يكده أحد يباغ ما بلغ فيه .

تكلم في اللغة وحدها بـ « انها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (٤) » . وعرض لنظريات نشوء اللغة وذكر ان فريقاً قال انها وحي وتوقيف من عند الله وذكر ان شيخه أبا علي كان يذهب الى هذا المذهب .

(١) مدرسة الكوفة ٢٩٠

(٢) معجم الادباء ٧٥/١٤

(٣) معجم الادباء ٧٥/١٤

(١) الخصائص ٣٣/١

وان فريقاً آخر قالوا انما هي تواضع واصطلاح ويقول ابن جني ان أكثر أهل النظر على هذا الامر ، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً اذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين .

وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبول (١)

ثم ذكر أنه توقف عن الاخذ بأي رأي فيقول « فأقف بين تين الخلتين حسيراً وأكأثرهما فأنكفيء مكثوراً وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتهما قلنا به (٢) » .

فهو يستحسن الرأي القائل ان اللغة مضارعة للاصوات ولم يقطع به فيما وجدت من كتبه التي بين يدي ، اما قول من قال ان ابن جني جزم بانها تواطؤ واصطلاح اي انه مال الى المذهب الوضعي (٣) فلم أجد ما يؤيده في كتبه . قال في الخصائص « قد تقدم في اول الكتاب القول على اللغة أنواضع هي ام الهام وحكيما وجوزنا فيها الامرين جميعاً » (٤) وذكر ذلك السيوطي في الاقتراح قال « والمذهب الثالث الوقف اي لا يدري أهى من وضع الله أو البشر لعدم دليل قاطع في ذلك وهو الذي اختاره ابن جني اخيراً » (٥) ،

(١) الخصائص ١/ ٤٠-٤٧

(٢) الخصائص ١/ ٤٧

(٣) تاريخ آداب العرب - للرافعي ١ / ٤٦ حاشية

(٤) الخصائص ٢ / ٢٨

(٥) الاقتراح ص ٧

والرأي الذي استحسنته ابن جني ولم يقطع به هو النظرية المتقبلة التي ذهب إليها معظم المحدثين وهو الرأي الذي يقول ان اللغة الانسانية نشأت من الاصوات الطبيعية : التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، اصوات الحيوان ، اصوات مظاهر الطبيعة ، الاصوات التي تحدثها الافعال عند وقوعها كصوت الضرب والقطع والكسر وسارت في سبل الرقي شيئاً فشيئاً (١) .

اما رأي شيخه فقد ذكره ابن جني نفسه فقال « الا ان ابا علي رحمه الله قال لي يوماً هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء كلها » وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله « أقدر آدم على أن واضع عليها » (٢) وذكر المرحوم الرافعي أن رأي الفارسي وابن جني هو التواطؤ والاصطلاح قال « وفريق آخر ذهب الى ان الانسان طفل تاريخي ، فاللغة درس تقليدي طويل مداره على التواطؤ والاصطلاح ، وهذا هو المذهب الوضعي وبه قال ديودورس وشيشرون واليه ذهب أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني وطائفة من المعتزلة » (٣) .

والصواب ما اثبتناه الا اذا كان بين الآراء رأي آخر له رآه مؤخرًا لم نطلع عليه . وتكلم في (الاشتقاق الاكبر) في اللغة والاشتقاق الاكبر هو « ان تأخذ أصلاً من الاصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شيء من ذلك عنه رد باطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد » (٤) وذلك نحو « قول » فان معناها ابن وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها

(١) علم اللغة - علي عبد الواحد في ص ٩٥ - ٩٦

(٢) الخصائص ١ / ٤٠

(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ٤٦

(٤) الخصائص ٢ / ١٣٤

على بعض وتأخره عنه إنما هو للخفوف والحركة (١) ، والتراكيب الستة هي :
قول ، قل و ، وقل ، ولق ، لق و ، لوق (٢) ونحو «لكم» ، فإنها حيث تقلبت
فعلها الدلالة على القوة والشدة (٣) والمستعمل منها أصول خمسة وهي لكم ،
لكم ، لك ، لك ، لك (٤) .

وكان شيخه أبو علي يخالده اليها ويستعين بها من غير أن يسميها أو يجعلها
نظرية (٥)

ولو تصفحت كتاب (العين) لوجدته يدور على تقاليب الكلمة الواحدة
ويذكر المستعمل منها مثل : عهج وهجم (٦) ، ومثل (هعل ، عله ، هاع ، لمع) (٧)
ومثل (عشق قعش ، قشع ، شقع) (٨) ومثل (عقص ، قعص ، قصع ، صقع ،
صقع) (٩) ومثل (قعد ، قدع ، عقد ، علق ، دلق ، دقم) (١٠) .

وكذلك كتاب (جمهرة اللغة) لأبي بكر بن دريد يسير على نفس المنهج
مثل (بثن) (النبث ، الثبن) (١١) ومثل (بثو) (باث ، ثاب ، الرثب) (١٢)

(١) الخصائص ١ / ٥

(٢) الخصائص ١ / ٥

(٣) الخصائص ١ / ٣

(٤) الخصائص ١ / ١٣

(٥) الخصائص ١ / ١٢ ، ٢ / ١٣٣

(٦) العين ص ٣٦ ، ٣٧

(٧) العين ٤١ - ٤٣

(٨) المصدر السابق ٥٢ - ٥٣

(٩) المصدر السابق ٥٤ - ٥٥

(١٠) المصدر السابق ٦٣ - ٦٨

(١١) جمهرة اللغة ص ٢٠٤

(١٢) جمهرة اللغة ص ٢٠٤

ومثل (بحر) (البحر ، البرح ، الحبر ، الحرب ، الربح ، الرحب) (١) ومثل
(برس) (البرس ، البسر ، اليرس ، رصب ، السرب ، سبر) (٢) .

والفرق بين عمل ابن جني وصاحب العين والجمهرة ان ابن جني حاول ان
يعقد على التقاليب الستة للكلمة معنى واحداً وان تباعد شيء من ذلك رده بلطف
التأويل اليه ، اي ان له فضل للربط وايجاد الصلة بين هذه الالفاظ ذات الاصول
الواحدة .

وذكر الاب انستاس الكرملي ان «جمهور اللغويين انتبهوا الى اصول الكلم
وما بينها من المعاني على انهم لم ينتبهوا في كل منها على ذلك الاشتراك الظاهر لكل
ذي عينين اما لوضوح الامر ، واما لانهم لم يروا فيه عظيم الفائدة واما لاسباب
نجهلها . وقد سبق جميع اصحاب المعاجم الليث بن نصر بن سيار الخراساني في
كتابه (العين) المنسوب وهماً الى الخليل بن احمد الفراهيدي فانه نبه في صدر كل
ترجمة ما يشعر ان في التركيب الفلاني المعنى الفلاني ، وان لم يصرح به تصريحاً
بيناً» (٣) .

وجاء ابن جني فأشار تصريحاً الى المعنى الواحد الذي تدور عليه تقاليب
الكلمة الستة وان تباعد شيء من ذلك رده بلطف الصنعة والتأويل اليه ، فهو الذي
منح هذه النظرية اسمها ووسع القول فيها . وكان شيخه ابو علي يخلد اليها ويستعين
بها من غير ان يسميها (٤)

ولا شك ان هذه النظرية تشهد للقائلين لها بتنفاذ نظرهم وعمق ادراكهم إذ
انتبهوا الى هذه الفكرة قبل اهل الغرب ، والآن ترى غير ابناء الضاد يشيرون في

(١) المصدر السابق ٢١٧

(٢) المصدر السابق ٢٥٥

(٣) نشوء اللغة - للكرملي ١٠٩

(٤) الخصائص ١ / ١٢ ، ٢ / ١٣٣

معاجمهم المطولة الباحثة عن الاصول الى أصل المادة بقولهم وهذا الأصل يفيد كذا (١) .

وهو رأي يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً وليس مطرداً في اللغة جميعها كما أشار هو نفسه ، قال « واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة كما لا ندعي للاشتقاق الاصغر أنه في جميع اللغة . بل اذا كان ذلك الذي في القسمة سدس هذا أو خمسة متعذراً صعباً كان تطبيق هذا واحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصقاً . بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الاصغر ويجاريه الى المدى الابد (٢) ؟ » .

والرأي هندي أنه لا يطرد اطراد الاشتقاق الاصغر ولا يجاريه تلك المجازاة التي ذكرها . ولا شك ان هذا الرأي يدل على عمق فكره ونفاذ رأيه وقوة ملاحظته : وتكلم في (تركيب اللغات وتداخلها) ونعى في هذا البحث على ضعاف اللغويين الذين جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وأدعوا انها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه بأخرة من أصحابها نحو فعل يفعل مثل نعم ينعم ودمت تدوم ومتموت ونحو قلى يقلى وسلا يسلى وجبى يجبى وركن يركن وقنط يقنط في حين أن أكثر ذلك وعامته انما هو لغات تداخلت فتركبت (٣) . اذ يسمع العربي من قبيلته لفظة ومن قبيلة أخرى لفظة فتتداخل اللغتان وتجتمعان في كلامه (٤) . وكان موفقاً للاصابة كل التوفيق حين عرض في هذا الباب لقانون

(١) نشوء اللغة - للكرمي ١٠٩

(٢) الخصائص ٢/١٣٨-١٣٩

(٣) الخصائص ١/٣٧٤-٣٧٥

(٤) الخصائص ١/٣٧٠-٣٧٤ الى آخر الباب

المغايرة الذي اعترف به المحدثون وأشاروا الى أهميته في الاشتقاق (١) فقد قال ما نصه :- « وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع (٢) » ثم قال :- « ألا ترى أن ما ماضيه فعِلْ إنما بابه فتح عين مضارعه نحو ركب يركب وشرب يشرب . فكما فتح المضارع لكسر الماضي فكذلك أيضاً ينبغي أن يكسر المضارع لفتح الماضي ، وإنما دخلت (يفعُلْ) في باب فعَلْ على يفعل من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة (٣) » .

وتكلم في (مساوقة الالفاظ للمعاني) أو ما يسميه « تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني » وذكر من ذلك ما ذهب اليه الخليل وسيبويه من ان العرب توهموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ الجندب وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرصر البازي . وهذا الذي لحظه الخليل وسيبويه اشبهه ابن جني بمحاً .

ويضرب لذلك أمثلة فيقول : - وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزة والقلقلة والصلصلة... ووجدت ايضاً « الفَعَلَى » في المصادر والصفات إنما تأتي في السرعة نحو : - الْبَشْكَى وَالْجَمْزَى ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر - اعني باب القلقلة - والمثال الذي توات حر كانه للافعال التي توات الحركات فيها (٤) .

وبتكلم في مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث ويرى انهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدّ لونها ويحتذونها عليها (٥) . من ذلك قولهم : - خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ

(١) في اللهجات العربية - ابراهيم أنيس ١٥٣

(٢) الخصائص ١/٣٧٥

(٣) الخصائص ١/٣٧٩

(٤) الخصائص ٢/١٥٣

(٥) الخصائص ٢/١٥٧

والقضاء والقضيم للصلاب اليابس . فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الاصوات على مسموع الاحداث (١) . ويقول في « التمام » :- ومنه قولهم بحث التراب ونحوه وهو على ترتيب الاصوات الحادثة عنده ، فالباء للخففة بما يبحث به عن التراب والحاء فيما بعد كصوت رسوب الحديد ونحوها اذا ساخت في الارض والهاء للحكاية صوت ما ينبث من التراب فتأمله (٢) . وكما كان لابن جني فضل كبير في دراسة اللغة فقد كان له فضل كبير جداً في دراسة الاصوات وتوسعة الكلام عاينها واختلاف اصداؤها بل قيل ان له الفضل الاكبر في ذلك (٣) .

بحث في (سر الصناعة) الحروف المفردة وقسمها حسب مدارجها الصوتية تقسيماً يختلف عن تقسيم (العين) وذكر أن التقسيم المذكور في العين غير دقيق ، ودرسها دراسة مستفيضة حتى قال بعد الكلام في مخارج الحروف :- « وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع ومن وجد قولاً قاله (٤) » .

ويضرب مثلاً رائعاً في اختلاف الاجراس في الحروف ويشبهها بالآلات الموسيقية فيقول :- « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها .. ما شبه بعضهم الحلق والقم بالناي ، فان الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً كما يجري الصوت في الالف غفلاً بغير صنعة ... ونظير ذلك أيضاً وتر العود فان المضارب اذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً فان حصر آخر العود ببعض أصابع يسراه أدى صوتاً آخر ، فان ادناها قليلاً سمعت غير

(١) المصدر السابق

(٢) التمام ١٣٠

(٣) دائرة المعارف - فؤاد البستاني ٤١٨/٢

(٤) سر الصناعة ٦٣/١

الاثنين ... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخففة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق (١) .

وهو دقيق الملاحظة جداً في تقارب الاصوات وتدرجها ويرى أن الحرف يقلب الى آخر لمضارعتة اياه فقد ذكر في ابدال الواو من الباء أن ذلك لأمرين :-
« احدهما مضارعتها اياها لفظاً والآخر مضارعتها اياها معنى ، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء اللاصق والواو للاجتماع والشيء اذا لاصق الشيء فقد اجتمع (٢) » .

ويرى أن للصوت والنعمة أثراً في التعبير فيقول :- « وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح انسان والثناء عليه فتقول :- كان والله رجلاً » فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجـ لا فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك ، وكذلك نقول :- «سألناه فوجدناه انساناً » وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك :- «انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك (٣) » .

وقد برهنت التجارب الحديثة على ان الانسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الاصوات ، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبيرة ، اذا تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها . ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية اذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معان ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة . ففي اللغة الصينية كلمة (فان) مثلاً تؤدي ستة معان لاهلاقة

(١) سر الصناعة ٩/١

(٢) سر الصناعة ١٦٠/١

(٣) الخصائص ٣٧٠/٢ وما بعدها

بينها هي :- (نوم ، يحرق ، شعجاع ، واجب ، نعم ، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة (١) .

وبهذا التعليل يعمل أبو الفتح قراءة من قرأ (يا حسره على العباد) بالهاء ساكنة ويرى انما هو لتقوية المعنى في النفس ، وذلك أنه موضع وعظ وتنبيه وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستمعون للامر المتعجب منه ، الدال على انه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره . ثم قال من بعد :- (على العباد) عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول دون صلة لما كان فيه ودالاً للسامع على أنه انما تجشم ذلك على حاجة الموصول الى صلاته ، وضعف الاعراب وتجره على جملة ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالنطق ، ولا يحف ذلك عليك على ما به من ظاهر انتقاض صناعته فان العرب قد تحمل على الفاظها لمعانيتها حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى (٢) .

من هذا الاستعراض السريع لنماذج من دراساته في اللغة والاصوات نرى ان ابن جني قد درسهما دراسة عميقة وانتهى الى نتائج لا تختلف كثيراً عما أثبتته المحدثون . يقول الدكتور محمد أسعد طلس :- « أما بعد فنحن ازاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الامثال ... (و) قد بذل في اكتناه أسرار هذا العلم وكشف المخبأ منه جهوداً كثيرة وقرر منذ الف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الاصوات (٣) » .

في التصريف :-

ذكر ابن جني ان «التصريف» وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانها، والاشتقاق

(١) الاصوات اللغوية - ابراهيم أنيس ١٠٣

(٢) المختضب ٢٦٩-٢٧٠ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ ج ٤/٦٢١-٦٢٢

أقعد في اللغة من التصريف ، كما ان التصريف أقرب الى النحو من الاشتقاق .
فالتصريف انما هو لمعرفة انفس الكلم الثابتة والنحو انما هو لمعرفة أحواله المتنقلة . (١)
ولهذا يرى لزاما على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لان معرفة ذات
الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة . (٢)

وقد اشتهر ابن جني بالتصريف اشتهارا بالغا . قال ياقوت : - « ولم يكن
في شيء من علومه أكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاما
منه (٣) ، وقال ايضا : - « واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله
وفروعه ولا أحسن أحدا حسانه في تصنيفه (٤) ، وقال ابن الانباري نحو ذلك وقال :
فانه لم يصنف احد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاماً منه . (٥) ، وهو
امام الصرفيين وسندهم (٦) ويعد ابن جني اكثر الثقات علما بالتصريف (٧) . ولو
اطلعت على كتابه (المنصف شرح التصريف للامام أبي عثمان المازني) لوجدت فيه
آية في التصريف لا يكاد يضارعه فيه أحد . ويعمل ابن الانباري تبخره في التصريف
فيقول : ان السبب في صحبته ابا علي وتغربه عن وطنه ومفارقة اهله مسألة تصريفية
فحمله ذلك على التبخر والتدقيق فيه . (٨) الا ان هناك مأخذاً يؤخذ عليه وعلى من

(١) المنصف ٤/١

(٢) المصدر السابق

(٣) ياقوت ٨١/١٢

(٤) ياقوت ٩١/١٢

(٥) نزهة الالباء ٢٢١

(٦) تاريخ علوم اللغة العربية ص ٢٦

(٧) دائرة المعارف الاسلامية - المجلد الاول ١٢٢-١٢٣ ولاحظ دائرة المعارف

لفؤاد البستاني ٤٢٠/٢

(٨) نزهة الالباء ٢٢٩ ذكر أن المسألة كانت في قلب الواو الفا في قام وقال

سواه من الصرفيين القدامى على الاطلاق ان شيئاً مهما كان يعوزهم هو عدم اطلاعهم على اللغات السامية واللغات الأخرى ومعارضتها بالعربية (١) ولو فعلوا ذلك لجاءت بحوثهم مكتملة أو تكاد ولكن باغفالهم هذه المسألة دخلوا في تعليقات بعيدة عن واقع اللغة وتخريجات وتأويلات في غاية البعد ولو التفتوا لهذا الأمر لسدوا هذه الثلمة في بحوثهم ، واليك على سبيل المثال :

١ - (المسك) جاء في (الخصائص) « وكذا تجد أيضاً معنى (المسك) وذلك أنه (فِعْل) من أمسكت الشيء كأنه لطيب رائحته بمسك الحاسة عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه » (٢) في حين ان كلمة (مسك) معربة عن الفارسية . (٣)

٢ - (الصوار) أي القطعة من المسك « فقل له (صوار) . لأنه (فعال) من صاره يصوره اذا عطفه وثناه ... وانما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه اليه وليس من خباثت الأرواح فيعرض عنه -هـ- . (٤) والصوار ايضاً فارسي كما في (اللسان) . (٥)

٣ - (الرطل) جاء في (الخصائص) « قولهم غلام رطل وجارية رطلة للينها . وهو من قولهم : رطل شعره اذا أطاله فاسترخى . ومنه عندي الرطل الذي يوزن به -هـ- وذلك ان الغرض في الاوزان أن تميل ابدأ الى ان يعادلها الموزون

(١) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ١/ ١١٥

(٢) الخصائص ١١٨/ ٢

(٣) شفاء الغليل ١٨٢ ، المعرّب للجواليقي ٣٢٥ ، اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان ص ٢٥ حاشية ، فقه اللغة - لعلي عبد الواحد وآفي ص ٢٠٠ ، مقدمة الخصائص ٣٤

(٤) الخصائص ١١٧ / ٢ - ١١٨

(٥) لسان العرب (صور) ، مقدمة الخصائص ص ٣٤

بها» (١) والرطل كما في كتاب (تفسير الألفاظ الدخيلة) معرب عن الآرامية وهو فيها « رطلا » يراد به ١٢ أوقية (٢)

٤ - (الابريز) جاء في (الخصائص) « والابريز لإفعل من برز يبرز » (٣) كأنه ابرز من خبثه (٤) وهو معرب اصله يوناني كما في (كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة) قال : ابريز يوناني Obryzon معناه الذهب الخالص (٥) وذكر ابو منصور الجواليقي كذلك انه ليس عربياً محضاً (٦) .

٥ - (البرج) « ومنه البرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه » (٧) وهو يوناني ايضاً معناه حصن (٨) وقال الاستاذ بنسدي جوزي : برج Pyrgos وفي اللاتينية Pyrgos وكلاهما على ما يظهر من الجرمانية (Byrg) (٩) .

٦ - (القيطون) جاء في (الخصائص) « وأما قيطون فانه فيعول من قطنت بالمكان لأنه بيت في جوف بيت » (١٠) وفي (شفاء الغليل) : قيل هو رومي

(١) الخصائص ٢ / ١٢٠

(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٣١ ، مقدمة الخصائص ٣٤

(٣) الخصائص ٢ / ١٢٥

(٤) التمام ٢٤٧

(٥) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ١

(٦) المعرب ص ٢٣

(٧) الخصائص ٢ / ١٣٥

(٨) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٨

(٩) (بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية) - مجلة مجمع اللغة العربية

الملكي ج ٣ / ٣٣٩

(١٠) الخصائص ٣ / ٢٠٣

معرب (١) وفي (المعرب) انه اعجمي معرب (٢).

٧ - (منديل) جاء في (الخصائص) « ومنديل من الندل وهو التناول » (٣)
وذكر الأستاذ بندلي جوزي انها يونانية (Mandēli-On) (٤) .

٨ - (النبراس) جاء في (سر الصناعة) « وأما نون نبراس فقد ذهب الى زيادتها واشتق له من معنى (البرس) وهو القطن لأن النبراس : المصباح والفتيلة ابدأ في غالب الأمر من قطن » (٥) وفي كتاب (تفسير الألفاظ الدخيلة) انه آرامي « نبرشتا » معناه اللهب والضياء مرادفة المصباح (٦) وأورده الجواليقي قال : قيل انه ليس بعربي (٧) .

٩ - (دُهدُرَيْن) ذكر في (الخصائص) انه اسم فعل . والدليل على اسميته التثنية وهي من خواص الأسماء وهذه التثنية لا يراد بها ما يشفع الواحد مما هو دون الثلاثة وإنما الغرض فيها التوكيد بها ولتكرير المعنى كقولك بطلَ بطل (٨) وفي (شفاء الغليل) « دهدرين وسعد القين من اسماء الكذب والباطل ، ويقال ان اصله ان سعد القين كان رجلاً من العجم يدور في مخاليف اليمن يعمل لهم فاذا كسد عمله قال : ده يد رود كأنه يودع القرية اي انا خارج منها غداً وإنما يقول

(١) شفاء الغليل ١٥٧

(٢) المعرب ٢٧٢

(٣) الخصائص ١ / ١٢٠

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ / ٣٣٩

(٥) سر الصناعة ١ / ١٨٨

(٦) تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٧٣

(٧) المعرب ٣٤٠

(٨) الخصائص ٣ / ٤٤

ذلك ليستعمل فعربته العرب وضربت به المثل في الكذب « (١) .

١٠ - (الجمل) : ويقول في (الجمل) فعل من الجمال (٢). وكلمة (جمل) سامية قديمة في الآشورية (جملو) وفي العبرية (جمل) وفي الآرامية (جملا) وفي الحبشية (جمل) (٣)

١١ - (الدم) ويقول فيه « الدم من الدمية لفظاً ومعنى » (٤) وهي كلمة سامية قديمة كذلك في الآشورية (دمؤ) وفي العبرية (دم) وفي الآرامية (دما) وفي الحبشية (دم) (٥)

وذكر غير ذلك من الألفاظ ذات الأصول اليونانية او الفارسية او السامية او غيرها عاذا اياها عربية الأصول .

وهذه المأخذة لم ينج منها أحد من الصرفيين واللغويين الأقدمين . وأيا كان الامر فأبو الفتح قد ضرب بالسهم الأوفر في التصريف ولا أحسبني بعيداً عن الصواب اذا قلت ان أغلب ما ألف بعده من كتب التصريف عيال عليه ان لم اقل كلها .

في النحو

وكما درس اللغة والتصريف درس النحو وجود فيه وعرف به فكان يترجم له باسم ابن جني النحوي (٦) وكان من أعلم أهل الأدب به . قال ابن الانباري

(١) شفاء الغليل ص ٨٤

(٢) الخصائص ١ / ١٢٢

(٣) تاريخ اللغات السامية - للدكتور اسرائيل ولفنسون

(٤) الخصائص ٢ / ١٣٢

(٥) تاريخ اللغات السامية

(٦) انظر نزهة الالباء ٢٢٨ ، انباه الرواة ٢ / ٣٣٥ ، معجم الأدباء ١٢ / ٨١ الكامل

٢١٩ / ٧ ، البداية والنهاية ١١ / ٣٣١ ، الانساب ١٣٩ آ وغيرها من الكتب .

« وأما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي فانه كان من أحذق أهل الأدب واعلمهم بعلم النحو والتصريف (١) » وكذا قال ياقوت (٢) وجاء نحوه في مفتاح السعادة (٣) وقال الباهرزي : « ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولا سيما في علم الاعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب » (٤) وقد نقلناه قبلا وجاء في بعض الكتب انه وقف حياته على النحو خاصة (٥) .

فهو اذن درس النحو وكتب فيه واشتهر به وعُرف وسنحاول في رسالتنا هذه أن نبين منهجه في النحو بترسم معالمه وحدوده .
كما درس سائر علوم العربية الأخرى وألف فيها .

الشواهد

أ - القرآن الكريم والقراءات

لا شك في ان القرآن الكريم أهم ينبوع للشاهد ، ومن المعلوم ان القرآن وصل إلينا بقراءات موصولة السند متصلة السلسلة الى رسول الله (ص) ، وقد قسم القراءات الى متواترة وآحاد وشاذة ، وجعلوا المتواتر السبع والآحاد الثلاث المتممة لعشرها ثم ما يكون من قراءات الصحابة رضي الله عنهم مما لا يوافق ذلك وما بقي فهو شاذ . (٦)

وقد بذل القراء جهوداً عالية في تحقيق القراءات ورجعها الى رسول الله (ص) .. ولو رجعت في كتب القراءات الى تسلسل النقل في طرقه لرأيت مثلاً

(١) نزهة الالباء ٢٢٨

(٢) ياقوت ٨١/١٢

(٣) مفتاح السعادة ١١٤/١

(٤) دمية القصر ٢٩٧

(٥) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ١٢٢-١٢٣

(٦) تاريخ آداب العرب - الرافعي ٥٣٤/٢

أعلى من احكام الضبط والتدقيق البالغ غايته في شتى النواحي المتصلة بالقرآن الكريم
وكلماته وآياته وطرق ادائه « (١) . وكل قراءة متصلة السند بالرسول على ما بينها
وبين الاخرى من تخالف . (٢) وائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن
على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الاثر والأصح في النقل
واذا ثبتت الرواية لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة . يلزم
قبولها والمصير اليها . (٣) والاسناد الصحيح هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وكم
من قراءة انكرها بعض اهل النحو ولم يعتبر انكارهم ! (٤) وجاء نحو ذلك في
(منجد المقرئين) (٥) ويقول الرافعي : ومن اجله كان صحيحاً ان لا يعول ائمة
القراءة في امر الجواز على ما هو أفشى في اللغة وأقيس في العربية دون ما هو أثبت في
الاثر وأصح في النقل ... واما اشتراط صحة الاسناد فهو امر ظاهر مادامت القراءة
سنة متبعة وكثيرا ما ينكر بعض اهل العربية قراءة من القراءات لخروجها عن
القياس او لضعفها في اللغة ولا يحفل ائمة القراء بانكارهم شيئاً . « (٦)

غير ان موقف النحاة ولا سيما البصريين غريب في بابهم يلحنون ويضعفون
قسماً من القراءات التي لا توافق اقيستهم ومذهبهم . فالقراءة الثابتة الموصولة
هي الحجة لا اقيسة النحاة ، وينبغي ان تكون اقيسة وراءها لا امامها ولكن ذلك
لم يكن بل وقفوا منها موقف الناقد الراد لقسم من القراءات المضعّفة للقسم
الآخر الملحّن لطائفة اخرى .

(١) القواعد النحوية ١٦٧

(٢) ابو علي الفارسي ١٢

(٣) الانتقان ١/٧٥

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) منجد المقرئين ٥٦٠ نقلاء الدكتور الشلبي ص ١٦٣

(٦) تاريخ آداب العرب ٢/٣٩

١ - فهم ردوا قراءة ابن عامر وهو قاريء الشام من القراء السبعة
« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم » باضافة المصدر
الى الفاعل والفصل بينهما بالمفعول .

٢ - وقرأ حمزة « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » بكسر الميم وهو
أحد القراء السبعة وقرأ الباقر بفتحها فقال النحاة : لا يعطف على مضمر مخفوض
الا باعادة خافض فردوها . (١)

٣ - وقرأ عاصم « وقيل من راق » ببيان النون من (من) فقالوا ان ذلك
معيب في الاعراب معيب في الاسماع (٢) .
وغیره كثير .

وقد حمل ابو الطيب عبد الله الواحد للغوي على حمزة والكسائي من القراء الكوفيين
وهما من القراء السبعة وجهلها فقال عن حمزة الزيات ان « اهل الكوفة يتخذونه
اماما معظما مقدما وليس يحكى عنه شيء من العربية ولا النحو وانما هو صاحب
قراءة . واما عند البصريين فلا قدر له . حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا ابراهيم بن
محمد قال اخبرنا ابو حاتم قال : سألت عن حمزة ابا زيد والأصمعي وبعقوب
الخضري وغيرهم من العلماء فأجمعوا على انه لم يكن شيئا ، ولم يكن يعرف كلام
العرب ولا النحو ولا كان يدعي ذلك ، وكان يلحن في القرآن ولا يعقله يقول
« وما انتم بمصرخي » بكسر الياء الشديدة وليس ذلك من كلام العرب ونحو هذا
من القراءة « (٣) في حين ان حمزة كان يقول : « ما قرأت حرفاً من كتاب الله الا
بأثر » . (٤)

(١) الكشف ٣٧٢/١ ، المفصل ١٧/٢ ، البحر المحيط ١٥٧/٣-١٥٩ وانظر ايضا
في أصول النحو - الاستاذ ابراهيم مصطفى مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨/١٤٢ ومقدمة
(المقتضب للمبرد) لمحمد عبد الخالق عزيمة ص ١١٢

(٢) الخصائص ٩٤/١

(٤) للنشر ١٦٦/١

(٣) مراتب النحويين ٢٦ - ٢٧

وحمل على الكسائي وسائر علماء الكوفة فقال : « واخبرنا جعفر بن محمد بن حميد قالاً : حدثنا ابو حاتم قال : لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ولولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئاً وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات من الأعراب مطروحة لأنه كان يلقنهم ما يريد وهو على ذلك اعلم الكوفيين بالعربية والقرآن وهو قدوتهم واليه يرجعون . » (١)

هذا موقف النحاة من القراءات فما موقف نحوينا أبي الفتح منها ؟
نذكر اولاً رأي صاحب (الاقتراح) في الاحتجاج بالقراءات

قال : اما القرآن فكل ما ورد انه قري به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً ، وقد اطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وان لم يحز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته للقياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه نحو استحوذ ويأني . (٢)

ان ابا الفتح لا يختلف كثيراً عن سائر النحاة في ذلك وهو - وان الف كتاب (المحتسب) في توجيه القراءات الشاذة - كغيره من النحاة يرد ويضعف طائفة من القراءات السبع . وعلى كل حال كان اسلم موقفاً من شيخه أبي علي الذي صنّع كتاب (الحجة) في توجيه القراءات السبع فيقول في خطبة كتاب (المحتسب) : « الا اننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحيطوا به ولا ينأوا عن فهمه فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب « الحجة » في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يحفوه عنه كثير من العلماء . » (٣) وقد خرج قراءة حمزة : « واتقوا

(١) مراتب النحويين ٧٤

(٢) الاقتراح - للسيوطي ١٤

(٣) المحتسب ص ٣ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

الله الذي تساءلون به والارحام » « ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش
والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه ابو العباس » (١) وخرجها على انها
مجرورة بباء ثانية ثم حذفت لتقدم ذكرها ، في حين يقول شيخه في هذه الآية في
قراءة حمزة : « واما من جر الارحام فانه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا
ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به اولى . » (٢)
وابن جني في هذا الكتاب (أي المحتسب) جمع القراءات الشاذة وجاهد في
توجيهها ، وهو مع ذلك رذل فيه قراءات وضعف اخرى وذكر ان بعضها لا
يعرف في اللغة من ذلك :

١ - قراءة ابن محيصن (ثم اطره) يدغم الضاد في الطاء قال ابو الفتح هذه
لغة مردولة (٣).

٢ - قراءة ابي جعفر يزيد « للملائكة اسجدوا » قال ابو الفتح هذا ضعيف
عندنا جداً (٤) .

٣ - قراءة يحيى « ما سألتكم » بكسر السين قال ابو الفتح فيه نظر (٥) .

٤ - قراءة الاعمش (اثنتا عشرة) بفتح الشين قال ابو الفتح القراءة في
ذلك عشرة وعشرة واما عشرة فشاذ (٦) .

٥ - قراءة الاعمش « وما هم بضاري به من احد » قال ابو الفتح هذا من
ابعد الشاذ (٧) .

(١) الخصائص ٢٨٥/١

(٢) الحجة ٢٢٩/٣ نقلاً عن الدكتور الشلبي ٢٤٣

(٣) المحتسب ص ٤٢ مخطوطة مصورة في دائرة اللغة العربية ببغداد

(٤) المصدر السابق ص ٢٤ ، ١١٤

(٥) المصدر السابق ص ٣٣

(٦) المصدر السابق ص ٣١

(٧) المصدر السابق ص ٤٠

وهو في سائر كتبه يقف من القراءات موقفاً مشابهاً لموقف سائر النحاة -
وان كان يختلف عنهم احياناً في توجيهه وتخرج طائفة من القراءات لم يرتضوها
ويقف موقفاً اقرب الى الاعتدال من غيره كما يبدو في كتاب (المحتسب) وفي غيره
من الكتب - أقول انه يقف موقفاً مشابهاً لموقف سائر النحاة في تضعيف قراءة
من القراءات السبع وانكارها وردّها وسواها من القراءات المعتمدة وذلك نحو :
١ - ما جاء في (سر الصناعة) « ومثل شهر رمضان » و « انا نحن نزلنا
الذكر » و « انا نحن نحجي ونميت » لا بد من ان تكون النون الاولى مختلصة الفضة
تخفيفاً وهي بزنة المتحركة فأما ان تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأ . وقول
القراء ان هذا ونحوه مدغم سهو منهم وقصور عن ادراك حقيقة هذا الامر « (١) :
٢ - وما جاء في (سر الصناعة) ايضاً « فأما قراءة ابي عمرو « يغفر لكم »
بادغام الراء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند اصحابنا انما هو شيء رواه
القراء ولا قوة له في القياس « (٢) .

٣ - وما جاء في (الخصائص) الا ترى الى قراءة ابي عمرو « مالك لا
تأمننا على يوسف » مختلصاً لا محققاً وكذلك قوله عز وجل « اليس ذلك بقادر على
ان يحيي الموتى » مخفى لا مستوفى ، وكذلك قوله عز وجل « فتوبوا الى بارئكم »
مختلصاً غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ الى ان
ادعى ان ابا عمرو كان يسكن الهمزة . والذي رواه صاحب الكتاب (٣) اختلاس

(١) سر الصناعة ١ / ٦٥

(٢) سر الصناعة ١ / ٢٠٦

(٣) يريد سيبويه ج ٢ / ٢٩٧ وهذا الذي رواه صاحب الكتاب رواه القراء
ايضاً ورووا مع هذا الاسكان . ومن روى الاسكان ابو محمد اليزيدي وهو من هو
في القراءة والبصر بالعربية ومثل أبي محمد ما كان يرمى باساءة السمع - وانظر
النشر ٢ / ٢١٦ (حاشية الخصائص ١ / ٧٢)

هذه الحركة لاحذفها البتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً ، ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف امانة لكن اتوا من ضعف دراية «(١)».

٤ - وجاء في (الخصائص) « فأما قراءة عاصم (وقيل مَن راق) ببيان النون من (مَن) فعيب في الاعراب معيب في الاسماع ، وذلك ان النون الساكنة لاتوقف في وجوب ادغامها في الراء نحو من رأيت ومن رآك ؟ (٢)

٥ - وجاء فيه « واما قراءة اهل الكوفة (ثم ليقطع) فقبيح عندنا «(٣)».

٦ - وجاء فيه فأما قول أبي الاسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودّعه

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم (ماودّعاك ربك وماقلى) (٤).

٧ - وجاء فيه : « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق

فيهما «(٥)

٨ - وجاء فيه : « فأما التقاؤهما - يعني الهمزتين - على التحقيق من كلمتين

فضعيف عندنا وليس لحنا وذلك نحو قرأ أبوك و (السفهاء ألا) و (يمساك

السماء أن تقع على الارض) و (أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) فهذا

كله جائز عندنا على ضعفه «(٦)».

فهو - كما نرى - ينسبهم احياناً الى الجهل او الى السهو أو الى القصور عن

(١) الخصائص ١ / ٧٢

(٢) المصدر السابق ١ / ٩٤

(٣) المصدر السابق ٢ / ٣٣٠

(٤) المصدر السابق ١ / ٩٩

(٥) المصدر السابق ٣ / ١٤٣

(٦) المصدر السابق ٣ / ١٤٣

ادراك حقيقة الامر فهو موقف لا يختلف كثيراً عن موقف سائر النحاة من البصريين :

ب - الحديث النبوي :

النحويون القدامى لا يحتجون بالحديث النبوي ولا يستشهدون به ورفضوه جملة (١) وتعليل ذلك يرجع الى أمرين .

- ١ - ان المحدثين أجازوا نقل الأحاديث بالمعنى ولم يتقيدوا باللفظ .
 - ٢ - وقوع اللحن في بعض الأحاديث لأن في الرواة من ليس عربياً بالطبع ولا علم له بصناعة النحو (٢) .
- ومذكرت احاديث يخالف اسلوبها وتركيبها الأسلوب الشائع الذائع من ذلك

- ١ - الحديث (ان قعر جهنم سبعين خريفاً) وخرج على أن (سبعين) منصوبة على رأي من يجعل (إن) ناصبة للجزئين كقول عمر بن أبي ربيعة :
(ان حراسنا اسداه)

أو على الظرفية

- ٢ - الحديث (كل امتي معافى الا المجاهرون) اي بالمعاصي والرفع جائز في لغة محكية وخرج هذا ايضاً على قراءة بعضهم (فشربوا منه الا قليل منهم) (٣) ومثله الحديث (الناس هلكى الا العالمون) .

- ٣ - الحديث (ان من اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) وخرج على زيادة (من) او اضمار ضمير الشأن اي انه . ونحو ذلك .

(١) في اصول النحو - ابراهيم مصطفى مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ / ١٣٤

(٢) نظرات في اللغة والنحو ص ١٣

(٣) القواعد النحوية ١٩٤

وانقسم العلماء فيما بعد قسمين قسم يرى عدم الاحتجاج به وقسم يرى ضرورة الاحتجاج به .

قال المرحوم طه الرازي « والقول بأن في رواية الحديث أعاجم ليس بشيء لأن ذلك يقال في رواية الشعر والنثر اللذين يحتاج بهما فإن فيها الكثير من الأعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثا ممن يعتمد به يمكن أن يوضع في صف حماد الراوية الذي (كان يكذب ويلحن ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته ولكنهم تخرجوا في الاحتجاج بالحديث ، ثم لو وصل الأمر برواية الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة لما صح الاحتجاج بمروياتهم في الشريعة يجهلون العربية من طرفيها ولم يقل بذلك قائل . » (١)

ومما ذكر أيضا لضرورة الاحتجاج بالحديث ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وإنما المطلوب غلبة الظن ان المنقول عن الرسول (ص) لم يبدل وكذلك تثبت الاحكام الشرعية . ثم ان التشدد والتحري والضبط في رواية الحديث يجعل احتمال التبديل ضعيفا .

ثم ان هناك خلافا في جواز النقل بالمعنى فن الائمة لا يجوز ذلك كالفاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وابن سيرين .

والخلاف في جواز النقل بالمعنى هو فيما لم يدون ولا كتب وأما مادون وحصل في بطون الكتب فـ لا يجوز تبديل الفاظه بلا خلاف ، هـ - ذا مع العلم بأن تدوين الأحاديث وكثير من المرويات جرى في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية .

كما ان صيغ الاذكار والعبادات والأدعية والأحاديث التي سارت مسير الأمثال والأحاديث التي تضرب للدلالة على فصاحتها صلى الله عليه وسلم او انه ارتجلها ابتداء والكتب التي بعث بها الرسول الى الملوك والأطراف والعهود المدونة لا يكون

ففيها اي احتمال للتبديل والتغيير (١) .

قال الامام النووي في اول شرحه على صحيح مسلم : « لاخلاف في منع رواية الحديث بالمعنى لمن لم يكن خبيراً بالالفاظ ومقاصدها عالماً بما يحيل المعاني . اما من كان كذلك فالصواب الجواز » .

هذا وقد بحث مجمع فؤاد الاول للغة العربية الاحتجاج بالحديث الشريف وخلاصة رأيه هي : (٢)

« اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية لجواز روايتها بالمعنى ولكثرة الأعاجم في روايتها .

وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يأتي :

١ - لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الستة فما قبلها .

٢ - يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآتية الذكر على الوجه الآتي :

أ - الأحاديث المتواترة والمشهورة .

ب - الأحاديث التي تستعمل الفاظها في العبادات .

ج - الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم .

د - كتب النبي .

هـ - الأحاديث المروية لبيان أنه كان (ص) يخاطب كل قوم بلغتهم .

و - الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء .

ز - الأحاديث التي عرف من حال روايتها انهم لا يجيزون رواية الحديث

بالمعنى مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وابن سيرين .

(١) انظر القواعد النحوية ص ١٩٤ وكتاب نظرات في اللغة والنحو ص ٢٢ نقلاً

عن الدماميني ومجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج ٧/٤

(٢) مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج ٧/٤

ح - الأحاديث المروية من طرق متعددة والفاظها واحدة » .
وهو رأي مقبول مسوغ للاستشهاد بالحديث . فما موقف أبي الفتح من
الاحتجاج بالحديث ؟

جاء في (مجلة مجمع اللغة العربية) :

« وأجاز قوم الاحتجاج بالحديث في اللغة وعدوه في الأصول التي يرجع
اليها في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد ومن عرف بهذا المذهب محمد بن عبد الله
المعروف بابن مالك وعبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام . . . وعد من أصحاب
هذا المذهب الجوهري وابن سيده وابن فارس وابن خروف وابن جني وابن برى
والسهيلي » (١)

فهل كان ابن جني كذلك أي كان يعد الحديث في الأصول التي يرجع اليها
في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد ؟

أنا لم أجد في كتبه التي بين يدي ما يؤيد ذلك فلم أره مرة جعل حديثاً أصلاً
يرجع اليه في تقرير قاعدة أو اثبات نص لغوي ، وإنما يورد في النادر حديثاً
للاستئناس به أو الاستشهاد به فيما لم يخرم قاعدة ولم يقرر أصلاً جديداً ودونك
أمثلة على ذلك :

١ - جاء في (المبهج) ، « ويشهد لصحة مذهب سيبويه في باب زمان
ورمان ما يحكى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاءه قوم من العرب فسألهم عليه
السلام فقال : من أنتم ؟ فقالوا : بنو غيان . فقال بل أنتم بنو رشدان ، اولاتراه
صلى الله عليه وسلم كيف تلقى (غيان) بأنه من الغي فحكم بزيادة الفه ونونه وترك
عليه السلام أن يتلقاه من باب الغين (غين) وهو الباس الغيم . . .

يدلك على انه صلى الله عليه وسلم تلقاه بما ذكرنا انه قابله بضده . فقال : بل
أنتم بنو رشدان ، فقابل الغي بالرشد فصار هذا عياراً على كل ماورد في معناه » (١) .
فأنت تراه هنا مستشهداً لصحة مذهب سيبويه في الأخذ بالظاهر لا مقررأ

لقاعدة من الحديث .

٢ - وجاء في (الخصائص) « واعلم أن العرب تختلف احوالها - ا في تلقي الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة . . ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل يا نبي الله فقال : « لست بنبي الله ولكني نبي الله » وذلك انه عليه الصلاة والسلام انكر الهمز في اسمه فردده على قائله لأنه لم يدر بما سماه فاشفق أن يمسك على ذلك » (٢) .

وليس في هذا استشهاد في اللغة ولا تقرير لقاعدة نحوية أو لغوية ولا ما أشبه ذلك ،

٣ - وجاء في (الخصائص) : « ومن ذلك ما يروى في الحديث : لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد أي لا صلاة كاملة أو فاضلة أو نحو ذلك » (٣) .

٤ - وجاء في (الخصائص) : « وقيل منها لغي يلغى اذا هذى . . . وفي الحديث (من قال في الجمعة صه فقد لغا) أي تكلم . » (٤) .

وعلى كل حال لم أر ما رآه آخرون أنه كان يستشهد بالحديث أو يحتج به ، ففي مثل هذه المواطن التي ذكرتها لا يمكن أن يسمى اتيانه بالأحاديث استشهاداً أو احتجاجاً يثبت به قاعدة أو أصلاً ، او يرد أصلاً او قاعدة هذا مع ندر ما يذكّر من حديث .

ج - كلام العرب من شعر ونثر

ويراد بهؤلاء عرب الجاهلية وصدر الاسلام وما بعده الى ما يقارب النصف

(١) المبهج ص ١٤ - ١٥ ، الخصائص ١ / ٢٥٠

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٣

(٣) الخصائص ٢ / ٣٧٢

(٤) الخصائص ١ / ٣٣

الاول من القرن الثاني للهجرة حين اختلفت العلائق واختبلت الألسنة ، وقد احتج النحاة بالنظوم والمنثور من كلام الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وطرحوا كلام المولدين والمحدثين وذكروا على رأس المولدين بشار بن برد (١) .

وقد وقف ابن جني مما يروى من كلام العرب موقف اسلافه من البصريين فلا يأخذ بالشاذ والنادر ولا يقيس عليه - على وجه العموم - وهو ينظر في ذلك من ناحيتين :

أ- المسموع

ب - الناقل

وهو يرد ما ينقله العربي الفصيح الى المسموع فان لم يتفق مع الكثرة الغالبة طرحه أو وقف منه موقفاً خاصاً تمليه عليه طبيعة الناقل وطبيعة المنقول وهذا ان اصلا ان يمتزجان حتى يكاد يكونان أمراً واحداً فان « الناقل » هو الذي يحمل « المسموع » فهو يتكلم (في العربي الفصيح ينتقل لسانه) فان « انتقل من لغة الى لغة اخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل اليها ، كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه اليها . . . فان كانت اللغة التي انتقل لسانه اليها فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى حتى كأنه لم يزل من اهلها . » (٢)

فهو - كما ترى - يرد ما يقوله العربي الفصيح الى « المسموع » ولا يعتمد على قوله وحده .

وان سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره أو ما يسمى (المسموع المفرد) نحو ما أتى به ابن احرر الباهلي كالجبر وهو الملك والديديون والمأنوسة وهي النار وغيرها « فالقول في هذه الكلم المقدم ذكرها وجوب قبولها وذلك لما ثبتت

(١) نظرات في اللغة والنحو ص ٢٣

(٢) الخصائص ٢ / ١٢

به الشهادة من فصاحة ابن احرر» (١) « لكن لو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت الى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبل » (٢) .

فان ورد عن بعضهم شيء يدفعه كلام العرب ويأباه القياس على كلامها فانه لا يقنع في قبوله أن تسمعه من الواحد ولا من العدة القليلة الا ان يكثر من ينطق به منهم (٣)

واذا رأيت الشاعر قد ارتكب ضرورات قبيحة كالفصول والفروق بين الجزئين المتصلين اتصالاً قوياً فليس ذلك بدليل قاطع على ضعف لغته أو قصور فصاحته بل مثله في ذلك مثل مجري الجموح بلا لجام (٤) .

وفيما يرد عن العربي مخالفاً للجمهور يذكر أنه ينظر في حال العربي وفيما جاء به فان كال الانسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به وكان ما أورده مما يقبله القياس الا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الانسان فان الاولى في ذلك أن يحسن الظن به ولا يحمل على فساد .. فان لم يكن القياس مسوفاً له كرفع المفعول وجر الفاعل ورفع المضاف اليه فينبغي أن يرد وذلك لانه جاء مخالفاً للقياس والسماع جميعاً فلم يبق له عصمة تضيفه ولا تمسكة تجمع شعاعه (٥) . ودونك على سبيل المثال قوله في :

• جادت بكفّي* كان من أرمى البشر •

أي بكفي رجل أو انسان كان من أرمى البشر فقد روي غير هذه الرواية .

(١) الخصائص ٢ / ٢١ - ٢٤

(٢) الخصائص ٢ / ٢٥

(٣) الخصائص ٢ / ٢٥

(٤) الخصائص ٢ / ٣٩٠-٣٩٣

(٥) الخصائص ١ / ٣٨٥-٣٨٧

روي « بكفي كان من أرمى البشر » بفتح ميم (من) أي بكفي من هو أرمى البشر وكان على هذا زائدة ولو لم تكن فيه إلا هذه الرواية لما جاز القياس عليه لفروده وشذوذه مما عليه عقد هذا الموضع . ألا تراك لا تقول مررت بوجهه حسن ٩ « (١) .

فلا يأخذ - كما ترى - بالرواية الواحدة المخالفة للقياس ، ولكن قد يقل الشيء وهو قياس ويكون غيره أكثر منه إلا أنه ليس بقياس ، وذلك نحو قولهم في النسب إلى شنوءة - شني فلن أن تقول قياساً على هذا فتوبة فتبي وركوبة ركي مع أنه ورد هذا النسب في حرف واحد غير أنه جميع ما جاء .

وأما ما هو أكثر من باب شني ولا يجوز القياس عليه فنحو قولهم في ثقيف : ثقي في قریش قرشي وفي سليم مُسلمي (٢) .

وخلاصة رأيه في النقلة والمسموعات المفردة :

١ - العربي الفصيح إذا انتقل لسانه من لغة إلى أخرى فصيحة وجب أن يؤخذ باغته الجديدة ، فإن انتقل لسانه إلى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالاولى .

٢ - إذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره ، فإن كان هذا الفصيح ثقة ولم يخالف القياس أخذ به ، وإن ورد منه شيء بأباه القياس فلا يقنع بقبوله من الواحد ولا من العدة القليلة .

٣ - إذا سمع من العربي ما هو مخالف للجماهير ينظر في الناقل فإن كان فصيحاً في جميع ما عدا الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقباه القياس يقبل منه ، فإذا لم يكن القياس مسوغاً له رد .

٤ - إذا كان المسموع فرداً لا نظير له مع أطباق العرب على النطق به فهذا

(١) الخصائص ٣٦٧/٢

(٢) الخصائص ١١٥/١-١١٦

يقبل ويحتج به ويقاس عليه اجماعاً مثل النسب الى فعولة فلم يرد إلا شئوء
شئئي (١) .

٥ - اذا ارتكب الشاعر ضرورات قبيحة في الفصول ونحوها فليس معنى
ذلك الدلالة على ضعف لغته وقصور فصاحته .

أما بالنسبة لأشعار المولدين فإنه يستشهد بها في المعاني لا في اللغة فإن المعاني
يتناهبها المولدون كما كان يتناهبها المتقدمون ، ويذكر ان ابا العباس المبرد كان من
الذين يستشهدون بأشعارهم لهذا الغرض (٢) . ويقول ابن جني بعد ان أورد ابیاتاً
للمتنبي « ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وان كان مولداً في اثناء ما نحن عليه من
هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه فان المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها
المتقدمون (٣) . . . ثم يحذر من موقف التمتع من الاستشهاد بأبيات المولدين في
هذا المجال فيقول بعد ذلك : (وإياك والحنبلية حثاً فإنها خلقت ذميم ومطعم على
علاته وخيم (٤) .

وقد استشهد بأبيات المتنبي كثيراً وبشعر غيره من المولدين ومن ذلك قول
المتنبي

فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول
وقوله أيضاً

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محبة اليك الأغصنا (٥)

(١) انظر الاقتراح ص ٢٢

(٢) الخصائص ١ / ٢٤

(٣) الخصائص ١ / ٢٤

(٤) الخصائص ١ / ٢٥

(٥) الخصائص ١ / ٢٤

وقوله ايضاً :

نحن ركب م الجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال (١)

وجاء في (المنصف) في استعمال أفعال للمصادر ويل وويح وويس قال :
« وقد أنشدوا بيتاً في استعمال أفعال هذه المصادر وهو قول الشاعر

فما وال ولا واح ولا واس أبو هند

وهذا من الشاذ وأظنه مولدا . . » (٢)

ويستشهد بأبيات لابن الرومي منها

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يحن قتل المسلم المتحرز

ان طال لم يمل وان هي أوجزت ود المحدث انها لم توجز (٣)

وبأبيات لمولد آخر يستشهد بها في الاستعارة من مثل

وبيت قد بنينا فا رد كالكوكب الفرد

بنيناه على اعمدة من قضب الهند (٤)

فهو - كما ذكرنا - يستشهد بها في المعاني لا في اللغة .

(١) الخصائص ١ / ٣٠٢

(٢) المنصف ٢ / ١٩٨

(٣) الخصائص ١ / ٢٩ - ٣٠

(٤) الخصائص ١ / ٤٠

الباب الرابع

جهوده في أصول النحو

أصول النحو : أدلة النحو التي تفرعت منها فروعها وفصوله (١) .

جهوده في أصول النحو

كان لابن جني في أصول النحو باع طويل وجهد كبير ، وهو أول من الف فيه بهذه السعة وهذا الشمول . وقد تحامى البصريون والكوفيون « الخوض في أدنى أو شاله ومُحلّجه فضلاً عن اقتحام غماره ولججه » (٢) .

ولقد الف أبو بكر بن السراج (المتوفى ٣١٦ هـ) في أصول النحو إلا انه - كما قال أبو الفتح - « لم يلعم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوله » (٣) . وصنف أبو الحسن الاخفش سعيد بن مسعدة (المتوفى ٢١٠ هـ) في شيء من المقاييس كتيباً ، قال أبو الفتح « اذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أننا نبنا عنه وكفيناه كفلة التعب به » (٤) .

والكتاب الذي صنفه لهذا الغرض هو كتابه المشهور (الخصائص) وكان

(١) لمع الادلة ٨٠

(٢) الخصائص ج ١/٢ ، ٣

(٣) الخصائص ج ١/٢ ، ٣

(٤) الخصائص ج ١/٢ ، ٣

ابن جني معظما له لاعتقاده فيه « أنه من أشرف ما صنف في علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظر » (١) . وليس غرضه فيه الرفع والنصب والجر والجزم « لأن هذا أمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معادن المعاني ، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ وكيف سرت أحكامها في الأحناء والخواشي (٢) والقول على أوائل أصول هذا الكلام » (٣) .

أثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث فيه

لقد استفاد ابن جني ومن بعده ممن الف في أصول النحو من علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث ، استفادوا من المصطلحات ومن طريقة البحث ، ومن يقرأ كتابا في أصول النحو يلحس الأثر واضحا فيه . وقد ذكر ابن جني ذلك بتصريح أكثر من مرة ، فيذكر أنه عمل كتاب (الخصائص) على مذهب أصول الكلام والفقه فيقول : « وذلك أننا لم نر أحدا من علماء البلد (٤) تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » (٥) . ويقول في مكان آخر : « ان هذا الكتاب ليس مبنيا على حديث وجوه الاعراب وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام وكيف بدىء والامّ نمي وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه » (٦) .

ويذكر أن علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفهمين

(١) الخصائص ١/١

(٢) الخصائص ٣٢/١

(٣) الخصائص ٦٧/١

(٤) البصرة والكوفة

(٥) الخصائص ٣، ٢/١

(٦) الخصائص ٦٧/١

فيقول « اعلم أن عـال النحويين - واعني بذلك - مذاقهم المتقنين لألفافهم المستضعفين - أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين » (١) وعلل النحو وان كانت ليست في سمت العلل الكلامية البتة الا انها أقرب اليها من العلل الفقهية (٢) . ويذكر ان كتب مجد بن الحسن صاحب أبي حنيفة انما ينتزع أصحابه منها العلل (٣) ، ومجد بن الحسن هو الفقيه المشهور الذي أخذ عن أبي حنيفة وترجمنا له فيما قبل .

ولو تابعنا العناوين التي يصدر بها بحوثه في كتاب (الخصائص) لكفانا ذلك مؤونة البحث عن التشابه بينها فهي مأخوذة من أصول الفقه - ومن علم الكلام والمنطق فهو يتكلم في علل العربية اكلامية هي أم فقهية ، والعلل الموجبة والمجوزة ، ويتكلم في الاستحسان ، وفي تخصيص العال ، وتعارض العلل ، والعلة القاصرة (٤) والعلة وعلة العلة ، ودور الاعتلال ، والمعلول بعلمتين ، والحكم يقف بين الحكمين ، وخلع الأدلة ، والاكتفاء بالسبب من المسبب وبالعكس ونحو ذلك . فتتبع العناوين وحدها يدلك على أثر الفقه وعلم الكلام والمنطق في بحثه ، وذكر صاحب (الاقتراح) أن ابن جني قال في (الخصائص) : « اذا أدرك القياس الى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه (الى ما هم عليه) (٥) انتهى وهذا يشبهه شيء من أصول الفقه : نقض الاجتهاد اذا بان النص بخلافه » (٦) .

(١) الخصائص ٤٨/١

(٢) الخصائص ٥٣/١

(٣) الخصائص ١٦٣/١

(٤) ذكرها تحت عنوان (العلة اذا لم تتعد لم تصح)

(٥) الخصائص ١ / ١٢٥

(٦) الاقتراح ص ٨٦

وعلى هذا جميع كتب أصول النحو فلو تصفحت (لمع الأدلة) لابن الأنباري أو (الاقتراح) للسيوطي وغيرهما من كتب الأصول لظهر ذلك جلياً واضحاً. جاء في (الاقتراح) ان الحكم النحوي « ينقسم الى رخصة وغيرها » (١) وهو يشبه ما في أصول الفقه من انقسام الحكم الشرعي الى رخصة وعزيمة. وجاء في (لمع الأدلة) « اذا تعارض المانع والمقتضي قدم المانع. من ذلك ما وجد فيه سبب الامالة ومانعها لا يجوز امالته » (٤) وهو يشبه القاعدة الفقهية : درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

ويظهر أثر ذلك واضحاً في نحوي آخر هو ابن مضاء القرطبي الظاهري الذي حاول أن يهدم النحو القديم ويبني نحواً على اساس المذهب الظاهري ويربط مسأله بالشرع فيقول ان التقدير وادعاء الزيادة في الكلام وخصوصاً في كلام الله حرام ، وقد قال رسول الله (ص) من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ ومقتضى هذا الخبر النهي ، وما نهى عنه فهو حرام ألا ان يدل دليل ، والرأي ما لم يستند الى دليل حرام. وقال (ص) : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . وهذا وعيد شديد . وما توعد رسول الله على فعله فهو حرام (٣).

وهو يدعو الى الغاء العوامل والعمال الثواني والثالث ويدعو الى الغاء القياس والغاء التقديرات والتأويلات بوحى هذا المذهب الذي يأخذ بالظاهر وينكر ما عده (٤)

إذن فأثر الفقه والمنطق في أصول النحو مما لا يخفى على من له ادنى المام بهذا

(١) الاقتراح ص ٧١

(٢) لمع الأدلة ٨١

(٣) الرد على النحاة ٩٢

(٤) انظر مقدمة كتاب الرد على النحاة ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ الخ وانظر كتاب الرد

على النحاة ص ٨٦ وما بعدها و ٩٦ و ٩٧ ... الخ .

الشان . قال أبو سليمان المنطقي السجستاني وقد عقد مشابهة بين المنطق والنحو « فالنحو يدخل المنطق ولكن مرتباً له ، والمنطق يدخل النحو ولكن محققاً له وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم أكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم . » (١)

ان أثر المنطق وأصول الفقه واضح فيما يبحثه أبو الفتح من قضايا نحوية فيقول مثلاً في (خرجت به) لا يمكن اعتداد الباء كأنها بعض الفعل لأن « هنا دليلاً آخر يدل على انها كبعض الاسم ، الا ترى انك تحكم عليها وعلى ما جرته بأنهما جميعاً في موضع نصب بالفعل حتى انك لتجيز العطف عليهما جميعاً بالنصب نحو قولك : مررت بك وزيداً ، ونزلت عليه وجعفرأ فاذا كان هناك أمران أحدهما على حكم والآخر على ضده وتعارضهما هذا التعارض رافعا أحكامهما » . (٢)

ويتكلم على العلة في النحو فكأنه يتكلم على العلة في المنطق فيقول « ومن بعد فالعلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة ، الا ترى ان السواد الذي هو علة لتسويد ما يحله انما صار كذلك لنفسه لا لأن جاعلاً جعله على هذه القضية » (٣) . وفي باب (الحكم للطاري) يقول : « اعلم ان التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام . فإذا ترادف الضدان في شيء منها كان الحكم منها للطاري فأزال الأول ، وذلك كلام التعريف اذا دخلت على المنون حذف لها تنوينه كرجل والرجل وغلّام والغلّام . وذلك ان اللام للتعريف والتنوين من دلائل التنكير ، فلما ترادفا على الكلمة تضادا فكان الحكم لطارئها وهو اللام .

وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد كالأسود يطرأ عليه

(١) المقابسات - لأبي حيان التوحيدي - مقابلة ٢٢ ص ١٧٢

(٢) الخصائص ١ / ١٠٢

(٣) الخصائص ١ / ١٧٤

البياض والساكن تطراً عليه الحركة فالحكم للثاني منهما . واولاً أن الحكم للطاري لما تضاد في الدنيا عرضان . (١)

وفي (باب في الحمل على أحسن القبيحين) كأنه يتكلم في بحث فقهي فيقول « اعلم ان هذا موضع من مواضع الضرورة المميلة وذلك ان تحضرك الحال ضرورتين لا بد من ارتكاب احدهما فينبغي حينئذ ان تحمل الأمر على أقربها وأقلها فحشاً » . (٢)

وهذا يشبه القاعدة الفقهية (يرتكب أخف الضررين) ويضرب مثلاً لذلك فيقول في نحو (فيها قائماً رجل) « لما كنت بين أن ترفع قائماً فتقدم الصفة على الموصوف ، - وهذا لا يكون - وبين ان تنصب الحال من النكرة . وهذا على قلته جائز حملت المسألة على الحال فنصبت . » (٣)

وكما استفاد الباحثون في أصول النحو من أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق استفادوا من مصطلح الحديث وان كان ظهور ذلك عند أبي الفتح أقل مما يظهر عند غيره فهو يتكلم على العربي الذي يرد عنه ما هو مخالف لما عليه الجمهور (٤) كما يتكلم المحدثون على الشخص الذي يرد عنه الحديث مخالفاً لأحاديث أخرى موثوق بها ، أو الثقة الذي خالف من هو اوثق منه أو ما يسمى عندهم (الحديث الشاذ) .

ويعقد باباً في الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره ، وهو يشبه عند المحدثين (الحديث الغريب) وهو الذي يأتي عن ثقة لا يأتي عن غيره . ويعقد باباً في صدق النقلة وثقة الرواة والحملة كما يفعل المحدثون في الجرح والتعديل .

(١) الخصائص ٣ / ٦٢

(٢) الخصائص ١ / ٢١٢

(٣) الخصائص ١ / ٢١٣

(٤) الخصائص ١ / ٣٨٥

ويظهر ذلك في الكتب التي ألفت بعده بصورة أوضح فني (لمع الأدلة)
يتكلم ابن الأنباري في (انقسام النقل الى تواتر وآحاد) ويتكلم في شرط نقل
المتواتر وشرط نقل الآحاد كما يفعل المحدثون وبنفس المصطلحات (١) . ويتكلم في
قبول نقل أهل الأهواء مستعيناً بكتب الحديث فيقول « والذي يدل على قبول
نقلهم ، ان الامّة أجمعت على قبول صحيح مسلم والبخاري وقد روي فيهما عن
قتادة وكان قد روي عن عمران بن حطان وكان خارجياً وعن عبدالرزاق وكان
رافضياً » (٢) .

ويتكلم في قبول المرسل والمجهول كما يتكلم أهل الحديث فيهما . ويعرف
المرسل فيقول « اعلم أن المرسل هو الذي انقطع سنده » (٣) والمرسل عند
المحدثين هو الذي يرويه التابعي عن رسول الله (ص) من غير ذكر للصحابي .
فتراه يستعين بالمحدثين ويتبع سنن أهل الحديث في بحثه لأصول النحو في
اصطلاحاتهم وطريقة بحثهم .

إن أثر علم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلحات الحديث في أصول
النحو من الواضح بمكان ، وهذه العلوم التي ذكرناها هي المعين لمادة أصول النحو
في مصطلحاتها وطريقة بحثها .

ادلة الصناعة

(١) السماع (النقل)

النقل هو « الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد
القلة الى حد الكثرة » (٤) .

(١) لمع الادلة ٨٣-٨٦

(٢) لمع الادلة ٨٦-٨٧ وما بعدها

(٣) لمع الادلة ٩٠

(٤) الاغراب في جدل الاعراب ص ٤٥

وقد تكلمنا على « السماع » في اثناء كلامنا على الشواهد وذكرنا انه وقف منه موقف سائر النحاة البصريين . ولناخص رأيه فيه بما يلي

١ - انه يُنقل عن العرب الفصحاء الذين ثبتت فصاحتهم ، وكان أبو الفتح نفسه يختبر من يرد عليه منهم وذلك كما كان يصنع مع الشجري وابن عمه غصن ومع أشخاص آخرين .

٢ - يُنقل عن العرب الفصحاء مشافهة أو بواسطة نقلة صادقين ثقات وقد عقد باباً في (صدق النقلة وثقة الرواة والحملات) (١) .

٣ - العربي الفصيح اذا انتقل لسانه من لغة الى اخرى فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته الجديدة ، فان انتقل الى لغة فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالاولى .

٤ - اذا سمع من العربي الفصيح شيء لم يسمع من غيره فان كان هذا الفصيح ثقة ولم يخالف القياس اخذ به .

٥ - فيما يرد عن العربي مخالفاً للجمهور وكان فصيحاً في كل ماعدا ذلك وكان ما أورده يتقبله القياس فهو مقبول .

٦ - اذا ورد شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحته ولا سبقت الى الانفس ثقته كان مردوداً غير متقبل .

٧ - اذا ورد عنه - أي عن العربي الفصيح - ما هو مخالف للقياس كرفع المفعول وجر الفاعل فهو مردود .

٨ - اذا كان المسموع فرداً لانظير له مع اطباق العرب على النطق به فهذا يحتاج به ويقاس عليه مثل شئنيء نسبة الى شئوة .

٩ - اذا ارتكب الشاعر ضرورات قبيحة كالفصل بين متلازمين فليس ذلك

(١) الخصائص ٣ / ٣٠٩ - ٣١٢

دليلا على ضعف لغته وائتقاض فصاحته .

(٢) القياس :

القياس هو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان وان لم يكن كل ذلك منقولا عنهم (١) وهو على ثلاثة اقسام :

أ- قياس العلة : وهو حمل الفرع على الاصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الاصل مثل حمل نائب الفاعل على الفاعل بعلة الاسناد (٢) .

ب - قياس الشبه : وهو ان يحمل الفرع على الاصل بضرب من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الاصل كاعراب المضارع لشبهه الاسم من أوجه (٣) .

ج - قياس الطرد : وهو الذي يوجد معه الحكم وتفقد الاخالة في العلة - والاخالة المناسبة - (٤) كأن تعلى بناء (ليس) لانها فعل جامد وهو ليس بحجة عند الأكثرين .

واركانه اربعة (٥)

آ - المقيس عليه وهو كلام العرب من شعر ونثر او ما يسمى الشاهد وقد سبق ان ذكرنا شروطه .

ب - المقيس : وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم نحو قولك في قوله : كيف تبني من « ضرب » مثل جعفر ضرب هذا من كلام العرب ، ولو بنيت

(١) الاغراب في جدل الاعراب ٤٥

(٢) لمع الادلة ١٠٥

(٣) لمع الادلة ١٠٧

(٤) لمع الادلة ١١٠

(٥) الاقتراح من ٣٨ - ٤٦

مثل صيرب أو صورب أو ضرّوب أو نحو ذلك لم يعتقد من كلام العرب لأنه قياس على الأقل استعمالاً والأضعف قياساً (١). وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . قال أبو علي : اذا قلت « طاب الخشكنان » فهذا من كلام العرب لأنك في اعرابك اياه قد ادخلته في كلام العرب (٢) .

ج - الحكم : وهو ما يظهر نتيجة لقياس المقيس على المقيس عليه بالعلة الجامعة كأن يكون مرفوعاً او منصوباً او جازز الوجهين ونحو ذلك من احكام نحوية

د - العلة : وقد تكلم أبو الفتح في العلل كثيراً وسنذكر ذلك فيما بعد . ومن قياس العلة ما علل به رفع المبتدأ والفاعل فقال « وأنا أرى انهم انما يقدّمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان يجمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواهما للأميرين : احدهما ان رتبة الاقوى اسبق واعلى ، والآخر انهم انما يقدّمون الاثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم في أول نطقه اقوى نفساً واظهر نشاطاً فقدم اثقل الحرفين وهو على اجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره فأن هذا احد ما يحتاج به في المبتدأ أو الفاعل (٣) ، ومن قياس الشبه ما ذكره في اعراب المضارع وبناء الماضي وفي باب ما لا ينصرف قال : - وكما أنهم لما اعرّبوا المضارع لشبهه باسم الفاعل تخطوا اذ ذاك ايضاً الى ان شبهوا الماضي بالمضارع فبنوه على الحركة لتكون له مزية على ما لا نسبة بينه وبين المضارع اعني مثال أمر المواجه (٤). وقال : وعليه باب ما لا ينصرف.

(١) الخصائص ١ / ١١٤

(٢) الخصائص ١ / ٣٥٧

(٣) الخصائص ١ / ٥٥

(٤) الخصائص ١ / ٦٣

الآترهم لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يهر فوه، كذلك شبهوا الفعل باسم فأعربوه (١).
ونلخص رأيه في القياس بما يلي :

١ - في العربية ما هو مطرد في القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة نحو قام زيد وضربت عمرا ومررت بسعيد .

٢ - ومطرد في القياس شاذ في الاستعمال وذلك نحو الماضي من يندر وبدع وكذلك قولهم مكان مبقل .

٣ - ومطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم اخوص الرمث ، واستحوذ ، وأغليت المرأة ، واستنوق الجمل .

٤ - والشاذ في القياس والاستعمال جميعاً وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون . (٢)

٥ - قد يكثر الشيء وليس بقياس ويقل الشيء وهو قياس وذلك كما مر في النسب الى شنه : شني فلان ان نقيس عليه الاضافة الى (فعولة) ومن الاول نحو قولهم في ثقيف ثقي وفي قريش قرشي وفي سليم سليمي (٣) .

٦ - اذا تعارض السماع والقياس نطق بالمسحوع على ما جاء عليه ولم نقسه في غيره نحو قوله تعالى « استحوذ عليهم الشيطان » فهذا ليس بقياس لكنه لا بد من قبوله . (٤)

٧ - قد يمتنع العرب عما يجوز في القياس اذا استغنوا بلفظ آخر كاستغنائهم بقولهم : ما أجود جوابه عن قولهم ما أجربه وكنحو استغنائهم عن وذر وودع

(١) الخصائص ٦٣/١

(٢) الخصائص ٩٧/١ - ٩٨

(٣) الخصائص ١١٥/١ - ١١٦

(٤) الخصائص ١١٧/١

بترك (١) .

٨ - اذا ورد شيء واوجب له القياس حكما ، وكان من الجائز ان يأتي السماع بضد ذلك الحكم ، فلا يتوقف في ذلك الى ان يرد السماع بل يقطع بظاهر القياس ، وذلك نحو نون عنتر وعنبر وقرناس يحكم بأصليتها وان كان يجوز ان يرد دليل يقطع به على هذه النونات بالزيادة ، ولا يتوقف في ذلك انتظارا لورود السماع . (٢)

(٣) الاجماع

والمقصود به اجماع النحاة من اهل البلدين (٣) ويقول ابو الفتح انه حجة اذا اعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص فأما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه (٤) . قال : وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة فكل من مفرق له عن علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه وإبا عمرو فكره (٥) وذكر ان من جملة مما احتج به على أبي العباس (المبرد) في انكاره جواز تقديم خبر (ليس) عليها ان اجازة هذا مذهب سيبويه وأبي الحسن واصحابهم كافة والكوفيين ، ثم يقول ان هذا ليس بموضع قطع على الخصم . . وإنما لم يكن فيه قطع لأن للانسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو اليه القياس مالم يبلور بنص أو ينتهك حرمة شرع (٦) .

وذكر هو عن نفسه انه خالف الاجماع ومما خالف فيه الاجماع منذ بدىء العلم والى آخر هذا الوقت « ما رأيته أنا في قولهم : هذا حجر ضب خرب . فهذا

(١) الخصائص ٣٩١/١

(٢) الخصائص ٦٦/٣

(٣) البصرة والكوفة

(٤) الخصائص ١٨٩/١

(٥) المصدر السابق ١٨٩/١

(٦) الخصائص ١٨٨ / ١

يتناوله آخر عن أول فنال عن ماض على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه وانه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز رد غيره اليه .
وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيقا على ألف موضع وذلك انه على حذف المضاف لا غير « (١) » .

وقد احتج أبو الفتح بالاجماع في مواطن منها :

- ١ - ماجاء في (الخصائص) والضمير بالاجماع ابعـد شيء عن الفعل . (٢)
- ٢ - وما جاء في (الخصائص) انهم - يعني النحاة - قد اجمعوا على أن الكاف في نحو ضربتك من الضمير المتصل (٣) .
- ٣ - وما جاء فيه في نحو (مررت بك ونزلت عليه) قال « والآخر اطباق النحويين على أن يقولوا في نحو هذا ان الضمير قد خرج عن الفعل ، وانفصل من الفعل ، وهذا تصريح منهم بأنه متصل اي متصل بالباء العاملة فيه . (٤)
- ٤ - عدم النظر

ذكر أن « النظر » مما يؤنس به فأما ألا تثبت الأحكام إلا به فلا ، ألا ترى انه قد اثبت في الكلام فعملت تفعل وهو كـمدت تكاد وان لم يوجدنا غيره (٥) . ثم ان القياس اذا أجاز شيئاً وسمع ذلك الشيء عينه فقد ثبت قدمه وأخذ من الصحة والقوة مأخذه ثم لا يقدح فيه الا يوجد له نظير لأن ايجاد النظير وان كان مأنوساً به فليس في واجب النظر ايجاده (٦) .

(١) الخصائص ١/١٩١

(٢) الخصائص ١/١٠٣

(٣) الخصائص ١/١٠٠ - ١٠١

(٤) الخصائص ١/١٠٣

(٥) الخصائص ١/٢٥٢

(٦) الخصائص ١/١٣٦

ويقول انه اذا دل الدليل فلا يجب ايجاد النظر فاما ان لم يقم دليل فانك محتاج الى ايجاد النظر الا ترى الى «عزويت» (١) لما لم يقم الدليل على أن واوه وتاءه اصلان احتجت الى التعلل بالنظر فنعت من أن يكون (فعو يلا) لما لم تجد له نظيرا ، وحملته على (فعلميت) لوجود النظر وهو عفريت ونفريت . (٢)
واستدل بعدم النظر في قول الشاعر

اذا هو لم يخفني في ابن عمي - وان لم الفه- الرجل الظلوم

يقول : لم ر هذا الضمير (ضمير الشأن) على شريطة التفسير عاملا فيه فعل محتاج الى تفسير . فاذا أدى هذا القول الى مالا نظير له وجب رفضه واطراح الذهاب اليه . (٣) وذكر أن أبا عثمان - يعني المازني - احتج بعدم النظر قال : - وكذلك قال أبو عثمان في الرد على من ادعى ان (السين) أو (سوف) ترفعان الافعال المضارعة : لم ر عاملا في الفعل تدخل عليه اللام ، وقد قال سبجانه (ولسوف تعلمون) فجعل عدم النظر ردا على من انكر قوله (٤) .

ولا أدري ماذا يعني أبو عثمان وأبو الفتح في القول « لم ر عاملا في الفعل تدخل عليه اللام » مع انه قد ورد ذلك قال (ص) « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتخلص ... » هذه لام الابتداء ، وكذلك شأن لام الجر . قال تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب ... »

٥ - الحمل على الظاهر

وهو يأخذ بهذا المبدأ وان امكن ان يكون المراد غيره . قال « فاذا

(١) قيل القصير وقيل اسم موضع - حاشية ١ / ١٩٧

(٢) الخصائص ١ / ١٩٧

(٣) الخصائص ١ / ١٠٤

(٤) الخصائص ١ / ١٩٧

شاهدت ظاهراً يكون مثله أصلاً أمضيت الحكم على ما شاهدته في حاله وان أمكن أن تكون الحال في باطنه بخلافه . ألا ترى ان سيبويه حمل « سيداً » على انه مما عينه باء فقال في تحقيره « سييد » كدبلك وديبك . فان قلت فاننا لا نعرف في الكلام تركيب (س ي د) فهلا لما لم يجد ذلك حمل الكلام على ما في الكلام مثله وهو ما عينه من هذا اللفظ واو وهو السواد والسودد ونحو ذلك ؟ قيل هذا يدل على قوة الظاهر عندهم (١) . قال ويشهد لصحة مذهب سيبويه - يعني في الأخذ بالظاهر - ما يحكي عن النبي صلى الله عليه وسلم - وقد مر قبلاً - وقد جاءه قوم من العرب فسألهم عليه السلام فقال من انتم ؟ فقالوا بنو غيان . فقال بل انتم بنو رشدان . أو لا تراه صلى الله عليه كيف تلقى غيان بأنه من الغي فحكم بزيادة الفه ونونه وترك عليه السلام أن يتلقاه من باب « الغين » (غ ي ن) وهو الباس الغيم (٢) .

قال قصار هذا عياراً على كل ماورد في معناه (٣) .

٦ - استصحاب الحال :

وهو ابقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل كقولك في فعل الأمر انما كان مبنياً لأن الأصل في الأفعال البناء ، وان ما يعرب منها لشبه الاسم ولادليل يدل على وجود الشبه ، فكان باقياً على الأصل في البناء (٤) وقال ابن مالك من قال ان كان واخواتها لا تبدل على الحدث فهو مردود بأن الأصل في كل فعل الدلالة على المعنيين فلا يقبل اخراجها عن الأصل الا بدليل . (٥)

(١) الخصائص ١ / ٢٥١

(٢) انظر لسان العرب (غين)

(٣) الخصائص ١ / ٢٥١ ، المبهج ص ١٤ ، ١٥

(٤) الاغراب ص ٤٦

(٥) لمع الأدلة ص ٧٢

وابن جني يستعمله وان لم يذكره باسمه وذلك نحو ما جاء في المتعلق به أهو
أولى بالفعلية ام بالاسمية فقد ذهب ابن السراج وأبو الفتح الى انه اسم لكونه مفرداً
والأصل في خبر المبتدأ ان يكون مفرداً . (١)

استدلالات اخرى

١ - الاستدلال بالتقسيم : وهو على ضربين : أحدهما ان يذكر الأقسام التي
يجوز ان يتعلق الحكم بها فيبطلها جميعاً فيبطل بذلك قوله ، وذلك مثل أن يقال :
لو جاز دخول اللام في خبر لكن لم يخل اما ان تكون لام التوكيد او لام القسم .
بطل أن تكون لام التوكيد لأن لام التوكيد انما حسنت مع ان لاتفاقها في المعنى
واما لكن فمخالفة لها في المعنى . وبطل ان تكون لام القسم لأن لام القسم انما
حسنت مع ان لأن (ان) تقع في جواب القسم . . واذا بطل ان تكون لام التوكيد
وبطل ان تكون لام القسم بطل ان يجوز دخولها في خبرها .

والثاني أن يذكر الأقسام التي يجوز أن يتعلق الحكم بها فيبطلها الا الذي
يتعلق به الحكم من جهته فيصحح قوله . (٢)
وهو يستعمل هذا النوع من الاستدلال فيقول في (باب محل الحركات من
الحروف معها أم قبلها أم بعدها) .

« أما مذهب سيبويه فان الحركة تحدث بعد الحرف وقال غيره : معه ،
وذهب آخرون الى انها تحدث قبله » (٣) ثم أبطل قول من ذهب الى انها تحدث
مع الحرف وقول من ذهب الى انها تحدث قبله ثم قال في ص ٣٢٤ : « فإذا بطل
هذا ثبت قول صاحب الكتاب » .

(١) شرح الرضي على الكافية ١ / ٩٩

(٢) لمع الادلة ١٢٧

(٣) الحصائص ٢ / ٣٢١ - ٣٢٤

ويقول في قول الشاعر

إذا هو لم يخفني في ابن عمي - وان لم لاقه - للرجل الظلوم
فيذكر أن (هو) ضمير الشأن مرفوع ، ثم يقول : « فلا يخلو رفعه من ان
يكون بالابتداء - كما قلنا - او بفعل مضمر فيفسد ان يكون مرفوعاً بفعل مضمر
لأن المضمر لا دليل عليه ولا تفسير له وما كانت هذه سبيله لم يجز اخباره .
فاذا ثبت بما اردناه ما اردنا علمت وتحققت ان (هو) من قوله (إذا هو
لم يخفني ..) مرفوع بالابتداء لا بفعل مضمر » (١) .

وقال في (المنصف) في « ليس » « قال أبو الفتح قد صحح ان « ليس »
فعل ، لقولهم لست ولسنا كقمت وقمنا واذا ثبت انها فعل قد يخلو من ان تكون
في الاصل « فَعَل - أو فَعَلْ أو فَعِلْ » فلا يجوز ان تكون (فَعَلْ) لانها ليس
في ذوات الياء (فَعَلْ) ... ولا يجوز ان تكون كانت (فَعَلْ) لأن ما كانت
عينه مفتوحة لم يجز اسكانها .. فلا يسد من ان يكون (فَعِلْ) وأصلها
« ليس » (٢) .

٢ - الاستدلال الأولى : وهو أن يبين في الفرع المعنى الذي تعلق به الحكم
في الاصل وزيادة ، وذلك مثل ان بدل على بناء اسماء الاشارة و (ما) التعجبية
فيقول « أجمعنا على ان الاسم يبنى اذا تضمن معنى حرف منطوق به فلأن تبنى
اسماء الاشارة وما التعجبية لتضمن معنى حرف غير منطوق به كان من طريق
الأولى (٣) :

وقد استدلال أبو الفتح بهذا النوع من الاستدلال فن ذلك

آ - ما جاء في (الخصائص) « فاذا لم يعمل المضمر ملفوظاً به كان الا يعمل

(١) الخصائص ١ / ١٠٤ - ١٠٥

(٢) المنصف ١ / ٢٥٨

(٣) لمع الادلة ١٣١

غير ملفوظ به أخرى وأجدر : . « (١)

ب - وما جاء في (الخصائص) ايضاً « فاذا جاز ان يحمل حروف المضارعة بعضها على بعض ومراتبها متساوية وليس بعضها أصلاً لبعض كان حمل المؤنث على المذكر لأن المذكر أسبق رتبة من المؤنث اولى وأجدر » (٢) :

٣ - اسقاط الدليل جاء في (الخصائص) « ومن ذلك قول البغداديين : ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به ، واخوك اكرمه ، فارتفاعة عندهم انما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد واسقاط هذا الدليل ان يقال لهم فنحن نقول : زيد هل ضربته واخوك متى كلمته ؟ ومعلوم ان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله » (٣) :

العلل

يرى أبو الفتح أن علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين . وذلك انهم - أي النحويين - انما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك حديث علل الفقه . وذلك انما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا (٤) . ويضرب مثلاً لذلك في ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور والصلاة وعدد ركعاتها والطلاق وغير ذلك بينما يرى ان التعليل واف لعلل النحو كرفع الفاعل ونصب المفعول وكقلب (واو) مؤزناً وموئداً الى ياء ويرى أن التعليلات الفقهية لم تستفد من طريق الفقه ولا ينحصر حديث الفرض والشرع بل هو أمر قائم في النفوس ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الاعراب الا والنفس تقبله

(١) الخصائص ١/١٠٣

(٢) الخصائص ١/١١٢

(٣) الخصائص ١/١٩٩

(٤) الخصائص ١/٤٨

والحسن منظو على الاعتراف به ، وعلى هذا فاعل الفقه أخفض من رتبة عال الزحو (١). وأراه مغالياً في هذه الموازنة بين علل الفقه والشرع فان ما ذكره من أن علل الفقه لم تستفد من طريق الفقه ولا من طريق ينخص الفرض والشرع ليس صحيحاً فقد وردت تعليقات لأحكام شرعية كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية نحو قوله تعالى في شهادة المرأتين مع الرجل « أن تضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى » وفي القصاص « ولستم في القصاص حياة » وفي القتال « الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » وفي تقسيم المال (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وفي شهادة الميت (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) وفي الزواج بواحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) وفي نهى السكران عن أن يقرب الصلاة (حتى تعلموا ما تقولون) وفي الاختلاف بين الناس في معاشهم (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) وغير ذلك وغيره . وفي الحديث في تحريم زواج القريبات اللاتي لم يرد ذكرهن في القرآن مامعناه « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم » وكقوله « اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » أو كما قال وكقوله : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وغير ذلك .

أما تمثيله بعدد الركعات ومناسك الحج فهناك ما هو شبيه به في اللغة ، فن ذلك انه لم سمي « الحاجر » حجراً ؟ ولم كان اسم هذا المسمى على ثلاثة أحرف ، و (الجدول) على أربعة أحرف و « الكرسي » على خمسة ؟ ولم كانت طائفة من المصادر مؤنثة والاخرى مذكرة كالعاقبة والمصير ؟ ولم كان « السبب » مذكراً و « العلة » مؤنثة ، ولم كانت « الشمس » مؤنثة والقمر مذكراً في حين ان ذلك في الافرنسية - مثلاً - معكوس ، ولم كان (الليل) و (النهار) مذكرين في حين أن الليل في بعض اللغات مؤنث والنهار مذكر ؟ ولم لم تكن لاسماء المجموع مفردات

(١) الخصائص ٤٨/١ وما بعدها

كالخيل والابل ؟ ولم كان المصدر من (عَرَفَ يعرف) معرفة وعرفانا ومن (حفظ يحفظ) حفظاً ؟ ولم جعل (كي) حرف نصب و (لم) حرف جزم و (أن) ناصباً و (إن) جازماً ؟ ولم قالوا « استحوذ » ولم يقولوا استحاذا كاستقام ؟ ولم قالوا (يبض) وقالوا (موقن) و (موسر) والعلة واحدة ؟ ولم استعمالوا (العدل) في أسماء محفوظة كعمر وزفر وزحل وثعل دون أن يكون هذا العدل في مالك وحاتم وخالد ؟ وغير ذلك وغيره

والقول بأن علل الفقه لم تستفد من طريق الفقه - لو سلم أنها كذلك وليست كذلك كما مر - كانت علل النحو مثاها . ان علل النحو التي ذكر قسماً منها هي تعليقات للباحثين النحويين وهم ابتدعوها وفيها مسائل خلافية كثيرة أما الواضع فليس له تعليقات - بخلاف الأحكام الشرعية - ولا ذكر للعلل النحوية ومن هذه الناحية تكون علل الفقه أعلى من علل النحويين .

وهذه المناقشة في الحقيقة هي مجازاة له في قوله أما الصواب الذي نعتقده فهو ان علل النحو ليست فقهية ولا كلامية ولا في سمتها وانما هي متعلقة بطبيعة اللغة نفسها .

وأما ادعاؤه بأن كل ما علل به القوم من وجوه الاعراب الا والنفس تقبله فغلاة والا فما الخلاف في التعليل بين البصريين والكوفيين وبين البصريين أنفسهم والكوفيين أنفسهم في اغلب مسائل النحو ، وأيسر حادثة تضرب مثلاً لذلك حادثة شيخه أبي علي الفارسي مع عضد الدولة في تعليل نصب المستثنى في نحو : قام القوم الا زيدا . قال أبو علي انتصب بتقدير استثنى زيدا ، فقال عضد الدولة : لم قدرت استثنى ؟ هلا قدرت : امتنع زيد فرفعت ! فلم يحرف الفارسي جواباً (١) .

ويذكر أن علل النحو على ضربين : احدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطبق في معناه غيره . والاخر ما يمكن تحمله الا انه على تجشم واستكراه :

(١) نزهة الالباء ص ٣٨٨ طبع مصر

ومن الضرب الأول قلب الألف واوا للضمّة قبلها ، وباء للكسرة قبلها نحو قولك في تحقير ضارب ضويرب وفي تحقير قرطاس وتكسـيره قـربطيس وقراطيس فهذا ونحوه مما لا بد منه من قبل انه ليس في القوة ولا احتمال الطبيعة وقوع الألف المدة الساكنة بعد الكسرة ولا الضمة ، وليس كذلك قلب واو عصفور ونحوه باء اذا انكسر ما قبلها نحو عصيفير وعصافير ألا ترى انه قد يمكنك تحمل المشقة في تصحيح هذه الواو بعد الكسرة وذلك بأن تقول عـصـفـوـر وعصافـوـر (١) .

ويفرق بين العلة والسبب ويسمى الأولى « العلة الموجبة » والثاني « العلة المجوزة » ويرى أن أكثر العمال مبناها على الايجاب بها كنصب الفضلة أو ماشابه في اللفظ الفضلة ، ورفع المبتدأ والخبر والفاعل وجر المضاف اليه وغير ذلك ، فعلم هذه الداعية اليها موجبة لها غير مقتصر بها على تجويزها وعلى هذا مقاد كلام العرب . وضرب آخر يسمى (علة) وإنما هو في الحقيقة (سبب) يجوز ، من ذلك أسباب الامالة ، فان كل ممال لسبب لك أن تترك امالته مع وجود السبب . فهذه اذن علة الجواز لاعلة الوجوب .

ومن ذلك علة قلب واو « أقنت » همزة وهي انضمام الواو ضما لازما ومع ذلك فلك ان تجيز ظهورها واوا غير مبدلة فتقول : وقتت (٢) .

ويرى أن العلة اذا لم تتعد لم تصح أو ما يسمى (العلة القاصرة) نحو قول من اعتل لبناء كم ومن وما ونحوها بأن هذه الأسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ماجاء من الحروف على حرفين نحو هل وبل وقد ، فلما شابهتها من هذا الموضع وجب بناؤها وهذه علة غير متعلية اذ لو كان ذلك كذلك لبني ماجاء من الاسماء على حرفين نحو يد وأخ وأب ودم وفم (٣) .

(١) الخصائص ٨٨/١

(٢) الخصائص ١٦٤/١

(٣) الخصائص ١٦٩/١

ويرى ان الحكم الواحد قد يكون معلولا بعلمتين كالاسم الممنوع من الصرف وذلك أن علة امتناعه من الصرف إنما هي لاجتماع شبهتين فيه من اشباه الفعل فأما السبب الواحد فيقبل عن أن يتم علة بنفسه حتى ينضم اليه الشبه الآخر من الفعل (١) .
ويذكر أن الحكم الواحد قد تتجاذب كونه العلمتان أو أكثر منهما كرفع المبتدأ فان البصريين يعللون رفعه بالابتداء والكوفيين يرفعونه بالخبر وكذلك القول في علة رفع الخبر والفاعل ونائبه وخبر ان واخواتها (٢) . وقد وجب في مثل هذه الأمور تأمل القوانين واعتماد أقوالهما ورفض صاحبه فان تساويا في القوة لم ينكر اعتقادهما جميعاً (٣) .

ويذكر أن الحكم قد يبقى مع زوال العلة نحو قولهم فيما أنشده أبو زيد :

حمى لا يُحَلَّ الدهر إلا باذننا ولا نسأل الاقوام عقد الميثاق

ألا ترى أن فاء ميثاق التي هي واو وثقت انقلبت للكسرة مرة قبائها ياء كما انقلبت في ميزان وميعاد فكان يجب على هذا لما زالت الكسرة في التفسير ان تعاود الواو فتقول على قول الجماعة الموائيق كما تقول الموازين والمواعيد (٤) .
وتتأخص أقواله في العلة بما يلي :

١ - ان الشيء اذا أكثر وشاع فله علة كرفع الفاعل ونصب المفعول (٥) .

٢ - ان علل النحو أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين .

٣ - قد يكون للحكم الواحد أكثر من علة واحدة يعمل بها .

٤ - العلة اذا لم تتعد لم تصح .

(١) الخصائص ١/١٧٧

(٢) الخصائص ١/١٦٦

(٣) الخصائص ١/١٠٠

(٤) الخصائص ٣/١٥٧

(٥) الخصائص ١/١٠٠

٥ - قد يكون للشيء الواحد حكمان مختلفان دعت اليهما علتان مختلفتان
كأعمال (ما) الحجازية وإهمال (ما) التميمية (١) .

٦ - قد يكون الحكم الواحد معلولا بعلمتين كالممنوع من الصرف .

٧ - قد تكون العلة واجبة لأن النفس لا تنطبق في معناها غيرها ، وقد تكون
ليست كذلك . من الضرب الأول تحقير ضارب وقرطاس ، ومن الضرب الثاني
تحقير وتكسير عصفور .

٨ - وهنالك علة موجبة وعلة مجوزة وهي السبب ، فالعلة الموجبة كرفع
الفاعل ونصب الفضلة وجر المضاف إليه . والسبب نحو ما يذكر من أسباب الإمالة
وكقلب واو « أقتت » همزة .

٩ - ان الحكم قد يبقى مع زوال العلة وهذا لا يدل على فساد العلة .

١٠ - العلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة ألا ترى ان السواد الذي
هو علة لتسويد ما يحله انما صار كذلك لنفسه لا لأن جماعه جعله على هذه القضية
وعلى هذا فقول من قال (٢) - العلة وعلة العلة - في النحو - انما هو تجوز في
اللفظ (٣) .

١١ - قد يعمل الحكم بدور الاعتلال كما ذهب إليه محمد بن يزيد (المبرد) في
وجوب اسكان اللام في نحو ضَرَبَ بن وضَرَبَتْ الى أنه لحركة ما بعده من الضمير
وذهب في حركة الضمير انما وجبت لسكون ما قبله فاعتل لهذا بهذا وهذا من
القوادح في التعليل (٤) .

(١) الخصائص ١/١٦٧

(٢) يعي أبا بكر بن السراج

(٣) الخصائص ١/١٧٣ - ١٧٤

(٤) الخصائص ١/١٨٣ - ١٨٤

هل كانت العرب تلاحظ العلل ؟

ذهب علماء اللغة في هذا الموضوع مذهبين :

- ١ - المذهب الأول يدّعي أن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام .
- ٢ - والثاني يقول انهم كانوا يتكلمون سايقة وطبيعة من غير تأمل لمواقع الكلام .

وقد ذهب ابن جني الى المذهب الأول وأكده وكرره في مواطن عدة من كتبه . جاء في (الخصائص) « وكان أبو الحسن يذهب الى أن ماغير لكثرة استعماله انما تصورته العرب قبل وضعه ، وعلمت أنه لا بد من كثرة استعمالها اياه فأبتدأوا بتغييره هالما بأن لا بد من كثرته الداعية الى تغييره . . وقد كان أيضاً أجاز أن يكون قد كانت قديمة معربة فلما كثرت غيرت فيما بعد والقول عندي هو المذهب الأول لأنه أدل على حكمتها وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها فتركوا بعض الكلام مبنياً غير معرب نحو أمس وهؤلاء وأين » (١)

وجاء فيه أيضاً « فان قلت : ومن اين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستشفته وعنيت بأحواله وتتبعته حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبته اليها وزعمته مراداً لها ؟ .. قيل له : هيهات ! ما أبعدك عن تصور أحوالهم وبعده أغراضهم ولطف أسرارهم ! » (٢)

ويذكر انه سأل يوماً أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقول ضربت أخاك ؟ فقال كذاك . فقلت : أفنقول : ضربت أخوك ؟ فقال : لا اقول أخوك أبداً . قلت : فكيف تقول : ضربني أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت : ألسنت زعمت أنك لا تقول : أخوك أبداً ؟ فقال :

(١) الخصائص ٣١/٢

(٢) الخصائص ٧٢/١

أيش ذا ! اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا في معناه الا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلا ، وان لم يكن بهذا اللفظ البتة فانه هو للاحالة (١) .

وسأل غلاما من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه فقال : أكذا أم كذا؟ فقال : كذا بالنصب لأنه أخف فجئنا الى الخفة وعجبت من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الانشاد الذي يقال له النصب مما يتغنى به الركبان (٢) .

وعقد باباً (في ان العرب قد أرادت من العامل والأغراض مانسبناه اليها وحملناه عليها) ويقول ان في هذا الباب تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا (٣) ويرى أن اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول والجر بحروف الجر والجزم بحروفه وغير ذلك من حديث الشبهة والجمع والاضافة والنسب مما يطول شرحه دليل لا يحسن بندي لب أن يعتقد ان هذا كله اتفاق وقع وتوارد اتجه (٤) .

فان قلت فما تذكر أن يكون ذلك شيئاً طبعوا عليه وأجيئوا اليه من غير اعتقاد منهم لعلله . . قيل لن يخلو ذلك أن يكون خبراً روساوا به أو تيقظاً نبهوا على وجه الحكمة فيه . فان كان حياً أو مايجري مجراه فهو انبه لهم واذهب في شرف الحال به ، لان الله سبحانه انما هداهم لذلك ووقفهم عليه لأن في طباعهم قبولاً له وانطواء على صحة الوضع فيه (٥) .

ويذكر ان المتنبي حدثه انه شاهد جماعة من العرب وأحدهم يتحدث فذكر

(١) الخصائص ٢٥٠/١

(٢) الخصائص ٧٨/١

(٣) الخصائص ٢٣٧/١

(٤) الخصائص ٢٣٨/١

(٥) الخصائص ٢٣٨ - ٢٣٩/١

في كلامه فلاة واسعة فقال : بحير فيها الطرف قال : وآخر منهم يلقيه سرا من الجماعة بينه وبينه فيقول له : يحار يحار . أفلا ترى الى هداية بعضهم لبعض وتنبيهه اياه على الصواب ؟ (١)

ويذكر انه سأل أبا عبدالله الشجري فقال : - كيف تجمع (دكانا) فقال : دكاكين . قلت : فسر حانا ؟ قال سراحين . . . قلت فعثمان ؟ قال عثمانون ، فقلت له . هلا قلت أيضا عثمانين ؟ قال : أبش عثمانين ! رأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته والله لا أقولها ابدا . (٢) فهل ذلك الا لأنهم يختاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه - على قلته وخفته - الا له من القياس وجه يؤخذ به (٣) .

ويرى الأستاذ الرافعي ان ذلك من (خرفشة النحاة) - كما قال ابن خلدون - ويرى أن الصواب أنهم يتساندون الى السليقة ويجرون على مقتضى الطبع فلا يفتنون الى اختلاف مواقع الكلام باختلاف جهاته ويرى انه لو ثبت تصفحهم لوجوه الكلام وتأملهم مواقعه ماجاز ان ينتقل لسان العربي عن لغة الى لغة أخرى ولا أن يستدرج في بعض الكلام ولا أن تضعف فصاحة الفصيح - مع منهم للزومهم طريقا واضحا ومهيما معروفا . (٤)

وقال الاستاذ محمد الطنطاوي نحو ذلك في كتابه (نشأة النحو) . (٥)
وما استدلل به ابن جني من نحو تصحيح عربي لآخر قال : بحير فقال له : يحار ، أو الاستدلال بجمع (دكان) و (عثمان) ، أو نحو سؤال الشجري عن (ضربت أخاك

(١) الخصائص ٢٣٩/١

(٢) الخصائص ٢٤٢/١

(٣) الخصائص ٢٤٤/١

(٤) تاريخ آداب العرب ٢٤٠/١ - ٢٤١

(٥) نشأة النحو ص ١٣

و ضربني أخوك) وقوله : اختلفت جهتا الكلام ونحو ذلك ، لا أراه ينهض دليلا على أن المتكلم كان يتأمل مواقع الكلام ويعرف علل العربية التي ينسبها اليهم بل الذي أراه أنه يجري وفق سنن قومه ويتس - اند الى طبعه . فأما سؤاله الشجري عن (دكان وعثمان) فهذا مما يحدث نحوه للعامة صغارا وكبارا من دون معرفة بالسبب ماعدا الطبع اللغوي الذي طبعوا عليه وأخذوه من بيئتهم فهم يجمعون (الحمام) مثلا على (الحمامات) و (الشيال) على (الشيات) على حين يجمعون (الصياد) على الصيادين و (السكين) على س - كاكين ولا يعرفون شروط الجمع التي يعدها النحاة . ويجمعون (الدينار) على الدينانير ولا يعرفون أن أصل الياء نون مع أنهم يجمعون (السياط) على السيابيط و (النيشان) على النياشين . ثم قول الشجري : ايش عثمانين ؟ ليس فيه تعليل ولا قياس وليس فيه ذكر لسبب سوى متابعة النهج . وما يقال في هذا يقال في الاستدلال بسؤال الشجري عن (ضربت اخاك وضربني أخوك) فهو لا يختلف عما سبق ، ولو سألت عاميا : لم جمعت (الحمام) على الحمامات و (العطار) على العطارين و (الصفار) على الصفارين لقال لك : هذا غير ذاك ، وهذا يختلف عن ذاك . والعامة يستعملون نون الوقاية مع الفعل ولا يستعملونه مع الاسم فيقولون ضربني وأكرهني . ويقولون : مالي وحاجتي وولدي ولو سألتهم عن سر هذا الاستعمال ما أجابوك الا بقولهم : هكذا أو نحو ذاك ولا يعرفون العمل التي ذكرها النحاة في استعمال نون الوقاية مع الفعل وعدم استعمالها في الاسم . وما يقال في هذا يقال في التصحيح الذي نقله المتنبي ، فقد يحدث ان يخطيء احد الناس في اللغة فيصححه له من يسمعه فقد سمعت كثيرين يجمعون (الموصلي) على (المصالوة) على حين يصححه آخرون لهم فيقولون (المواصله) وسمعت ولدا قرويا يخالف في كلامه جميع أهل القرية فيقول : لأروح ، لأجي ، لالعبت ، لارحت ، والاولاد يضحكون منه يقولون له : ماأروح وماألعب وماألعبت وكذا القول في سائر ما استدل به .

نعم ، ان اطراد قواعد اللغة مما يدل - كما قال - على أن الكلام ليس ترجيما

ولكن اي لغة لم تطرد قواعدها ؟ سواء أكانت لغة فصيححة أم عامية ؟ لاشك في ان اللغات جميعها ذات قواعد مطردة الفصحى منها والعامية ، ولو أردنا أن نستقرى لها نحواً لخرجنا بقواعد كثيرة مطردة ، ولكن هل يقال ان العامة كانوا يعرفون هذه الأقيسة والقواعد ويحتذونها ويعرفون الـ ملل التي يستخرجها المستقرون من كلامهم ؟

ليس من الممكن أن تكون لغة - فصيححة أو عامية - غير ذات قواعد تضبطها فلو كانت كذلك لم يحدث تفاهم ، ولكن ليس معنى ذلك ان القواعد كانت مفهومة لدى المتحدثين بها وأنهم يتأملون مواقع الكلام .

ان اللغة ليست صنع واحد أو مجموعة أفراد من الناس تواضعوا في قواعدها ولكنها تطور كبير وطويل المـدى لتعبيرات مجموعة كثيرة من الناس وطوائف متعاقبة فلا غرو أن تكون ذات قواعد لمن أراد أن يستقري . وذكر أبو الفتح أبياتاً لعمار الكاكي يستدل بها على رأيه فقال : وقال عمار الكاكي - وقد عيب عليه بيت من شعره فامتعض لذلك (١) .

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنن وهذا ليس منتصباً	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرضوا بين عبدالله من حُـمق	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على اعرابهم مُطبعوا
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

والذي أراه أن هذه الابيات تدل على عكس ما يريد أبو الفتح فهو يذكر ان الأعراب لا يعرفون هـذا المنطق الذي ابتدعه النحاة وانما هم مطبوعون على الكلام والاعراب .

ويعقد أبو الفتح بابا في (أغلاط العرب) ويعمل وقوع الاغلاط في كلامهم بتعليل شيخه وهو أنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به وما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد (١).

ومن الاغلاط التي يذكرها (مالك موت) يعني ملك الموت اذ وهم القائل انه من (ملك يملك) فصاغ منها على (فاعل) والصواب انها من (ملاك). ومن ذلك همزهم مصائب ومناثر ومزائد ومنها قولهم: حلات السوق ورثأت زوجي بأبيات واستلأمت الحجر ولبأت بالحج وغير ذلك (٢). ويذكر نحو ذلك في (المنصف) فيقول «وإنما يجوز مثل هذا الغلط عندهم لما يستهويهم من الشبه لأنهم ليست لهم قياسات يستعصمون بها وإنما يخلدون الى طبائعهم (٣).

فالذي يدل عليه كلامه هذا هو عكس ما ذهب اليه في الأول. وأما قول الأستاذ الرافي انه لو ثبت انهم يتصفحون وجوه الكلام ويتأملون مواقعه لما جاز أن ينتقل لسان العربي عن لغة الى لغة أخرى ولا أن تضعف فصاحته، فالذي أظنه أن ذلك ليس صحيحاً الى الحد الذي ذهب اليه وصوره. فنحن نتعلم أحكام اللغة وندرس قواعدها ومع ذلك فنحن اذا تركناها او انتقلنا الى بلاد أخرى لانتكلم بها فأننا ننسى وبمرور الزمن ينتقل اللسان وتغيب تلك الأحكام عنا.

وعلى هذا فالذي أراه ان ابن جني كان مغالياً فيما ذهب اليه في أن العرب كانوا يعرفون العلال والأغراض التي ينسبها اليهم النحاة.

ما لاحظته العرب من العلال في كلامها

يذكر أبو الفتح في أثناء بحثه أن العرب لاحظت عللا تتبعها في كلامها

(١) الخصائص ٢٧٣/٣

(٢) الخصائص ٢٧٣/٣ .. الخ

(٣) المنصف ٣١١/١

وأهم هذه العلل هي :

١ - أمن اللبس :

وهي من أهم العلل في اللغة ان لم تكن أهمها على الإطلاق فالمتكلم يريد أن يفهم ، وإذا كان هناك لبس يحاول أن يزيله - هذا اللبس ما اس - تطاع جاء في (الخصائص) « وقد توهم قوم أن الألوقة (١) - لما كانت هي اللوثة في المعنى وتقاربت حروفهما - من لفظها - وذلك باطل لأنه لو كانت من هذا اللفظ لوجب تصحيح عينها اذ كانت الزيادة في أولها من زيادة الفعل والمثال مثاله فكان يجب على هذا أن تكون « ألوقة » كما قالوا في أثوب وأسوق . بالصحة ليفرق بذلك بين الاسم والفعل » (٢) أي لازالة اللبس بينهما . وجاء فيه « قال أبو اسحاق في رفع الفاعل ونصب المفعول انما فعل ذلك للفرق بينهما » (٣) أي لأمن اللبس .

وجاء في (سر الصناعة) في قولهم زرني فأزورك : فان قيل ولم قدر في أول الكلام مصدر حتى اضطرروا الى اضمار (أن) ثم عطفوا المصدر المنعقد للمعنى بأن والفعل جميعا على المصدر الذي قبله ؟

فالجواب : انهم انما فعلوا ذلك لمخالفة الفعل الثاني للفعل الأول في المعنى (٤)

أي لأمن اللبس .

٢ - الخفة :

وهي علة مهمة جداً تراعيها العرب في كلامها . ومن ذلك ما ذكر عن علة رفع الفاعل ونصب المفعول ناقلاً قول أبي اسحاق . « ان الفعل لا يكون له اكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ونصب المفعول

(١) الزبدة

(٢) الخصائص ١ / ١٠

(٣) الخصائص ١ / ٤٩

(٤) سر الصناعة ١ / ٢٧٣

لكثرته وذلك ليقبل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون « (١) .
ويقول في مكان آخر « وأما اهمال ما اهمل مما تحتمله قسمة التركيب في
بعض الأصول المتصورة او المستعملة فأكثره متروك للاستثقال » (٢) « ومن
حديث الاستثقال والاستخفاف انك لا تجد الثنائي على قلة حروفه ما اوله مضموم
الا القليل وانما عامته الفتح » (٣) « وسألت غلاماً من آل المهيا فصيحاً عن لفظة
من كلامه لا يحضرني الآن ذكرها فقلت : اكذا أم كذا ؟ فقال : « كذا بالنصب
لانه اخف » « فجنح الى الخفة » (٤) . وذكر ان الامثال اذا ثقلت لتكثيرها فيترك
الحرف الى ما هو أثقل لي منه ليختلف اللفظان فيخفا على اللسان . وذلك نحو
الحيوان ، الا ترى انه عند الجماعة الا أبا عثمان من مضاعف الياء وأن
اصله حييان فلما ثقل عدلو عن الياء الى الواو وهذا مع احاطة العلم بأن الواو أثقل
من الياء ولكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك (٥) . وقال في قول الشاعر :

ولقد يغني به جيرانك الـ ممسكو منكِ باسباب الوصال

أراد « الممسكون » ولكن حذف النون لطول الاسم لا للاضافة (٦) .

٣ - التصرف وعدم الاجهاد

وذكر من ذلك اهمال بعض الثلاثي لامن أجل جفاء تركيبه بتقاربه نحو صص
وصص وانما لثلاثي نخلو هذا من ضرب من الاجهاد له (٧) وقال : « ألا ترى الى

(١) الخصائص ١ / ٤٩

(٢) الخصائص ١ / ٥٤

(٣) الخصائص ١ / ٦٩

(٤) الخصائص ١ / ٧٨

(٥) الخصائص ٣ / ١٨

(٦) المنصف ١ / ٦٦

(٧) الخصائص ١ / ٦٢

كثرة غلبة الياء على الواو في عام الحال ، ثم مع هذا فقد ملوا ذلك الى أن قلبوا الياء واواً قلباً ساذجاً أو كالساذج لا لشيء أكثر من الانتقال من حال الى حال فإن المحبوب اذا كثر ملّ . . وذلك الموضع الذي قلبت فيه الياء واوا على ما ذكرنا لام فعلی اذا كانت اسماً من نحو الفتوى والرعى والتقوى . « (١) وذكر ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فان العرب قد تتسع فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ايذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك (٢). وقال في (الاستحسان) « وجماعه ان علمته ضعيفة غير مستحكمة الا ان فيه ضرباً من الاتساع والتصرف (٣)

٤ - الشبه والتجانس :

ومنه تعليل سيبويه جر الوجه من قولك : هذا الحسن الوجه وهو تشبيهه بالضارب الرجل (٤) وقال في مكان آخر « الا ترى انهم لما شبهوا الفعل باسم الفاعل فأعربوه كنفوا هذا المعنى بينهما وأيدوه بأن شبهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه « (٥). وهو على اقسام :

أ- حمل الفرع على الأصل قال في (الخصائص) « اعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملت عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وانه منها على أقوى بال ، الا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده فأعطوا الرفع في التثنية الألف والرفع في الجمع الواو والجر فيهما الياء وبقي النصب لا حرف له فيماز جذبه الى الجر فحملوه عليه « (٦) ،

(١) الخصائص ٨٧/١

(٢) الخصائص ٣٠٨/٢

(٣) الخصائص ١٣٣/١

(٤) الخصائص ١٨٣/١

(٥) الخصائص ١٨٧/١

(٦) الخصائص ١١١/١

وذكر جمع المؤنث السالم وأنه حمل فيه النصب على الجر أيضاً .

ب - حمل المراتب المتساوية على بعضها ذكر في حذف الهمزة في نكرم وتكرم ويكرم انها حذفت حملاً على (أكرم) لاجتماع الهزتين ومراتبها متساوية قال : فاذا جاز أن يحمل حروف المضارعة بعضها على بعض ومراتبها متساوية وليس بعضها أصلاً لبعض كان حمل المؤنث على المذكور أولى (١) . وذكر منه حذف الواو في أعد وتعد ونعد حملاً على (يعد) في وقوع الواو بين ياء مفتوحة وكسرة :

ج - حمل الأصل على الفرع جاء في (الخصائص) : « وقد دعاهم ايثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الأصل على الفرع ألا تراهم يعلمون المصدر لأعلال فعله ويصححونه لصحته ، وذلك نحو قولك : قمت قياماً وقاومت قواماً . فاذا حملوا الأصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل فهل بقي في وضوح الدلالة على ايثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض شبهة » (٢) .

د - حمل الشيء على الشيء : جاء في (الخصائص) في (باب في حمل الشيء على الشيء من غير الوجه الذي أعطى الأول ذلك الحكم) : - اعلم ان هذا باب طريقة التشبيه اللفظي وذلك كقولنا في الاضافة الى ما فيه همزة التأنيث بالواو وذلك نحو حمراوي وصفراوي ... ثم انهم قالوا في الاضافة الى علباء : علباوي والى حرباء حرباوي فأبدلوا هذه الهمزة وان لم تكن للتأنيث لكنها شابته همزة حمراء وبابها بالزيادة حملوا عليها همزة علباء .. ثم تجاوزوا هذا الى أن قالوا في كساء وقضاء كساوي وقضاوي فأبدلوا الهمزة واوا حملاً لها على همزة علباء (٤) .

وعلى هذا ما منع الصرف من الاسماء للتشبيه اللفظي نحو أحمر وأصفر وأحمد لما

في ذلك من شبه لفظ الفعل (٤) :

(١) الخصائص ١١٢/١

(٢) الخصائص ١١٣/١

(٣) الخصائص ٢١٣/١

(٤) الخصائص ٢١٥/١

هـ - حمل الشيء على نقيضه : قال : والعرب قد تجري الشيء مجرى نقيضه كما تجريه مجرى نظيره ، ألا تراهم قالوا : جوعان كما قالوا شبعان ، وقالوا عليم كما قالوا جهول وقالوا أكثر ماتقو من كما قالوا قلما تقو من وذهب الكسائي في قوله :

إذا رضيت علي بنو قشير
لعمرك الله أعجبي رضاها

الى انه عدى (رضيت) بعلى لما كان ضد سخطت وسخطت مما تعدى
بعلى (١) .

هـ - مراعاة المعنى :

وهو على أقسام :

آ - مضاهاة الجرس للمعنى : قال « فان كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء . وكذلك قالوا صرّ الجندب فكررُوا الراء لما هناك من استطالة صوته وقالوا صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته (٢) .

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان انها تأتي للاضطراب والحركة نحو التفران والتغليان والغليان فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال (٣) وقال : فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصوانها من الاحداث فباب عظيم واسع وذلك انهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعدّ لونها بها ويحتذونها عليها (٤) وجعل منه النضح والنضخ والقذ والقض . . . الخ .

(١) الخصائص ٢ / ٣٨٩

(٢) الخصائص ١ / ٦٥

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٢

(٤) الخصائص ٢ / ١٧٥

ب - تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : قال واكثر كلام العرب عليه (١)
ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا حبست الشيء وحس الشر اذا
اشتد . واستعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع
واحد هو الالتئام والتماسك (٢) .

ج - غلبة المعنى للفظ : قال : وبذلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه
للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة وذلك لقوة العناية به . . . وعلى
ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل اذ كن دلائل على الفاعلين من هم
وما هم وكم عدتهم وحكموا بضد هذا اللفظ ألا ترى الى ما قاله أبو عثمان في
اللاحاق : ان أقيسه ان يكون بتكرير اللام فقال : باب شملت وصعرت أقيس
من باب حوقلت ويبطرت وجهورت (٣) . وقال : « ان العرب قد تحمل على
الفاظها لمعانيها حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى » (٤) .

د - الحمل على المعنى : قال « قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منشوراً
ومنظوماً كثنائث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة
في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ
أولاً فرهاً وغير ذلك . . فن تذكير المؤنث قوله (عامر بن جوين الطائي)

فلا مزنة ودقت ودقها - ولا أرض ابقل ابقالها -

ذهب بالأرض الى الموضع والمكان ومنه قول الله عز وجل (فلما رأى الشمس

(١) الخصائص ٢ / ١٤٥

(٢) الخصائص ٢ / ١٤٧

(٣) الخصائص ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥

(٤) المحتسب ٢٦٩ - ٢٧٠

بازغة قال هذا ربي) أي هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه .. وعليه قول الخطيئة

ثلاثة أنفس وثلاث ذُود لقد جاز الزمان على عيالي

ذهب بالنفس الى الانسان فذكر .. وقال ليبيد :

فضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عرّدت اقدامها

وقال : (رويشد بن كثير الطائي)

ياايها الراكب المزجي مطيته مسائل بني أسد ما هذه الصوت

ذهب الى تأنيث الاستغاثه . وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول : فلان لاغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول جاءته كتابي ؟ فقال نعم أليس بصحيفة ؟ قلت : فما اللغوب ؟ قال : الأحمق . . .

ومن باب الواحد والجماعة قوله سـبحانه « ومن الشياطين من يغوصون » فحمل على المعنى ، وقال (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون) فأفرد على لفظ (مَن) ثم جمع من بعد « (١) . هـ - قوة اللفظ لقوة المعنى ومنه قولهم : خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو . وكذلك قولهم : أعشب المكان فاذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا اعشوشب (٢) ، وذكر منه كسب واكتسب وقطع وقطّم وطويل ومطوال فطوال أبلغ من معنى طويل (٣) .

٦ - القوة والضعف

قال في كثرة (مفعل) نحو عُنُق ومُنْجِب وقلة (فِعِل) نحو لَمِبِل : ان

(١) الخصائص ٤١١/٢ الى آخر الباب

(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٤

(٣) المصدر السابق

الضممة وان كانت اثقل من الكسرة فانها أقوى منها وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف ألا ترى الى احتمال الهمزة مع ثقلها للحركات وعجز الألف عن احتمالها وان كانت خفيفة لضعفها وقوة الهمزة وانما ضعفت الكسرة عن الضمة لقرب الياء من الألف وبعد الواو عنها (١) .

٧ - الایجاز :

وذكر منه الاسماء المستفهم بها والاسماء المشروط بها كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الابعاد والطول فن ذلك قولك : كم مالك ؟ ألا ترى أنه قد أغناك ذلك عن قولك : عشرة مالك أم عشرون أم ثلاثون . . . وكذلك بقية أسماء العموم في غير الایجاز نحو واحد وديار . . . قال : واعلم أن العرب - مع ما ذكرنا - الى الایجاز أميل وعن الاكثار أبعد (٢) .

٨ - الشذوذ :

ويدخل تحت هذه العلة أنواع :

أ - الشذوذ : ومنه ما يسميه أغلاط العرب ، ومنه قولهم مصائب : وهذا مما لا ينبغي همزه في وجه من القياس . . وقياسه مصاوب (٣) ونحوه منائر ومزائد . وقال أما الابدال على غير قياس فقولهم : قریت وأخطیت وتوضیت (٤) .

ب - التنبيه على الأصل : وهو يدخل في باب الشذوذ قال : - ومن ذلك ما يخرج تنبها على أصل بابه نحو استحوذ وأعيايت المرأة ... ولا يقاس هذا ولأما قبله

(١) الخصائص ٦٩/١

(٢) الخصائص ٨٢/١ - ٨٣

(٣) الخصائص ١٤٤/١

(٤) الخصائص ١٥٢/١

(٥) الخصائص ١٤٣/١

لأنه لم تستحكم علمته وإنما خرج تنبيهها وتصرفا واتساعا (٥) وقال ان (ضيون) (١)
انما صح وخرج على الصحة تنبيهها على أن اصل سيد وميت سيود وميوت .
وكذلك (عؤوية) خرجت سالمة ليعلم بذلك أن أصل لية لوية .

وكذلك أجازوا تصحيح نحو أسود وجديول ارادة للتنبيه على ان التحقير
والتكسير في هذا النحو من المثل من قبيل واحد (٢) .

وقال : - وقول الآخر :

وان رأيت الحجج الرواددا قواصرا بالعمر أو مواددا

قلت : هذا ظهر على اصله منبهة على بقية بابيه ، فتعلم به ان اصل الأصم أصمم
وأصل صب صبيب وأصل الدواب والشواب الدواب والشواب (٣) .

ج - ان يكون في معنى ما لا بد منه : جاء في (الخصائص) : وذلك ان نقول
في علة قلب الواو والياء ألفا انها متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلهما وعري
الموضع من اللبس أو ألفا يكون في معنى ما لا بد من صحة الواو والياء فيه أو أن يخرج
على الصحة منبهة على أصل بابيه فانها يقلبان ألفا ... وكذلك يسقط عنك الاعتراض
بصحة الواو والياء في عوٍر وصيد بأنهما في معنى ما لا بد فيه من صحة الواو والياء وهما
اعوٍر واصيد . وكذلك صحة في نحو اعتونوا وازدوجوا لما كان في معنى مالا بد فيه
من صحتها وهو تعاونوا وتزاجوا (٤) وقال : فأما قولهم ما أشد سواده وبياضه
وعوره وحوله فما لا بد منه (٥) وكذلك اعتونوا واعتوروا واهتوشوا واجتوروا

(١) السنور الذكر

(٢) الخصائص ١ / ١٥٥

(٣) الخصائص ١ / ١٦١

(٤) الخصائص ١ / ١٤٧ - ١٤٨

(٥) الخصائص ١ / ٢٦٩

لأنه في معنى ما لا يبد من صحته لسكون ما قبله وهو تعاونوا وتعاونوا وتهاوشوا
وتجاوروا فجعل التصحيح اشارة للمعنى (١) ؛

٩ - عدم نقض الغرض

قال « ألا ترى ان ما جاء في آخره الباء والواو قد حفظن عليه وارتبطن
له بما زيد عليهن من التاء من بعدهن وذلك كعفوية وحدرية وترقوة وقلنسوة .
فلو زيدت هذه الحروف طرفاً للمد بها لانتقض الغرض من موضع آخر . وذلك
ان الوقف على حرف اللين ينقصه ويستهلك بعض مدده ولذلك احتاجوا لن إلى
في الوقف ليبين بها حرف المد » (٢)

١٠ - الاستغناء بالشيء عن الشيء

ذكر قول سيبويه ان العرب قد تستغني بالشيء حتى يصير المستغنى عنه
مسقطاً من كلامهم البتة . فمن ذلك استغناؤهم بترك عن (و د ع) و (و ذر) ومن
ذلك استغناؤهم بلمحة عن ملمحة وعليها كسرت ملامح (٣) .

قال : ومن ذلك استغناؤهم بقولهم : ما اجود جوابه عن (هو أفعل منك) من
الجواب (٤) .

وذكر ان ابا الحسن أجاز « أظننت زيدا عمرا عاقلا » ونحو ذلك وامتنع
منه أبو عثمان وقال استغنيت العرب عن ذلك بقولهم : جهلته يظنه عاقلا (٥) .

(١) التصريف الملوكي ص ١٩

(٢) الخصائص ١ / ٢٣٤

(٣) الخصائص ٦ / ٢٦٦

(٤) الخصائص ١ / ٢٦٩

(٥) الخصائص ١ / ٢٧٢

١١ - اصلاح اللفظ :

ذكر ان من ذلك قولهم أما زيد فنطلق فان تحرير هذا القول كأنك قلت :
مهما يكن من شيء فزيد منطلق فتجد الفاء في جواب الشرط في صدر الجزئين ولا
تقول : اما فزيد منطلق وانما فعل ذلك لاصلاح اللفظ . ذلك ان الفاء وان كانت
جواباً ولم تكن عاطفة (٥) فانها على مذهب العاطفة وبصورتها . فلو قالوا أما فزيد
منطلق لوقعت الفاء الجارية مجرى فاء العطف بعدها اسم وليس قبلها اسم انما قبلها
في اللفظ حرف وهو (أمّا) فتذكروا ذلك ووسطوها بين الحرفين ليكون قبلها
اسم وبعدها آخر فتأتي على صورة العاطفة (١) .

وذكر ان من ذلك قولهم : ان زيدا لقائم فهذه لام الابتداء وموضعها أول
الجملة وصدرها لا آخرها وعجزها فلما كره تلاقي حرفين لمعنى واحد - وهو
التوكيد - أخرت اللام الى الخبر فصار ان زيدا لمنطلق (٢) .

ومن اصلاح اللفظ قولهم كأن زيدا عمرو: واصل الكلام إن زيدا كعمرو
ثم انهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدموا حرفه في اول الكلام ، فلما تقدمت الكاف
وهي جارة لم يجوز أن تباشر (ان) لانها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل فوجب
لذلك فتحها (٣) .

١٢ - الاحتياط :

ومن ذلك التوكيد اللفظي والمعنوي فان العرب إذا ارادت المعنى مكنته
واحتاطت له (٤) .

ومن ذلك الاحتياط في التأنيث كقولهم : فرسة وعجوزة ومنه ناقة لأنهم

(١) الخصائص ٣١٢/١

(٢) الخصائص ٣١٤/١

(٣) الخصائص ٣١٧/١

(٤) الخصائص ١٠١/٢

(٥) الصواب ترك الفاء والا بقيت إن يوجد

لو اكتفوا بخلاف مذكرها لها - وهو جمل - لَغَنُوا بذلك

ومنه الاحتياط في اشباع معنى الصفة كقوله :

* والدهر باللسان دواري *

أي دوّار . ومنه قوله

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

أراد يا بؤس الجهل فأقحم لام الاضافة تمكيناً واحتياطاً لمعنى الاضافة . (١)

١٣ - مراعاة الأوزان العربية :

وذلك ان العرب اذا حذفوا من الكلمة حرفاً اما ضرورة أو ابشاراً فانها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويراً تقبله أمثلة كلامها ولا تعافه وتمججه لخروجه عنها سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلاً أم زائداً .

فن ذلك أن تعترز تحقير نحو منطلق أو تكسيره فلا بد من حذف نونه . فاذا أنت حذفته بقي لفظه بعد حذفها ، مُطَلِّق ومثاله مُفَعِّل . وهذا وزن ليس في كلامهم فلا بد أذن من نقله الى أمثلتهم (مُطَلِّق) ثم حينئذ من بعد تحقيره فتقول مُطيلق وتكسره فتقول : مطاالق كما تقول في تحقير مُكْرِم وتكسره مكبرم ومكّارم (٢) .

١٤ - الجوار :

وهو على ضربين تجاور الألفاظ والآخر تجاور الأحوال :

فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين : أحدهما في المتصل والآخر في المنفصل ، فأما المتصل فنه مجاورة العين للام بحملها على حكمها وذلك قولهم في صوم : مُصَيِّم وعليه أيضا أجازوا النقل لحركة الاعراب الى ما قبلها في الوقف نحو هذا

(١) الخصائص ١٠٤/٢

(٢) الخصائص ١١٢/٣

بكثرة ومررت بيكره الا تراها لما جاورت اللام بكونها في العين صارت لذلك كأنها في اللام لم تفارقها .

وأما الجوار في المنفصل فنحو ما ذهبت الكافة اليه في قولهم : هذا جحر ضبٍ خربٍ وقول الخطيئة :

فاياكم وحبة بطن واد هموز الناب ليس لكم بمسيّ

فيمن جر هموز (١) .

وأما تجاوز الأحوال فنحو قولهم أحسنت اليه اذ أطاعني ، وأنت لم تحسن اليه في أول وقت للطاعة وانما أحسنت اليه في ثاني ذلك لكنه لما تقارب الزمانان وتجاوزت الحالان في الطاعة والاحسان صارا كأنهما انما وقعا في زمان واحد (٢) .

١٥ - الضرورة الشعرية :

ومن ذلك مطل الحركات اذا احتاج الشاعر الى اقامة الوزن وانشاء عنها حرفاً من جنسها وذلك قوله :

* نني الدراهم تنقاد الصياريف *

ومن ذلك حذف الحروف والحركات تخفيفاً للوزن من ذلك قول رؤبة :

* وصاني العجاج فيما وصني *

يريد فيما وصاني ، وقول الآخر :

* فاليوم اشرب غير مستحقب *

(١) الخصائص ٢١٨/٣

(٢) المصدر السابق

وقوله

* ومن يتق فإن الله معه (١) *

١٦ - علل خفية علينا :

قال : « ويمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا » (٢).

١٧ - الاستحسان

وهو ليس علة أصيلة بل يرجعه أبو الفتح الى علل أخرى كالانساع والتصرف ، قال : « وجماعه - أي الاستحسان - أن علته ضعيفة غير مستحكمة إلا أن فيه ضرباً من الانساع والتصرف من ذلك تركك الأخف الى الأثقل من غير ضرورة نحو قولهم : الفتوى والحقوى والتقوى والشروى ونحو ذلك (٣) .

أو الى علة الشبه قال : « ومن ذلك - أعني الاستحسان - أيضاً قول الشاعر :

أريت أن جئت به املودا مرجلاً ويلبس البرودا

أقائلن أحضر الشهودا

فألحق نون التوكيد اسم الفاعل ، تشبيها له بالفعل المضارع فهذا اذن استحسان لاعن قوة علة ولاعن استمرار عادة الاتراك لاتقول أقائم يازيدون ولا أمنطلقن يا رجال ، إنما نقوله بحيث سمعته وتعتذر له وتنسبه الى أنه استحسان منهم على ضعف منه واحتمال بالشبهة له (٤) :

(١) لاحظ الخصائص ٣١٥/٢ وما بعدها

(٢) الخصائص ٦٦/١

(٣) الخصائص ١٣٣/١

(٤) الخصائص ١٣٦/١

الباب الخامس

أثر المنطق والفقه والعلم في أصول النحوية

علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو

لقد تبينا في باب سابق أثر علم الكلام والفقه في أصول النحو . فان كان لعلم الكلام والفقه أثر في أصول النحو فلا شك ان لهما أثراً في المباحث النحوية ايضاً . ان العلاقة بين النحو والمنطق ، والنحو والفقه قديمة واثراً فيها واضح بين قال ابو بكر بن شقير : حدثني ابو جعفر الطبري قال : سمعت الجرمي يقول : انا منذ ثلاثون اقلي الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال : فحدثت به مجد بن يزيد على وجه التعجب والانكار . فقال : انا سمعت الجرمي يقول هذا وأوماً بيده الى اذنيه (١) . وجاء في (المعني) ان الرشيد كتب ليلاة الى القاضي ابي يوسف يسأله عن قول القائل :

فان ترفقي ياهند فالرفق أيمنُ وان تخزقي ياهند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

فقال : ماذا يلزمه اذا رفع الثلاث واذا نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت هذه مسألة نحوية فقهية ولا آمن الخطأ ان قلت فيها برأيي فأنتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته فقال : ان رفع ثلاثاً طلقت واحدة لانه قال (انت طلاق) ثم اخبر ان الطلاق التام ثلاث وان نصبها طلقت ثلاثاً لأن معناه انت طالق ثلاثاً وما بينهما

(١) طبقات الزبيدي ص ٧٧

جملة معترضة فكتبت بذلك الى الرشيد فأرسل اليّ بجوائز فوجهت بها الى الكسائي وقال ابن هشام : ان الصواب ان كلام من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة (١) .

وسئل الفراء عن رجل سها في سجدي السهو . فأجاب لاشيء عليه . فسئل من اين لك ذلك ؟ قال : قسمته على مذاهبنا في العربية وذلك ان المصغر لا يصغر وكذلك لا يلتفت الى السهو في السهو (٢) . ويقول السيوطي بعد أن يذكر أدلة النحو ومنها الاجماع والقياس « وكل من الاجماع والقياس لا بد له من مستند من السماع كما هما في الفقه كذلك » (٣) .

ويذكر ابو الفتح ان « كتب محمد بن الحسن رحمه الله انما ينتزع أصحابنا منها العلل لانهم يجدونها منشورة في اثناء كلامه » (٤) ويعقد أبو الفتح باباً في علل العربية أكلامية هي ام فقهية (٥) كما عقد مسألة من كلام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتاب (الايمان) وهي : قال محمد بن الحسن ان قال اي عبيدي ضربك فهو حر فضربه جميعهم عتقوا كلهم ، ولو قال اي عبيدي ضربته فهو حر فضررب واحداً من عبيده ، عتق ذلك العبد فان ضرب غيره من بعده منهم لم يعتق غير الأول (٦) .

ويقسم السيوطي الحكم النحوي الى رخصة وغيرها (٧) كما في الفقه ويعقد

(١) المغني ٥٣/١

(٢) نزهة الالاء ص ٦٩

(٣) الاقتراح ص ٤

(٤) الخصائص ١٦٣/١

(٥) الخصائص ٤٨/١

(٦) فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩ رقم ١٦ نقلاً عن الدكتور شلبي

(٧) الاقتراح ٧١

ابو الفتح بابا في (الحمل على أحسن الفيحين) فيقول : اعلم ان هذا موضع من مواضع الضرورة المميلة وذلك أن تحضرك الحال ضرورتين لابد من ارتكاب احدهما فينبغي حينئذ ان تحمل الأمر على أقربهما وأقلهما فحشاً (١) . وهو يشبه القاعدة الفقهية (يرتكب اخف الضررين) . وذكر ابن الانباري انه « اذا تعارض المانع والمقتضي قدم المانع (٢) من ذلك اسم الفاعل اذا وجد شرط اعماله وهو الاعتماد وعارضه المانع من تصغير ووصف قبل العمل امتنع اعماله (٣) . وهو يشبه القاعدة الفقهية (درء المفسد مقدم على جلب المنافع) . ولا يخفى عن بالنا ان ابن مضاء القرطبي أراد أن يبني النحو على أساس المذهب الفقهي الظاهري فقد نادى في كتابه (الرد على النحاة) بالغاء العوامل والعمل الثواني والثالث والقياس والتقدير والتأويلات في النحو العربي لأن مذهبه الفقهي الظاهري ينادي بالغاء ذلك ويأخذ بالظاهر .

وما قيل في المشابهة بين النحو والفقه يقال في المشابهة بين النحو والمنطق بل جعل ابن جني علل العربية أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين وذكر أن التضاد عند ذوي اللغة كالتضاد عند أصحاب الكلام - كما مر - ويقول أبو حيان التوحيدي : « قلت لأبي سليمان (٤) اني أجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبية ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب منه؟ فقال : النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي ، وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالألفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر

(١) الخصائص ٢١٢/١

(٢) اللامع ص ٨١

(٣) المصدر السابق

(٤) هو محمد بن طاهر بن بهرام أبو سليمان المنطقي السجستاني ، المرجح انه مات في حدود سنة ٣٨٠ هـ (أبو حيان التوحيدي - شرح السندوبي)

النحوي في الألفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر .

قلت : فهل يعين احدهما صاحبه ؟

قال : نعم ، وأي معونة اذا اجتمع المنطق العقلي والمنطق الحسي فهو في غاية الكمال .

قال : وبالجملـة النحو يرتب اللفظ ترتيباً يؤدي الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيباً يؤدي الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة .. والخطأ في النحو يسمى « لحناً » والخطأ في المنطق يسمى « احوالة » .. فالنحو يدخل المنطق ولكن مرتباً له ، والمنطق يدخل النحو ولكن محققاً له . . وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم أكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم (١) : وينقل صاحب الاقتراح هذه المسألة النحوية في « التسلسل » وهو مثل ما يعتقد في علم الكلام والمنطق تماماً : « قال الاندلسي في شرح المفصل من قال بأن العامل في الصفة مقدر أجاز الوقف على زيد من قولك : جاءني زيد العاقل ، وابتداء العاقل لأن تقديره عنده جاءني العاقل ، فكان جملة والجملة مستقلة فوجب أن يوقف ويبتدأ بها وهذا فاسد يؤدي الى التسلسل اذا قدر جاءني العاقل والصفة لا بد لها من موصوف فيكون التقدير جاءني زيد العاقل ثم يقدر أيضاً جاءني العاقل ويكون التقدير أيضاً جاءني زيد العاقل وهكذا أبداً متى أولي العامل الصفة قدر بينهما موصوف ومتى استقل العامل بموصوف قدر مع الصفة عامل آخر الى ما لا يتناهى وذلك محال فالمختار الذي عليه الجماعة والجمهور انه لا يجوز الوقف على الموصوف دون الصفة » (٢) .

وجاء في (المبهج) : « وقال لي مرة بعض أصحابنا من المتكلمين انما لم تجمع

(١) المقابسات - ابو حيان التوحيدي - مقابلة ٢٢ ص ١٦٩

(٢) الاقتراح ص ٧١

الأفعال من حيث كانت اعراضها والجمع أيضاً ضرب من الاعراض والاعراض لا تحمل الاعراض . ورد أبو الفتح هذا القول واستدل على فساده بعطف الأفعال على بعضها نحو قام زيد وقعد ، وهو يذهب وينطلق . والعطف نوع من الجمع فهو جمع معنى وان لم يسم في العرف جمعا (١) .

وقسم ابن الطراوة الألفاظ الى واجب وممتنع وجائز قال فالواجب رجل وقائم ونحوهما مما يجب أن يكون في الوجود ولا ينفك الوجود عنه ، والممتنع لاقائم ولا رجل اذ يمتنع أن يخلو الوجود من أن يكون لا رجل فيه ولا قائم . والجائز زيد وعمرولانه جائز أن يكون وان لا يكون . قال فكلام مركب من واجبين لا يجوز نحو رجل قائم لانه لا فائدة فيه ، وكلام مركب من ممتنعين أيضاً لا يجوز نحو لا رجل لا قائم لانه كذب ولا فائدة فيه وكلام مركب من واجب وجائز صحيح نحو زيد قائم وكلام مركب من ممتنع وجائز لا يجوز ولا من جائز وممتنع نحو زيد لاقائم ورجل لاقائم لانه كذب اذ معناه لاقائم في الوجود وكلام مركب من جائزين لا يجوز نحو زيد أخوك لانه معلوم لكن بتأخيره صار واجباً فصح الاخبار به لانه مجهول في حق المخاطب فالجائز يصير بتأخيره واجباً ، ولو قلت زيد قائم صح لأنه مركب من جائز وواجب فلو قدمت وقلت : قائم زيد لم يحز لان (زيد) صار بتأخيره واجباً فصار الكلام مركباً من واجبين فصار بمنزلة قائم رجل (٢) .

وهذه النقول غنية عن التعليق في أثر المنطق في البحوث النحوية . وهذه التقسيمات للالفاظ تشبه تماماً التقسيمات المنطقية في الواجب والممتنع والجائز أو الواجب والمستحيل والممكن .

ودونك نماذج من دراسات أبي الفتح النحوية التي تلمس أثر علم الكلام والمنطق والفقه في دراساته النحوية .

(١) المبهج ص ٣٥

(٢) الاقتراح ص ١٤

١ - حذف الباء من هي : قال أبو الفتح « فأما قول أبي العباس في انشاد

صبيويه :

* دار لسعدى اذهِ من هواكا *

انه خرج من باب الخطأ الى باب الاحالة لأن الحرف الواحد لا يكون ساكناً متحركاً في حال . فخطأ عندنا . وذلك ان الذي قال (اذهِ هواك) هو الذي يقول في الوصل : هي قامت فيسكن الباء وهي لغة معروفة فاذا حذف منها في الوصل اضطرارا واحتاج الى الوقف ردها حينئذ فقال : هي فصار الحرف المبدوء به غير الموقوف عليه فلم يجب من هذا أن يكون ساكناً متحركاً في حال « (١) .

٢ - الحكم يقف بين الحكمين أو هو ما يسـمى المنزلة بين المنزلتين وذكر منه كسرة ما قبل باء المتكلم في نحو غلامي وانها ليست حركة اعراب ولا بناء . أما كونها غير اعراب فلأن الاسم يكون مرفوعاً ومنصوباً وهي فيه نحو هذا غلامي ورأيت صاحبي . وأما كونها غير بناء فلأن الكلمة معربة متمكنة فليست الحركة اذن في آخرها بناء (٢) .

ومنه ما كانت فيه اللام أو الاضافة نحو الرجل وغلارك وصاحب الرجل فهذه الاسماء كلها وما كان نحوها لا منصرفة ولا غير منصرفة وذلك انها ليست بمنونة فتكون منصرفة ولا مما يجوز للتنوين حاولة للصرف (٣) .

٣ - اعمال العاملين : قال أبو الفتح : « مما يضعف تقديم المعطوف على المعطوف عليه من جهة القياس انك اذا قلت : قام وزيد عمرو فقد جمعت امام

(١) الخصائص ١/٨٩

(٢) الخصائص ٢/٣٥٦

(٣) الخصائص ٢/٣٥٧

زيد بين عاملين احدهما قام والآخر الواو ألا تراها قائمة مقام العامل قبلها . واذا صرت الى ذلك صرت كأنك قد أعملت فيه عاملين « (١) .

٤ - تقسيم العلم الى جوهر وعَرَض يرى أبو الفتح ان الاسم العلم شيان : عين ومعنى ، فالعين الجوهر كزيد وعمرو ، والمعنى العَرَض كقوله :

* سبحانه من علقمة الفاخر * (٢)

٥ - الحكم للطاريء : يرى أبو الفتح ان التضاد في اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام فاذا ترادف الضدان في شيء منها كان الحكم منهما للطاريء ، وذلك كلام التعريف اذا دخلت على المنون محذوف لما تنوينه كرجل والرجل و غلام والغلام وذلك ان اللام للتعريف والتنوين من دلائل التنكير فلما ترادفا على الكلمة تضادا فكان الحكم لطارئتهما وهو اللام .

قال : وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد كالأسود يطرأ عليه البياض والساكن يطرأ عليه الحركة فالحكم للثاني منهما ولولا ان الحكم للطاريء لما تضاد في الدنيا عرضان (٣) .

٦ - الحمل على أحسن القبيحين : ومثله قولك : فيها قائما رجل لما كنت بين أن ترفع قائما فتقدم الصفة على الموصوف وهذا لا يكون ، وبين أن تنصب الحال من النكرة وهذا على قلته جائز حملت المسألة على الحال فنصبت . وكذلك ما قام الا زيدا أحد عدلت الى النصب لأنك ان رفعت لم تجد قبله ما يتبدل منه وان نصبت دخلت تحت تقديم المستثنى على ما استثنى منه ، وهذا وان كان ليس في قوة تأخير عنه فقد جاء على كل حال (٤) .

(١) الخصائص ٢/٣٨٧

(٢) الخصائص ٣/٣٢

(٣) الخصائص ٣/٦٢

(٤) الخصائص ١/٢١٣

من هذا نرى ان المنطق ظاهر في بحوث أبي الفتح الا انه لم يعن فيه امعانا شديدا بل رآه في بحوثه سمحا سهلا يجعل لجانب اللغة النصيب الأوفر في التعليل مع ما عنده من تعاليل مستمدة من المنطق ومن أصول الفقه - كما لاحظنا في بحث (ما لاحظته العرب من العامل) وهي في جملتها علل لغوية . ولذلك لا يعاني القاريء في كتب أبي الفتح صعوبة في فهمها كما ذكر الأستاذ عبد الفتاح شلبي قال : - وهو ذو منطق خفيف يأتي به في التدلil سمحا سهلا لا يعن فيه كما يعن استاذة أبو علي فيه ، ومن هنا لم يشق ابن جني على القاريء ولم يعنف به (١) .

العامل

العامل عند أبي الفتح ، موقفه منه .

نحن نعلم أن النحو العربي قائم على نظرية « العامل » وهي نظرية أكثرها مأخوذ من علم الكلام والمنطق . وانت تجسد أن صفات (العامل) في النحو هي صفات (العلة) في علم الكلام - تقريبا - فكل معمول لابد له من عامل كما ان كل (معلول) لابد له من (علة) وليس للمعمول الواحد أكثر من عامل واحد كما ان المعلوم ليس له الا علة واحدة . ولاتبادل الكلمتان العمل فتكون كل منهما عاملة في الأخرى معمولة لها شأن العال الحقيقية . ويبحثون في العدم المقيد والوجود والجوهر والعرض والساكن والمتحرك والتناقض والاحالة الى غير ذلك من التعابير والمفاهيم المنطقية . قال الرضي الاسترأبادي : وهم - اي النحاة - يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية (٢) .

فما موقف نحوينا أبي الفتح من هذه النظرية ؟
ان ابا الفتح لا يختلف كثيرا في موقفه من هذه النظرية وإيمانه بها وتطبيقها

(١) ابو علي الفارسي ص ٣٤٩

(٢) الرضي على الكافية - باب التنازع ٨٤/١

في دراساته وبحوثه عن سائر النحاة فقد جعلها دستورا له كشأن سائر النحويين يرجع بها ما يراه راجحا ويرفض بها ما يراه خطأ . وآراؤه فيها واضحة منتشرة في سائر ما يكتب .

ولقد لفت نظري قول الأستاذ أحمد أمين يذكر فيه ان ابن جني هدم هذه النظرية فيقول . ومن لفتات ابن جني الجميلة فهمه أن النحو القديم مؤسس على العامل ... فهدم ابن جني هذه القضية (١) . واستشهد بقول لابن جني سنذكره فيما بعد يقول فيه ان العمل للمتكلم لاشيء غيره . ويقول في مكان آخر : والناظر في نحو الخليل وسيبويه يرى أنه موضوع على أساس العامل وظل كذلك الى عصرنا الذي نؤرخه وجاء ابن جني يريد تأسيس نحو آخر ولكن - مع الأسف - لم يجد سميعا (٢) .

فهو اذن في رأي الأستاذ أحمد أمين حاول أن يهدم هذه النظرية وينشيء النحو على أساس جديد وهو رأي لم يجد له ما ينصره في كتب ابي الفتح بل الذي وجدته فيها انه مؤمن بهذه النظرية ويطبقها في بحوثه ويرجع ويفند ويؤيد ويخالف بها وعلى اساسها في اكثر ما يبحث .

١ - فهو يعتقد ان العمل انما هو للعامل قال : الا ترى انك اذا قلت قام بكر ورأيت بكرة ومررت ببكر فانك انما خالفت بين حركات حروف الاعراب لاختلاف العامل (٣) ؟ وقال في تعريف (البناء) وهو لزوم آخر للكلمة ضربا واحداً من السكون أو الحركة لاشيء أحدث ذلك من العوامل (٤) .

(١) ظهر الاسلام ١١٧/٢

(٢) ظهر الاسلام ١١٨/٢

(٣) المنصف ٤/١

(٤) الخصائص ٣٧/١

وعلى هذا فما يحدث السكون والحركة هو العامل : وهو الأصل الذي نادى به النحاة .

٢ - ويرجح على أساسها لغة من لغات العرب على أختها . فهو بحسب هذه النظرية يرى - كما يرى سائر النحاة - أن لغة تميم في اجمال (ما) أقيس من لغة الحجاز لأن من صفات العامل أن يكون مختصاً فيقول : اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياساً وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً . وإنما كانت التميمية أقوى قياساً من حيث كانت عندهم كـ « هل » في دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صديري الجملتين : الفعل والمبتدأ كما ان (هل) كذلك (١) .

٣ - بشرع احكاما لما لم يسمع من العرب على اساسها فيرى جواز نقـديم خبر ليس عليها لأن الله سبحانه قال : (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) ولأن الشاعر قال :

• وعن مخصص الحجاج ليس بناكب •

وإنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل (٢) .

من هذه العجالة نرى أن أبا الفتح مؤمن بنظرية العامل ويطبقها فيما يرجح أو يرفض وليس كما ذهب إليه الاستاذ أحمد أمين .
وسنحاول في هذا الفصل ان نبحث خلاصة رأي أبي الفتح في هذه النظرية .

انواع العامل عنده :

نستطيع ان نقول ان ابا الفتح كان يرى ان العوامل ثلاثة :

١ - العامل اللفظي .

٢ - العامل المعنوي .

(١) الخصائص ١/ ١٢٥

(٢) التمام ١٧٤ والخصائص ٢ / ٣٩١

٣ - العامل اللفظي المعنوي .

ويرى ان العوامل اللفظية في الحقيقة معنوية . وهي جميعها ترجع الى المتكلم
اولا وآخرها فانه العامل الحقيقي .

١ - العامل اللفظي

ومعنى العمل اللفظي ان العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد
وليت عمراً قائم . (١) وذلك كحروف الجزم والنصب والجر وغير ذلك من
العوامل اللفظية وأهمها الفعل . ويرى كما يرى عامة النحاة ان أصل عمل النصب
للفعل قال « ان اصل عمل النصب انما هو للفعل ، وغيره من النواصب مشبه
في ذلك الفعل » (٢) .

٢ - العامل المعنوي

ومعنى العمل المعنوي ان طرفاً من العمل يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق
به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الأسم (٣) .

ويرى أن « العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة الى انها معنوية ألا تراك إذا
قلت : ضرب سعيد جعفرأ فان (ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئاً . وهل تحصل
من قولك (ضرب) الا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة (فعل) فهذا
هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً اليه الفعل . » (٤) ويقول :

(١) الخصائص ١ / ١٠٩

(٢) الخصائص ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ١ / ١٠٩

(٤) الخصائص ١ / ١٠٩

« وأعلم ان القياس اللفظي اذا تأملته لم تجده عارياً من اشتغال المعنى عليه (١) . ففي قول الشاعر

ورج الفتى للخير ما ان رأيت
على السن خيراً لا يزال يزيد

يرى ان (ما) هنا مصدرية وهي تشبه لفظاً ما النافية التي تؤكد بـ (إن)
وشبه اللفظ بينهما يصير (ما) المصدرية الى انها كأنها (ما) التي معناها النفي ثم
يقول : « أفلا ترى انك لو لم تجذب احدهما الى انها كأنها بمعنى الأخرى لم يجز
لك الحاق (إن) بها » (٢) .

ويستنتج من هذا أصلاً فيقول : « فالمعنى إذن اشيع وأسير حكماً من اللفظ
لأنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ولست في المعنوي بمحتاج الى تصور الحكم
اللفظي » (٣) .

ويرى ان العوامل المعنوية ترفع الفعل ، والمعنى الذي يرفع الفعل هو وقوعه
موقع الاسم ، وترفع الاسم في المبتدأ الا انها لا تنصب فعلاً ولا اسماً ولا تنصب
الأفعال ولا الاسماء الا بعامل لفظي (٤) ويرى ان المعاني لا تعمل في المفعول به
وانما تعمل في الظروف (٥) .

واشترك لفظين في عمل انما هو (معنى) لا (لفظ) وذلك نحو ما رد هشاما
في نصب المفعول بالفعل والفاعل جميعاً قال « ان الفعل والفاعل انما هو معنى
والمعاني لا تعمل في المفعول به ، انما تعمل في الظروف . » (٦) ومن العامل المعنوي

(١) الخصائص ١ / ١١٠

(٢) الخصائص ١ / ١١٠

(٣) الخصائص ١ / ١١١

(٤) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ وما بعدها

(٥) الخصائص ١ / ١٠٤ وهو تخصيص لقوله السابق

(٦) الخصائص ١ / ١٠٣ - ١٠٤

معنى التشبيه في (كأن) ويعمل النصب ، ففي قول الشاعر

أتنسى لا هـذاك الله ليلى وعهدُ شبابها الحسنُ الجميلُ
كأن وقد أتى حول جديد أنا فيها حمامات مثول

يرى ان قوله (وقد أتى حول جديد) ذو موضع من الازراب وموضعه
النصب بما في (كأن) من معنى التشبيه قال ألا ترى أن معناه : اشبهت وقد أتى
حول جديد حماماتٍ مثولا ، أو أشبهها وقد مضى حول جديد بحمامات مثول أي
أشبهها في هذا الوقت وعلى هذه الحال بكذا (١) .

٣ - العوامل اللفظية المعنوية :

وذلك مثل رافع الخبر قال : « فأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه
لأن رافعه ليس المبتدأ وحده إنما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعاً فلم يتقدم الخبر
عليهما معاً وإنما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ » (٢) .

فالمبتدأ عامل لفظي والابتداء عامل معنوي وعلى هذا فإننا نتمكن أن نطلق
على عامل الرفع في الخبر (لفظي معنوي) .

ويرى أبو الفتح ان العامل الحقيقي هو المتكلم نفسه أي هو الذي يرفع وينصب
ويجزم ويجزم لا اللفاظ المتقدمة أو المتأخرة قال : « فأما في الحقيقة ومحصل
الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء
غيره ... وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ أو
باشتمال المعنى على اللفظ » (٣) .

وهو ينسجم مع مذهبه في الاعتزال الذي يقول بأن الانسان هو خالق أفعاله.

(١) الخصائص ١ / ٣٣٧

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٥

(٣) الخصائص ١ / ١٠٩-١١٠

قال ابن مضاء في الرد عليه بعد أن نقل هذا القول « وهذا قول المعتزلة ، وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى . وإنما تنسب الى الانسان كما ينسب اليه سائر أفعاله الاختيارية » (١) .

ومن ينظر في نظرة أبي الفتح للعامل يرى أن بحثه فيه مستقى من ثلاثة مصادر أو منابع :

١ - المصدر اللغوي .

٢ - المصدر المنطقي أو الكلامي .

٣ - المصدر الفقهي .

١ - المصدر اللغوي :

وهو مستقى من طبيعة اللغة نفسها ومن دراسته اللغوية . ومن ذلك رأيه في تقديم الاقوى من المتقاربين قال : « وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يشغل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواهما لأمرين : أحدهما ان رتبة الاقوى أبداً أسبق وأعلى ، والاخر انهم إنما يقدمون الاثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين ، وهو على أجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره فان هذا أحد ما يحتاج به في المبتدأ أو الفاعل » (٢) .

٢ - المصدر المنطقي أو الكلامي :

وهو من من أكثر ما يستند اليه النحاة - كما مر - فأغلب صفات العلة الكلامية قد تملكها العامل النحوي حتى ان النحاة يجرون العوامل مجرى المؤثرات

(١) الرد على النحاة ص ٨٦

(٢) الخصائص ٥٥/١

الحقيقية كما قال الرضي الاسترأبادي . فهم يذكرون ان لكل معمول عاملاً ولكل عامل معمولاً ، وليس للعامل أكثر من معمول كما ان ليس للعامة أكثر من معمول ولا يمكن ان تتبادل اللفظتان العمل فتكون كل منهما عاملة في الأخرى معمولاً لها كما ان ذلك لا يكون في العال الحقيقية . وذكر أبو الفتح ان عال النحويين أقرب الى عال المتكلمين منها الى عال المتفقيين ، ويذكر ان التضاد في هـ - ذه اللغة جار مجرى التضاد عند ذوي الكلام ويذكر ان الحكم في اللغة للطاريء كالأسود يطرأ عليه البياض والساكن يطرأ عليه الحركة وذلك كالمنون تدخل عليه لام التعريف فأزالت الأول وصار الحكم للطاريء وهو اللام (١) . وذكر انه لا يجتمع عاملان على معمول واحد شأن العال الكلامية (٢) . وقد مر بنا أغلب ذلك في أماكن مختلفة .

٣ - المصدر الفقهي :

وكما كان للعلل الكلامية أثر في العامل النحوي كان للعال الفقهي ، وان كانت العال النحوية أقرب الى عال المتكلمين منها الى عال المتفقيين كما يرى أبو الفتح .

وقد مر بنا قول أبي الفتح ان كتب محمد بن الحسن كانت معينة لانزاع العال كما مر بنا كيف استفاد النحاة ومنهم أبو الفتح من البحوث الفقهية في المباحث النحوية كالاستحسان وتعارض القبيحين وانقسام الحكم النحوي الى رخصة وعزيمة وغير ذلك . وقد مر بنا قوله في (باب في الحمل على احسن القبيحين) في نحو قولك فيها قائماً رجل ومقام الا زيداً احد (٣) . وهو شبيه بالقاعدة الفقهية (يرتكب أخف الضررين) كما مر .

(١) الخصائص ٣ / ٦٢

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٧

(٣) الخصائص ١ / ٢١٣

من صفات وشروط العامل

ومن صفات وشروط العامل التي ذكرها أبو الفتح

١ - ان العامل ينبغي أن يكون مختصاً ، وعلى هذا فلغة تميم في افعال (ما)
أقيس من لغة الحجاز - كما مر (١) .

٢ - لا يجوز افعال عاملين في معمول واحد (٢) .

٣ - يجوز وقوع الم معمول بحيث يجوز وقوع العامل ، وقد مر ذلك (٣)

٤ - رتبة العامل التقديم ومع ذلك فن الممكن أن تكون الكلمة مقدمة مؤخرة لأن ذلك أمر صناعي لفظي ، ومن ذلك قولهم أيهم تضرب يقيم زيد فـ (أيهم) من حيث كانت جازمة لتضرب يجب أن تكون مقدمة عليها ، ومن حيث كانت منصوبة بـ (تضرب) يجب أن تكون في الرتبة مؤخرة عنها فلم يمنع أن يقع هذان التقديران على اختلافهما من حيث كان هذا انما هو عمل صناعي لفظي ولو كان التعادي والتخالف في المعنى لفسد ولم يجز (٤) .

٥ - عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال (٥)

٦ - أصل عمل النصب للفعل وغيره من النواصب مشبه في ذلك به (٦) ،

٧ - قد يكون للعامل وجهان أحدهما لفظي والآخر معنوي وذلك نحو (كأن)

(١) الخصائص ١ / ١٢٥ وسر الصناعة بحث عامة الجر بالحروف ١ / ١٣٩

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٧

(٣) التمام ١٧٤ والخصائص ٢ / ٣٩١

(٤) الخصائص ١ / ٣٤٧

(٥) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٦) الخصائص ١ / ١٠٣ وانظر بحث العامل اللفظي

فهي حرف مشبه بالفعل تعمل النصب ، وما في معناها من التشبيه يعمل النصب كذلك - كما مر - (١) .

٨ - المعاني لاتعمل في المفعول به (٢) .

٩ - المعاني لاتنصب الأفعال وإنما ترفعها (٣) .

١٠ - قد تعمل المعاني في الظروف والحال (٤) .

١١ - الظرف قد يعمل فيه الوهم ، وقد مر ذاك في نحو قولك قيامك امس حسن وهو اليوم قبيح . فتعمل في اليوم (هو) (٥) .

١٢ - اذا عمل الفعل في ظرف زمانياً كان أو مكانياً فانه لابد أن يكون واقعاً فيه ، ويجوز عمله فيه كذلك اذا تجاوز الزمانان ومنه قول العرب « أعطيتك اذا سألتني وزرتك اذا شكرتني » (٦) .

١٣ - قد يكون العامل في الحال غير العامل في ذي الحال نحو قوله تعالى (وهو الحق مصداقاً) فالحال ههنا من الحق والعامل فيه (هو) وحده أو (هو) والابتداء الرافع له وكلا ذينك لا ينصب الحال (٧) .

(١) الخصائص ١ / ١٣٧ وانظر بحث العامل المعنوي

(٢) الخصائص ١ / ١٠٤

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ وما بعدها

(٤) الخصائص ١ / ١٠٣

(٥) الخصائص ٢ / ١٩ - ٢٠

(٦) الخصائص ٢ / ١٧٢ وانظر بحث (الجوار) في موضوع (ما لاحظته العرب

من العلل) .

(٧) الخصائص ٢ / ٢٠

١٤ - قد يعمل المصدر مجموعاً خلافاً لسائر النحاة ، ومنه قول الشاعر :

• مواعيد عرقوب اخاه بيثرب • (١)

١٥ - يشبه العامل بغير العامل فيأخذ حكمه اذا كانت بينهما مناسبة وذلك في

الضرورة نحو قول الشاعر :

• يوم الصليفاء لم يوفون بالجار •

فانه شبه للضرورة لم بـ (لا) فقد يشبه حروف النفي بعضها ببعض وذلك

لاشتراك الجميع في دلالة عليه ، ونحو قول الشاعر

أجلك لن ترى بثعيلبات ولا بيدان ناجية ذمولا

استعمل لن في موضع ما (٢) :

١٦ - لا يجوز تقديم المرفوع على رافعه أما خبر المبتدأ فلم يتقدم عنده على

رافعه . لأن رافعه ليس المبتدأ وحده انما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعاً فلم

يتقدم عليها معاً وانما تقدم على المبتدأ وحده (٣) . - كما مر -

١٧ - لا يجوز تقديم المجزوم على جازمه (٤) .

١٨ - لا يجوز تقديم المجرور على جاره (٥) .

١٩ - قد يحذف العامل أو يحذف المعمول وذلك نحو حذف المبتدأ والفعل

والخبر والمفعول وكحذف الجار والمجرور وغير ذلك من انواع الحذف (٦) .

(١) الخصائص ٣ / ٢٠٧

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٨

(٣) الخصائص ٢ / ٣٨٥ وانظر بحث (العوامل اللفظية المعنوية)

(٤) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٥) الخصائص ٢ / ٣٨٨

(٦) الخصائص ٢ / ٣٦٠ وما بعدها

وعلى هذا فالعامل يعمل :

١ - اذا كان ظاهراً مثل جاء مجد وان اخاك حاضر :

٢ - واذا كان مقدراً مثل النار للنار .

والمقدير على قسمين :

١ - جائر التقدير مثل : اخاك

٢ - واجب التقدير مثل : هل اخاك اكرمه ؟

والمعمول كذلك على قسمين :

١ - ظاهر : حضر أخوك ، ان الحق واضح :

٢ - مقدر مثل : أدرس ، ومثل قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)

أي فمن شهدته صحيحاً بالغاً . (١)

وهذا المقدر على قسمين كذلك :

١ - جائر التقدير كمواضع حذف الخبر جوازاً ونحوها :

٢ - واجب التقدير كمواطن حذف الخبر وجوباً وكمواطن استتار الفاعل وجوباً ونحو ذلك .

من هذا نلاحظ ان أبا الفتح لا يختلف عن سائر النحاة في موقفهم من نظرية (العامل) ولا أرى صحة قول من قال ان أبا الفتح أراد ان يهدم هذه النظرية ويبني نحواً جديداً الا انه لم يجد سميماً وقد ذكرناه . كما لا أرى ان يوضع طرفاً مستقلاً عن النحاة إذا ما بحث هذه النظرية ، كما ذهب اليه الاستاذ الدكتور الجوارى قال : « ونحن واجدون فيما بين ابدينا من كتبهم رأيين رئيسين في العامل :

الرأي الأول : ان اجزاء الكلام يعمل بعضها في بعض ويؤثر احدها في

الآخر فالفعل يرفع الفاعل وينصب المفعول والمبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ
(على رأي نحاة الكوفة) وحرف الجر يجر الاسماء وحروف النصب تنصب
الأفعال وحروف الجزم تجزمها الى غير ذلك مما هو معروف لدى الدارسين .

والرأي الثاني : ان احوال الاعراب وما يطرأ على الكلم من تغيير في اواخرها
انما هو عمل المتكلم هو الذي يحدثه حين يؤلف الكلام ، وهو الذي ينشئ المعنى
فيكون عليه ان يتبع سبيل المعنى في كل جزء من أجزائه فتبدو آثار ذلك في أواخر
الكلم . « (١) وينقل كلام ابن جني الذي ذكرناه آنفاً ان العمل من الرفع والنصب
والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره .

ان ابا الفتح كما يبدو من استعراضنا لنظريته في العامل لا يختلف عن النحاة في
اعتقاده في العوامل اللفظية والمعنوية وان العامل اللفظي هو الذي ينصب المفعول به
مثلاً وان المفعول لا ينصبه الا عامل لفظي وان اصل عمل النصب للفعل وان للفعل
لا ينصب إلا بعامل لفظي وانما يرفع بعامل معنوي وان المستثنى - مثلاً - ينصب
بالفعل بتوسط الا . (٢) وان حروف الجر هي التي تجر (٣) وحروف الجزم هي
التي تجزم - كما مر بنا - . هـ - اية نقطة من النقاط التي ذكرها الاستاذ الدكتور
الجواري في الرأي الأول لم يذكرها أبو الفتح ولم يوافق النحاة فيها ؟ ثم ما حدود
رأيه الذي خالف فيه النحاة في نظرية العامل حتى يمكن ان نضعه طرفاً مستقلاً ؟
انه وافق سائر النحاة في عموم النظرية غير أنه ذكر ان المتكلم هو الذي يرفع
وينصب ويجزم أي هو القوة الفاعلة والمظهرة للحركات وهذا أمر طبيعي ،
فاللفظ - من غير شك - ليس له فعل حقيقي كما تفعل سائر الالاحقيقية ولا أظن
ان احداً يذهب هذا المذهب . فاللغة بسائر ظواهرها اثر انساني وليس لأي لفظ

(١) نحو التيسير ص ٣٦

(٢) سر الصناعة ١ / ١٣٩ وما بعدها

(٣) المصدر السابق

سلطان على لفظ آخر : ولا ينبغي ان يحمل النص أكثر مما يحتمل فيجعل لأبي الفتح نظرية خاصة به او رأي مستقل وليس له أكثر من بضعة أسطر يصرح بها ان العمل للمتكلم وهو في جميع ما يبحث مقتف لا آثار النحويين قبله في نظرية العامل : وقد رد ابن مضاء على أبي الفتح في قوله ان « العمل للمتكلم » قائلا ان الاعمال لله . وهو خلاف عمة لدي خرج عن طبيعة اللغة ، فأبو الفتح معتزلي يرى ان الاعمال جميعها يخلقها الانسان وان ابن مضاء يرى ان الله هو الفاعل الحقيقي أي ان الله أقدر الانسان على ان ينطق بها بهذا الشكل . وهو خلاف لو اقتصر على هذا وحده لم يمس جوهر النظرية البتة .

وعلى أي حال فأبو الفتح لم يختلف عن موقف سلفه من النحاة من نظرية العامل والأخذ بها والترجيح والرفض على اساسها كما مر : وأظن انه في الرجوع الى اقواله التي سقناها آنفاً ما يؤيد هذه الدعوى : ولو كان ابو الفتح يعتقد اعتقاداً آخر او يرى رأياً مغايراً لرأي النحاة لظهر ذلك في محوته ولم يبحث في العوامل اللفظية والمعنوية مؤمناً بها . ولاكتفى في كل ذلك بقوله ان ذلك راجع الى المتكلم لا لشيء غيره . نعم يمكن ان يقال ان أبا الفتح كان يذهب مذهب سائر للنحاة في نظرية العامل . وقد صرح بأن المتكلم هو العامل الحقيقي تمشياً مع عقيدته الاعتزالية التي تقول ان الانسان خالق أفعاله .

• • •

الباب السادس

عقلية ونهج في كتبه وبحثه

الناظر في كتب أبي الفتح يرى ان من ملامح وخصائص عقليته ونهجه في بحثه ما يأتي :

١ - التعلييل والاسراف فيه :

ان أبا الفتح ذو عقلية تعليلية فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها ، وكان مسرفاً في ذلك يحاول بكل ماوتي من قوة فكر وحدة ذهن استخلاص العلة وان كانت بعيدة « وهو على دقته في البحث واغراقه في التعلييل والتحليل مائع الأسلوب » (١) . فنراه يحاول أن يربط العلة بالمعلول بأوهى خيط لاستخراج العلة ، ويغرق في ذلك . ففي الاشتقاق الأكبر مثلاً نراه يحاول ربط المعنى بكل تأويل فيذكر ان « كلام » من (ك ل م) وهو الجرح والشدة وسبب التسمية بذلك ان الكلام « سبب لكل شر وشدة في أكثر الأمر » (٢) فلما كان الكلام أكثره الى الشر اشتق له من هذا الموضوع « (٣) أي ان الواضع نظر هذه العلاقة بين الشدة والشر والكلم فوضع هذا لذلك ، وهذه مبالغة في التعلييل .

ويمكن أن يقال (ان الكلام) - جرياً مع ما يذكر - سبب لكل خير قال

(١) دائرة المعارف - فؤاد البستاني ٢/٤٢٠

(٢) الخصائص ١/١٤

(٣) الخصائص ١/١٥

عالي « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله » ولذا سمي القرآن كلام الله فكلام الله
سبب لكل خير .

وفي تقليبات هذه اللفظة (ك ل م) يقول :

(الرابع) « م ك ل » منه بئر مكول اذا قل ماؤها . قال القطامي :
« كأنها قَلْبٌ عادية مكمل * »

والتقاؤها أن للبئر موضوعه الامر على جمعتها بالماء فاذا قل ماؤها كره
موردها وجفا جانبها وتلك شدة ظاهرة .. (١).

وهو تكلف ظاهر اذ يمكن أن يعال بعكس هذا الأمر تماماً فيقال : ان
(م ك ل) من الضعف والخواء ، فالبئر اذا قل ماؤها وجف أصبحت معطلة خالية
من الماء خاوية والخواء من الضعف كأنه عكس الممتلئ ، وعلى هذا ف (م ك ل)
تدل على الضعف والخواء .

ويذكر الفرق بين الكلام والقول ، فيقول : ان الكلام كل لفظ مستقل بنفسه
مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو : زيد أخوك وقام مجد . و(القول)
كل لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا (٢) . ويذكر انهم عبروا عن الاعتقادات
والآراء بالقول ولم يعبروا عنها بالكلام ويعمل ذلك بأن القول بالاعتقاد أشبه منه
بالكلام ، وذلك ان الاعتقاد لا يفهم الا بغيره ألا ترى انك اذا قلت (قام) وأخليت
من ضمير فانه لا يتم معناه الذي وضع في الكلام عليه وله ، لانه انما وضع على أن
يفاد معناه مقترنا بما يسند اليه من الفاعل ، وقام هذه نفسها قول ، وهي ناقصة محتاجة
الى الفاعل كاحتياج الاعتقاد الى العبارة عنه فلما أثبتتها من هنا عبر عن احدهما
بصاحبه . وليس كذلك الكلام لانه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه :
والقول قد يكون من الفقر الى غيره على ما قدمنا ، فكان الى الاعتقاد المحتاج الى

(١) الخصائص ١/١٦

(٢) الخصائص ١/١٧

البيان أقرب وبأن يعبر عنه اليتى (١)

ومن الممكن رد هذا الكلام وجعل الاعتقادات والآراء أقرب الى الكلام بأن نقول مثلاً ان الاعتقاد والرأي ونحوهما مما يدل على (كمال) في الانسان ، وهي خصيصة انسانية فاق بها سائر الاحياء و (الكلام) الذي يفهم السامع لا شك أكمل واعلى من (القول) الذي لا يشترط به الافهام . و (الكمال) من (ك م ل) ومادة هذه قريبة من (ك ل م) لأنها من الأصول أنفسها وعلى هذا فالكلام من الكمال . أما (القول) فانه يدل على الخفة والحركة - كما ذكر هو نفسه - والآراء والمعتقدات تحتاج الى شدة وصعوبة في استخراجها والى كمال لتظهر وهي تخالف الخفة التي هي معنى (ق و ل) ومن هنا نرى ان الكلام امثل واكمل - ولذا كانت الاعتقادات والآراء أقرب الى الكلام الدال على الشدة والكمال منها الى القول الدال على الخفة والاضطراب .

وأظن انه لو استعملت العرب (الكلام) في التعبير عن (الرأي) لجاء بنحو من هذا التعليل والله أعلم .

وكذلك تعليله في اطلاق (الكلام) على ما كان مستقلاً بنفسه و (القول) على ما قد يستقل بنفسه وقد يحتاج الى غيره فذكر ان (الكلام) انما هو من (الكلم) وهو الجرح لما يجنيه في أكثر الامر على المتكلم ولأنه في غالب الحال مضر بصاحبه واما (القول) فانه دال على الخفة والاسراع فلذلك سموا كل ما مذل به اللسان من الاصوات قولاً ناقصاً كان أو تاماً (٢) .

ويمكن أن يكون هنا تعليل آخر هو أن (الكلام) من (الكمال) أي ان (ك ل م) هي من (ك م ل) في أصلها العام ولذا فان الكلام ينبغي أن يكون مفيداً لانه دال على الكمال والاكتمال . كما يمكن أن يقال بالعكس تماماً اذ لو استعمل

(١) الخصائص ٢٠/١

(٢) الخصائص ٢١/١

العرب (الكلام) لما يدل على الكلام وغيره فإنه يمكن أن يقال مثلاً (الكلام) من (ك ل م) وهو الجرح فكأن الكلام غير المفيد مما يجرح المقابل ويكلمه لأنه غير مفيد له . و (القول) من (ق و ل) لما كان مفيداً مفهوماً كان مما يخف وقعه على السمع فيطرب له بعكس الكلام .

ونحوه ما قاله في تقلاب (س ل م) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) ويرى أن المعنى الجامع لها المشتعل عايتها الاصحاب والملاية ومنه الثوب (الس - مل) وهو الخلق وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزهر ما على الجديد . فاليد اذا مرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة النسج ولا خشة الملمس ...

ومنها السلامة . وذلك ان السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترف عليها به (١) .

ونحن نلاحظ أن (س ل م) يمكن تعليلها بالعكس وهي انها تدل على القوة والشدة والثبات في المخاطر والصعاب .

ويعلل عدم تنوين الفعل بأن التنوين انما لحق في الوقف مؤذنا بالتام ، والفعل أحوج شيء الى الفاعل . فاذا كان من الحاجة اليه من بعده على هذه الحال لم يلق به التنوين الا لاحق للايدان بالتكامل والتام فالحالان اذن كما ترى ض - مدان ولأجل ذلك ما امتنعوا من الحاق التنوين للمضاف . وذلك أن المضاف على غاية الحاجة الى المضاف اليه من بعده . فلو ألحقته التنوين المؤذن بالوقف وهو متناه في قوة الحاجة الى الوصل جمعت بين الضدين . وهذا جلي غير خاف . وأيضاً فان التنوين دليل التنكير ، والاضاعة موضوعة للتخصيص فكيف لك باجتماعهما على ما ذكرنا من حالهما (٢) ؟

(١) الخصائص ١٣٧/٢

(٢) الخصائص ٢٤٠ / ٣

أما قوله بأن التنوين مؤذن بالتمام والفعل يحتاج الى الفاعل فمن الممكن كذلك أن يقال ان الفاعل يحتاج ايضاً الى الفعل والمبتدأ الى الخبر فلماذا نونا ؟

وأرى انه لو نون الفعل لكان من السهولة تعليله بأن يقال مثلاً « التنوين دليل التنكير » (١) والفعل أفعد شيء في التنكير وهو موغل في التنكير (٢) - كما ذكر هو نفسه - ولذلك استنجوا من تعريفه قال « ومن ذلك امتناعهم من تعريف الفعل وذلك انما الغرض فيه افادته فلا بد من أن يكون منكوراً لا يسوغ تعريفه لأنه لو كان معرفة لما كان مستفاداً لأن المعروف قد غني بتعريفه عن اجتلابه ليفاد من جملة الكلام ولذلك قال أصحابنا اعلم ان حكم الجزء المستفاد من الجملة ان يكون منكوراً والمفاد هو الفعل لا الفاعل » (٣). وعلى هذا كان الفعل أحق أقسام الكلام بالتنوين . وهكذا فان كثيراً من المسائل يمكن تحليلها بعكس ما ذهب اليه لأن الشيء حين يؤخذ في تعليله ويمتد في ذلك يبعد عن الاصل شيئاً فشيئاً حتى ربما وصل الى العكس .

ونحوه تحليل التسمية - (عروبة) وهي الجمعة قال « وذلك ان يوم الجمعة أظهر أمراً من بقية ايام الاسبوع لما فيه من التأهب لها والتوجه اليها وقوة الاشعار بها قال (٤) :

* يوائم رهطاً للعروبة مصححاً *

وأرى ان هذا التحليل لا يصح لأن كون الجمعة أظهر أمراً من بقية الاسبوع لما فيه من التأهب لها انما كان ذلك في الاسلام ولا شك ان التسمية قديمة قبل الاسلام

(١) الخصائص ٣ / ٢٤٠

(٢) الخصائص ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ٣ / ٢٣٣

(٤) الخصائص ١ / ٣٧

وأما الشعر الذي أورده فان (صبيا) معناه (قياماً) يريد قياماً يصلون الجمعة (١) .
وكذلك ما علل به طائفة من الفاظ دخيلة كالمسك والصور والبريز والرطل
والنبراس وغيرها - كما مر - ظاناً أنها عربية . ومن الممكن - لو ذهبنا مذهبه - ان
نعلل كثيراً من الفاظ أجنبية نحواً من هذا التعليل فن الممكن أن نقول ان (bat)
بمعنى مضرب هي مأخوذة من البيتوتة لأن الضرب كأنما يبيت ألمه على المضروب
كما ان (المسك) يمسك الحاسة عليه . و (cut) بمعنى يقطع من باب التسمية باسم
الصوت مثل (قط) و (room) بمعنى بيت (مُفْعَل) من (رام - يروم) لان
البيت مما يرومه الانسان ويطلبه .

وعلى اي حال فهي تدل على عقليته وقدرته الكبيرة على التعليل
ويضاف الى ذلك أن عنده تعليقات في غاية الدقة وبعد النظر ، كما نرى في
(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و (امساس الالفاظ لاشباه المعاني) كالقضم
والخضم والقذ والقط والغليان والغثيان والنزوان والبشكى والجمزى وكما نرى في
(باب تركيب اللغات وتداخلها) نحو حسب يحسب ونعم ينعم وفي (الحمل على
المعنى) كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ونحوها فانها تعليقات مستقاة من طبيعة
اللغة وقد مر بنا ذكرها فلا حاجة لتكرارها

٢ - التحليل :

وكما كان أبو الفتح ذا عقلية تحليلية كان ذا عقلية تحليلية فهو يحلل المسألة الى
اقصى ماتحمله . واسمح لي أن انقل اليك النص التالي على طوله لترى مدى التحليل
الذي يستعمله . جاء في (المنصف)

« فأما جوار وغواش ونحوهما فللسائل أن يقول :

(١) حاشية الخصائص ١ / ٣٧ ثم انظر خلق الابل للاصمعي في مجموعة الكنز

اللغوي ١٣٢

لم صرف هذا الوزن وبعد ألفه حرفان : الراء والياء والشين والياء ؟
وقد قال أبو اسحاق في هذا ما اذكره لك ، وهو أنه ذهب الى ان التنوين انما
دخل في هذا الوزن لأنه عوض عن ذهاب حركة الياء فلما جاء التنوين وهو ساكن
والياء قبله ساكنة التقي ساكنان فحذفت الياء فقل : « هؤلاء جوارى » كما قيل « هذا
قاضٍ ومررت بقاض » يريد أن أصله « هؤلاء جوارى » ثم اسكنت الياء استئثالا
للضمـة فهقيمت « جوارى » ثم عوض من الحركة التنوين فالتقي ساكنان فوجب
حذف الياء كما ذكرنا قبل .

ألا ترى أن الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك « رأيت جوارى »
لم يميّزاً بالتنوين لأنه انما كان يجيء عوضاً من الحركة فاذا كانت الحركة ثابتة لم
يلزم أن يعوض منها شيء .

وأنكر أبو علي هذا القول على أبي اسحاق وقال ليس التنوين عوضاً من
حركة الياء وقال لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوض التنوين من حركة الياء في
(يرمى) ألا ترى أن أصله يرمى بوزن يضرب فلما لم نرهم عوضاً من حركة هذه
الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين في جوار عوضاً من ذهاب حركة الياء .

فان انتصر منتصر لأبي اسحاق فقال : الزام أبي علي اياه لا يلزمه لأن له ان
يقول : ان جوار ونحوه اسم والتنوين باب الاءاء ويرمي ويغزو فعل والتنوين لا
مدخل له في الفعل فلذلك لم يلزم أن يعوض من حركة ياء يرمى ونحوها .

قيل له : ومثال (مفاعل) أيضاً لا يدخله التنوين فجري مجرى الفعل . فان
قال : مفاعل على كل حال اسم والاسم مما يصح تنوينه فلذلك عوض من حركته
تنويناً .

قيل له : لو كان الامر كذلك لوجب ان يعوض من حركة الألف في « حبلى »
ونحوها تنويناً ولم نرهم فعلوا ذلك وان كانت اسماً ،

فان قال لو عوض عن حركة « حبل » ونحوها لدخل التنوين ما لا ينصرف على وجه من الوجوه .

قيل : وكذلك مثال « مفاعل » قد لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فان قال مثال « مفاعل » قد ينصرف في بعض المواضع وذلك عند ضرورة الشعر « وحبل » وبابها لم يصرف قط لضرورة الشعر فهذا الفصل بينهما .

قيل انما لم يصرفوا نحو « حبل » للضرورة لأن التنوين كان يذهب الألف من اللفظ فيحصل على ساكن هو التنوين وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف فتركوا الصرف في نحو حبل لذلك .

ألا ترى انهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون « مررت بحمراء » للضرورة لأنهم قد ازدادوا حرفا يقوم به وزن البيت وهمزة حمراء كألف سكري وحبل . فن هنا سقط انتصار المنتصر لأبي اسحاق فتفهم هذا فانه لطيف جداً » (١)

ونحوه ما ذكره في قول من اعتل لبناء نحوكم ومن وما واذا بأن هذه الاسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ما جاء من الحروف على حرفين نحو هل ويل وقد فلما شابهت الحرف من هذا الموضع وجب بناؤها كما ان الحروف مبنية . قال أبو الفتح : وهذه علة غير متعددة وذلك أنه كان يجب على هذا أن يبنى ما كان من الاسماء ايضا على حرفين نحو يد ودم وفم وحر وهن ونحو ذلك .

فان قيل هذه الاسماء لها أصل في الثلاثة وانما حذف منها حرف فهو لذلك معتد . فان ابا الفتح يرى أن ذلك موجب لبناء نحو يد وأخ وأب قال لأنه لما حذف فنقص شابه الحرف وان كان أصله الثلاثة ألا ترى ان المنادى المفرد المعرفة قد كان أصله أن يعرب فلما دخله شبه الحرف لوقوعه موقع المضمر بني ولم يمنع من بنائه جريه معربا قبل حال البناء ... فقد كان يجب ان يبنى ما جاء من الاسماء على حرفين وله أصل في الثلاثة والا يمنع من بنائه كونه في الأصل ثلاثيا ، كما لم يمنع من بناء

زيد في النداء كونه في الاصل معربا . . . على ان منها ما لم يأت على اصله البتة وهو معرب وهو حره وسه وفم . . .

فان قلت فقد ظهرت اللام في تكسير ذلك نحو : افواه واستاه واحراح ، قيل قد ظهر الاعراب في زيد نفسه لاني جمعه ولم يمنع ذلك من بنائه . وكذلك القول في تحقيره وتصريفه نحو فويه وأسته وحر ح (١) .

ونحوه ما ذكره في (باب في العلة وعلة العلة) من ان ابا بكر السراج ذكر هذا ومثل منه برفع الفاعل . قال : فاذا سئلنا عن علة رفعه قلنا : ارتفع بفعله ، فلماذا قيل : ولم صار الفاعل مرفوعا ؟ فهذا سؤال عن علة العلة .

وقال ابو الفتح ان هذا الذي سماه علة العلة انما هو تجوز في اللفظ . فأما في الحقيقة فانه شرح وتفسير وتنميط للعلة . الا ترى انه اذا قيل له فلم ارتفع الفاعل ؟ قال لاسناد الفعل اليه . ولو شاء لابدأ هذا فقال في جواب رفع زيد من قولنا قام زيد انما ارتفع لاسناد الفعل اليه فكان مغنياً عن قوله : انما ارتفع بفعل حتى تسأله فيما بعد عن العلة التي ارتفع لها الفاعل . .

ولو شاء لما طله فقال له : ولم صار المسند اليه مرفوعاً ؟ فكان جوابه ان يقول ان صاحب الحديث اقوى الاسماء والضممة اقوى الحركات فجعل الاقوى للاقوى ، وكان يجب على ما رتبته ابو بكر ان تكون هناك علة ، وعلة العلة ، وعلة علة العلة . وايضاً فقد كان له ان يتجاوز هذا الموضع الى ما وراءه فيقول : وهلا عكسوا الأمر فاعطوا الاسم الاقوى الحركة الضعيفة لئلا يجمعوا بين ثقيلين فان تكلف متكلف جواباً عن هذا تصاعدت عدة العلل وادى ذلك الى هجنة القول وضعفه القائل به (٢) .

(١) الخصائص ١ / ١٦٩ وما بعدها

(١) الخصائص ١ / ١٧٣ وما بعدها

وقد اصاب ابن جني في قوله ان ذلك تسمح وتجاوز وليس حقيقة إذ السؤال عن علة ارتفاع الفاعل - مثلاً - والجواب بانه ارتفع بفعله معناه ان العلة هي (الفعل) فالسؤال عن علة العلة ينبغي ان يتعلق بالسؤال عن (الفعل) وهكذا كما يقال : من اين جاء المطر ؟ فتقول من السحاب . فتقول : ومن اين جاء السحاب ؟ وهكذا ...

ونحوه ما جاء في (الخصائص) عن بناء (أويت) من (وأيت) فراه يحلل ذلك فيقول هو ان تبني من (وأيت) فوعلاً فيصير بك التقدير فيه الى (وَوُأي) فتقلب اللام الفا لتجر كها وانفتاح ما قبلها فيصير (ووأي) ثم تقلب الواو الاولى همزة لاجتماع الواوين في اول الكلمة فيصير (أوأي) ثم تخفف همزة فتحذفها وتلقي حركتها على الواو قبلها فيصير (اوا) اسما كان او فعلاً (١) .

لقد رأينا بما يقطع الشك ان ابن جني ذو عقلية تحليلية يستعمل عقله في التحليل الى ابعد مدى .

٣ - دقة ملاحظته :

وكذلك كان ابو الفتح دقيق الملاحظة ، والنصوص التي ذكرناها آنفاً تدل على دقة ملاحظته . ومما يدل على دقة ملاحظته ما لحظه في (اللفظ والمعنى) في ان اللفظ مشابه بجرسه للمعنى وان قوة اللفظ لقوة المعنى وتصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني وامساس الالفاظ اشباه المعاني قال : ووجدت انا من هذا الحديث اشياء كثيرة . . وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزهزعة والقلقلة والصلصلة والقعقة . . ووجدت ايضاً (الفاعل) في المصادر والصفات انما تأتي في السرعة نحو البشكى والجمزى . . فجعلوا المشال المكرر للمعنى المكرر

- اعني باب القلقلة - والمثال الذي توات حر كاته للافعال التي توات الحركات فيها « (١) ».

وقال « ومن طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون اذا مازجتهم الفاء على التقديم والتأخير فكثر احوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما . من ذلك الدالف للشـيخ الضعيف والشـي* التالف والظليف والمجان وليست له عصمة الثمن .. والدنف للمريض .. ومنه القنور للضعف . (٢) »

ونحو ما رأى في اللغة من كثرة الثقل وقلة الخفيف في الألفاظ فالاول نحو طُئِبَ ومُعْتُق والثاني نحو اِبل . وعلة ذلك عنده ان بين المفرد والجملة اشباها . منها وقوع الجملة موقع المفرد في الصفة والخبر والحال . . . ومنها ان بعض الجمل قد تحتاج الى جملة ثانية احتياج المفرد الى المفرد وذلك في الشرط وجزائه والقسم وجوابه . . . ومنها ان المفرد قد أوقع موقع الجملة في مواضع كنعم ولا لأن كل واحد من هذين الحرفين نائب عن الجملة . . . وكذلك صه ومه وايه واف . . . كل واحد منها جزء مفرد وهو قائم برأسه وليس للضمير الذي فيه استحكام الضمير في الفعل . . .

فلما كانت بين المفرد وبين الجملة هذه الاشباه والمقاربات وغيرها شـبهوا توالي الضمتين في نحو مُسْرَحٌ ومُعْلَظٌ بتواليهما في نحو زيد قائم ومجد سائر . وعلى ذلك قال بعضهم الحمد لله فضم لام الجر اتباعا لضممة الدال وليس كذلك الكسر في نحو اِبل لانه لا يتوالى في الجملة الجران كما يتوالى الرفعان . (٣)

(١) الخصائص ١٥٣/٣

(٢) الخصائص ١٦٦/٢

(٣) الخصائص ١٧٧/٢ وما بعدها

ومما تظهر فيه دقة ملاحظته ما ذكرناه سابقاً من اختلاف اجراس الحروف باختلاف مقاطعها وتشبيهها لها بالآلة الموسيقية . (١)

ومنه ما ذكره في قولهم (لا ابالك) قال ففهمنا تقديران مختلفان لمعنيين مختلفين . وذلك ان ثبات الألف في (ابا) دليل الاضافة فهذا وجه . ووجه آخر ان ثبات اللام وعمل (لا) في هذا الاسم يوجب التكبير والفصل فثبات الألف دليل الاضافة والتعريف ووجود اللام دليل الفصل والتكبير (٢)

وقد يذهب الى حد بعيد في استعمال ملاحظته والتدقيق في ذلك . وذلك نحو ما ذكره في كتاب (التمام) قال : في قولهم « بحثت التراب » ونحوه : وهو على ترتيب الاصوات الحادثة عنده ، فالباء للخففة بما يبحث به عن التراب والحاء فيما بعد كصوت رسوب الحديد ونحوها اذا ساخت في الارض والياء للحكاية صوت ما ينبعث من التراب فتأمله . (٣)

٤ - يلمح الاشارات الخاطفة :

كان أبو الفتح يلمح الاشارات الخاطفة فيأخذها ويتبناها ويبنى عليها حتى يملكها وتعرف به قرب عبارة او اشارة لمحها فعقد عليها بابا او اكثر وأخرجها الى الوجود فكرة واضحة محدودة المعالم ، ومن مثل ذلك :

آ - الاشتقاق الأكبر فقد ذكر أن شيخه أبا علي كان يستعين به ويخلد اليه فلمحه منه أبو الفتح وأطلق عليه هذا الاسم وعقد له بابا حتى صار يعرف به . قال في باب (الاشتقاق الأكبر) : - هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر (٤) وقال في

(١) سر الصناعة ٩/١

(٢) الخصائص ٣٤٢/١

(٣) التمام ص ١٣٠

(٤) الخصائص ١٣٣/٢

موضع آخر : وشاهدته غير مرة - يعني شيوخه أبا علي الفارسي - اذا أشكل عليه
الحرف : الفاء أو العين أو اللام يستعان على علمه ومعرفته بتقلاب أصول المثال الذي
ذلك الحرف فيه (١) .

ب - الجوار في نحو قولهم : هذا جحر ضب خرب . حملة الجمهور على انه
خلط من العرب وانه من الشاذ وعنده أنه على حذف المضاف (٢) وأبو علي هو
الذي فتح له هذا الباب - كما مر - (٣) .

ج - التجريد : قال اعلم ان هذا فصل من فصول العربية طريف حسن
ورأيت أبا علي - رحمه الله - به غريبا معنيا ولم يفرد له بابا لكنه وسمه في بعض ألفاظه
فاستقريتها منه وأنقت لها (٤) .

د - امساس الالفاظ أشباه المعاني : نحو ماذهب اليه سيبويه والخليل من أن
العرب توهموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ الجندب وتوهموا في صوت
البازي تقطيعا فقالوا صرصر البازي ونحو ذلك في مشاكلة أصوات الالفاظ للمعاني
فقد ملح هذا الشيء وبحته بحثا موسعا في مواطن عدة من كتبه ولا سيما الخصائص في
(تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) و (امساس الالفاظ أشباه المعاني) ومضارعة
اللفظ للمعنى وقوة اللفظ لقوة المعنى ونحو ذلك . قال : - ووجدت أنا من هذا
الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه ومنهاج مارسماه (٥) . وذكر من ذلك
المصادر الرباعية المضعفة كالقلقلة والزعزعة و (الفعلى) في المصادر والصفات كإمر .
٥ - يلحظ الحالة النفسية والمعنى الذي يرمى اليه المتكلم وأثر ذلك في التعبير

(١) الخصائص ١٢/١

(٢) الخصائص ١٩٢/١

(٣) الخصائص ١٩٢/١ - ١٩٣

(٤) الخصائص ٤٧٣/٢

(٥) الخصائص ١٥٣/٢

كما يلحظ النبرة الصوتية أو ما يسمى موسيقى الكلام وأثرها في المعنى . وذلك كما في حذف الصفة ودلالة الحال عليها كما مر من نحو قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك قال وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت . وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلاً فزبد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنساناً وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنساناً ! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبغضاً أو نحو ذلك (١) .

وكذلك ما لحظه في قراءة من قرأ (يا حسرة على العباد) بالهاء الساكنة فذكر إنما هو لتقوية المعنى في النفس وذلك أنه موضع وعظ وتنبيه وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستمعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره (٢) . وقد مر بنا هذا في موطن سابق .

٦ - سعة نظراته

وأبو الفتح واسع النظر ، واسع الأفق ، ترى ذلك في أغلب ما يبحث فيه . قال في تعدي (افعل) ولزومه أن ضرباً من اللغة جاءت فيه هذه القضية معكوسة مخالفة فتجد (فعل) متعدياً و (افعل) غير متعد .

(١) الخصائص ٣٧١/٢

(٢) المحتسب ٢٦١/٢ عن كتاب (أبو علي الفارسي) ص ٣٨٥

وذلك قولهم أجفل الظلم وجفاته الريح ... وأنزفت البئر اذا ذهب ماؤها
ونزفتها وأقشع الغمام وقشعته الريح ...

فهذا نقض عادة الاستعمال لأن (فعات) فيه متعدو (أفعات) غير متعد .
وعلة ذلك عنده أنه جعل تعدي فعلت وجمود أفعات كالعوض لفعلت من
غلبة أفعلت لها على التعدي نحو جلس وأجلسته ونهض وانهضته ، كما جعل قلب
الياء واوا في التقوى والرعوى والثنوى والفتوى عوضا للواو من كثرة دخول الياء
عليها ، وكما جعل لزوم الضرب الاول من المنسرح لمفتعلن وحظير مجيئه تاما أو
مخبونا بل توبعت فيه الحركات الثلاث البتة تعويضا للضرب من كثرة السواكن
فيه نحو مفعولن ومفعولان ومستفعلان ونحو ذلك مما التقى في آخره من الضروب
ساكنان (١) .

وذكر في باب (كثرة الثقيل وقلة الخفيف) نحو عنق وابل أن بين الجملة
والمفرد أشباها (٢) - كما مر - فهو يربط بين المفرد والجملة ويرى بينهما مشابهة كما
يرى أن الحروف تضارع الحركات والحركات تضارع الحروف فيقول في
(باب في مضارعة الحروف للحركات والحركات الحروف) ان الحركة حرف
صغير فالضمة واو صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة الف صغيرة ويؤكد ذلك
أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها وذلك أن الحروف
قد تجري مجرى الحركات ومن ذلك الألف والواو والياء والنون (٣) . ويرى ان
الحروف تحذف استخفاً كما تحذف الحركة ومن ذلك قوله :

فألحقت اخرهم طريق الهم كما قبل نجم قد خوى متابع

(١) الخصائص ٢/٢١٥

(٢) الخصائص ٢/١٧٧

(٣) الخصائص ٢/٣١٥

يريد أولاهم . وقال رؤبه

* وصاني العجاج فيما وصي *

يريد فيما وصاني . وقال الله عز اسمه (والليل اذا يسر) ... فنظير حذف
هذه الحروف للتخفيف حذف الحركات أيضاً في نحو قوله :

* فاليوم أشرب* غير مستحقب *

وقوله :

* اذا اعوججن قلت صاحب قوم *

وقوله

* ومن يتق* فان الله معه *

وقوله

* أو يرتبط* بعض النفوس حامئها(١) *

٧ - سعة صدره وعدم تعصبه

كان أبو الفتح واسع الصدر واسع الافق غير متعصب لا ينتقص مخالفه
أو مخالف مذهب . فقد كان لا يمتنع أن يقول برأي البصريين أو الكوفيين وغيرهم
إذا رأى الحق معه ويوافق الجمهور أو يخالفهم فينفرد برأي :

وهو مجل لشخصيات البصريين والكوفيين لا كشأن غيره من البصريين في
التهجم على علماء الكوفة ، كما جاء في (مراتب النحويين) أن أبا حاتم قال لم
يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ولولا أن الكسائي دنا من
الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئاً وعلمه مختلط بلا حجج ، ولا علل الا
حكايات عن الاعراب مطروحة(٢) .

(١) الخصائص ٣١٧/٢

(٢) مراتب النحويين ص ٧٤

على حبن يثني عليه أبو الفتح في (الخصائص) بقوله « وكان هذا الرجل - يعني الكسائي - كثيراً في السداد والثقة عند أصحابنا » (١) .

لقد كان كثير الرواية عن أبي بكر بن مقسم محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ثعلب وكان ابن مقسم راوية ثعلب يروي عنه ابن جني أخبار ثعلب ويتردد ذكره كثيراً في كتبه وكان كثيراً ما يقول قرأت على محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد ابن يحيى ونحو ذلك كما مر في ترجمة ابن مقسم وقد اثنى على ثعلب قائلاً : « ورأيت أبا محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى في هذا الموضوع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح وظلمه وغصبه حقه والأمر عندي بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه في كثير مما ألزمه إياه . وما كنت أراه بهذه المنزلة ، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها وإن كان من أصحابي وقائلاً بقول مشيخة البصريين في غالب أمره وكان أحمد ابن يحيى كوفياً قلباً فالحق أحق أن يتبع أين حل وصقع (٢) واثنى على أمانته - وحصانته قائلاً ولله أبو العباس أحمد بن يحيى وتقدمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة وأمانة وعصمة وحصانة وهم عيار هذا الشأن وأساس هذا البنيان » (٣) . وهي درجة سامية في سعة الصدر ورحابته وسدك بالانصاف .

٨ - ارتباط علوم اللغة والاستفادة من بعضها في الاستدلال على بعض :

يرى أبو الفتح أن علوم اللغة مترابطة فيما بينها وأنه يمكن الاستدلال ببعضها على بعض ، فالعروض واللغة والنحو ومعاني الشعر وغيرها مترابطة بينها كما يرى أن هناك شبهاً بين المفرد والجملة وهو يقتني أثر شيخه أبي علي في ذلك فقد ذكر أن شيخه أخبره أن سائلاً قديماً سأله : هل يجوز الخرم في أول اجزاء متفاعلين من

(١) الخصائص ٢ / ٨٩ ، وانظر الخصائص ٣ / ٣١١

(٢) سر الصناعة حرف الهاء ص ٢٩٣ مخطوطة بدار الكتب المصرية

(٣) الخصائص ٣ / ٣١٣

الكامل ؟ قال : ولم اكن حينئذ اعرف مذهب العروضيين فيه فعدلت به الى طريق الاعراب ، فقلت : لا يجوز فقال لم لا يجوز ، فقلت لأن التاء بعد الميم قد يدر كها السكون في بعض الأحوال فيكره الابتداء بحرف قد يكون في بعض احواله ساكناً في ذلك المثال بعينه كما كرهت العرب الابتداء بالهمزة المخففة لأنها قد قربت من الساكن . أفلا ترى الى تناسب هذا العلم واشتراك اجزائه حتى انه ليجاب عن بعضه بجواب غيره (١) ؟

فهو يرى اذن تناسب هذا العلم واشتراك اجزائه حتى انه ليجاب عن بعضه بجواب غيره . ومن ذلك ما جاء في (الخصائص) في عدم جواز توكيد المحذوف نحو : الذي ضربت نفسه زيد أي الذي ضربته نفسه والا كان نقضاً للغرض وذلك أن الحذف « انما الغرض به التخفيف لطول الاسم فلو ذهبت تؤكد له لنقضت الغرض وذلك ان التوكيد والاسهاب ضد التخفيف والايجاز ، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا كما لا يجوز ادغام الملحق لما فيه من نقض الغرض » (٢) . فترى من هذا أنه يستعين باللغة في النحو ونحو ذلك ما جاء في (باب في اصلاح اللفظ) فيذكر أن من ذلك قولهم اما زيد فنطابق ، فيذكر أن اصل هذا التعبير اذا صرحت بلفظ الشرط فيه كأنك قلت : مهما يكن من شيء فزيد منطلق ، ومثله امتناعهم أن يقولوا : انتظرتك وطلوع الشمس أي مع طلوع الشمس فينصبوه على انه مفعول معه كما ينصبون نحو قتت وزيداً أي مع زيد ومن ذلك قولهم في جمع ثمرة وبسرة ونحو ذلك : تمرات وبسرات فكروا اقرار التاء تناكراً لاجتماع علامتي تأنيث في لفظ اسم واحد ، ومن اصلاح اللفظ قولهم : كأن زيداً عمرو فيرى أن اصله : زيد كعمرو ثم أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه ان فقالوا ان زيداً كعمرو ثم انهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدموا حرفه الى أول الكلام عناية به واعلامه ان

(١) سر الصناعة ١ / ٥٥

(٢) الخصائص ١ / ٢٨٧

عقد الكلام عليه فلما تقدمت الكاف وهي جارة لم يجوز ان تباشر (ان) لانها ينقطع ما قبلها من العوائل فوجب لذلك فتحها فقالوا كأن زيدا عمرو ، ومن ذلك امتناعهم من اللاحق بالألف الا ان تقع آخر نحو ارطى ومعزى وحبنتى وسرندى . . . وذلك انها اذا وقعت طرأاً وقعت موقع حرف متحرك فدل ذلك على قوتها عندهم ، ومن ذلك باب الادغام في المتقارب نحو ودّ في وتد ومن الناس (ميم قول) في (من يقول) ومنه جميع باب التقريب نحو اصطر وازدان (١) .. فترى ان علوم اللغة تندمج عنده وتمتزج في البحث بحيث تكون عنده كأنها مادة واحدة وموضوع واحد .

وانظر الى المثل التالي وكيف يستعين باللغة في النحو فيقول في قولهم (كان يقوم زيد) ونحن نعتقد رفع (زيد) بـ (كان) ويكون (يقوم) خبراً مقديماً عليه . فان قيل : ألا تعلم أن (كان) انما تدخل على الكلام الذي كان قبلها مبتدأ وخبر وأنت اذا قلت : يقوم زيد فانما الكلام من فعل وفاعل فكيف ذلك ؟ فالجواب انه لا يمتنع ان يعتقد مع (كان) في قولنا كان يقوم زيد ان زيدا مرتفع بكان وان (يقوم) مقدم عن موضعه فاذا حذف (كان) زال الانساع وتأخر الخبر الذي هو يقوم فصار بعد (زيد) كما ان الف (علقاة) (نلاحاق) فاذا حذف الهاء استحال التقدير فصار للنأنيث « (٢) » .

ويعقد بين معاني الشعر ومعاني الاعراب ، فمن ذلك قول ذي الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته اذا البسسته المظلمات الحنادس

قال : أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً . وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكشبان الأنقاء . . . والله البحري فما اعذب وأظرف وأدمث قوله :

(١) الخصائص ١ / ٣١٢ وما بعدها

(٢) الخصائص ١ / ٢٧٣

ابن الغزال المستعير من النقا كفلا ومن نور الأفاحي مبسما

وذكر أن هذا المعنى عينه استعماله النحويون في صناعتهم فشبهوا الأصل بالفرع في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل ألا ترى أن سيبويه أجاز في قولك هذا الحسن الوجه أن يكون الجر في الوجه من موضعين ، أحدهما الإضافة والآخر تشبيهه بالضارب الرجل الذي أنما جاز فيه الجر تشبيهاً له بالحسن الوجه (١).

٩ - عقليته قياساً منظّمة لاجتماعه ، يهتم بكليات المسائل أكثر من الجزئيات :

وأبو الفتح مشهور بالقياس حتى عده بعضهم من زعماء الأحرار في اللغة (٢) وانه وشيخه صاحباً مدرسة قياسية خاصة تعنى بالقياس الى أبعد الحدود ولا تقف عند النص (٣) . بل ان أبا الفتح رفع لواء مذهب القياس حتى فاق استاذة فيه (٤). وكان يجعل القياس عياراً على ما يرد من نصوص مخالفة للجمهور أو مفردة فيعرض النص على القياس فان وافقه وكان العربي فصيحاً مقبل والا رد كما مر بنا ذلك ويرى أن معرفة مسألة واحدة من القياس أمثل من معرفة كتاب لغة وهو - في ذلك - يهتدي بهتدي شيخه الذي يقول « أخطى في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطى في واحدة من القياس » (٥) ويقول أبو الفتح : « ونحن نعتقد ان أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت في القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس انبل وانبه من كتاب لغة عند عيون الناس » (٦) .

(١) الخصائص ١ / ٣٠٠ وما بعدها

(٢) مدرسة القياس في اللغة - لأحمد امين - مجاة مجمع اللغة العربية ج ٧ / ٣٥١

(٣) ظهر الاسلام ١ / ١٨٥ ، ٢ / ٨٨

(٤) ظهر الاسلام ٢ / ٩٢

(٥) الخصائص ٢ / ٨٨

(٦) الخصائص ٢ / ٨٨

وهذا النص يدلّك بوضوح على مدى اهتمامه بالقياس وبكليات المسائل . وهو يستعمل القياس في الاستدلال في بعض المسائل فهو يرى أن حرف التعريف قياسه أن يكون على حرف واحد ذلك أنه نقيض التنوين ، وذلك أن التنوين يدل على التنكير واللام تدل على التعريف فلما كان التنوين حرفا واحداً كان قياس حرف التعريف أن يكون حرفا واحداً وهم مما يجرون الشيء مجرى نقيضه كما يجرونه مجرى نظيره الا تراهم قالوا « طويل » فجاءوا به على وزن قصير . . . وجروا به - (كم) في الخبر لأنها نقيضة (رب) ألا ترى أن (رب) للتقليل و (كم) للتكثير ؟

وقالوا (كثر ما تقولان) فألحقوا النون لانه نقيض (قلما تقولان) وهذا أو نحوه مطرد كثير في كلامهم (١) .

ومن أوضح ما يدلّك على مدى اهتمامه بالمسائل الكلية قوله بعد أن تكلم في (نقض العادة) قال « فاعرف هذا الغرض فإنه أشرف من حفظ مائة ورقة لغة (٢) .

١٠ - ذهابه في تقليب الكلام والكلم على أوجهه المحتملة :

فهو يقلب النص والكلمة على أوجهه المحتملة وقد شاهدنا طرفاً من ذلك في (التحليل) . ومن ذلك ما جاء في (التمام) في قول الشاعر

فدى لبني عمرو وآل مؤمل غداة الصباح فدية غير باطل

فيرى ان (فـدى) تحتل أمرين ، أحدهما أن يكون منصوباً بفعل مضمر كأنه قال أفديهم فدى . فقوله (فدية غير باطل) بدل من قوله (فـدى) أو منصوبة بفعل آخر دل عليه (فـدى) واللام التي في (لبني) وصف لفـدى ،

(١) المنصف ٦٩/١

(٢) الخصائص ٢١٩/٢

ولا يجوز على هذا أن تعلق اللام بنفس فـدى . فهذا وجه . والآخر : ان يكون مرفوعا لانه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال : انا فدى لبني عمرو . فاذا كان كذلك احتملت اللام أمرين ، احدهما أن يكون صفة لفـدى ، والآخر ان تكون متعلقة بنفس (فدى) فلا يكون فيها أذن ضمير لتعلقها بانظاها ، واذا كانت صفة كان فيها ضمير لتعلقها بالحوذف . ووجه ثالث : وهو أن يكون (فدى) هنا مبنيا لوقوعه موقع الامر كأنه قال لأفدى بني عمرو فيكون في (فدى) على هذا ضمير الشاعر عبد مناف وتكون اللام على هذا متعلقة بنفس (فدى) الا انه لما نكره نونه ، ولا يجوز أن تكون اللام في (لبني) على هذا الوجه وصفا لفدى ، لانه جار مجرى الفعل والفعل لايجوز وصفه كما ان اللام من (سقيا لك) لايجوز ان تكون وصفا لسقيا لوقوعه موقع سقياك الله (١) .

ومنه ما جاء في (التمام) في قول الشاعر

ومالي فيهم معتب ان عتبتهم عليهم وما فيهم لدى الظلم منصر

قال : ينبغي أن تكون الهاء في (عتبتهم) ضمير مصدر فكأنه قال : ان عتبت عتبا عليهم فأضممه للدلالة فعله عليه ، ويجوز أيضا ان تكون منصوبة لأنها مفعول له فيضمير تقديره : ما فيهم اعتاب ان عتبت له ومن أجله . أي من أجل امتناعه . فحذف المضاف (٢) .

ومنه ما جاء فيه في قول الشاعر

فدعنا ونحصى حول بيتك بالحصا ونلخاك الفا نفس سلمى زعيمها

قال : الواو في (ونحصى) تحتل أمرين : احدهما أن تكون للاستئناف ومطف جملة على أخرى أي ونلخاك على كل حال ، ولا موضع لهذه الواو وما

(١) التمام ص ٦٠

(٢) التمام ص ٦٨

بعدها . والآخر أن تكون واو الحال (١) أي فدعنا ونحن نلخاك .

ومنه ما جاء فيه في قول الشاعر :

وردنا الفضاضَ قبلنا شيئاً فمأمتنا بأرعن بنني الطير عن كل موقع (٢)

قال : فأما رفع (شيفاتنا) فإن شئت فبالابتداء وخبره (قبلنا) مقدم عليه ،
وان شئت كان بدلا من (نا) في وردنا بدل البعض (٣) .

ومنه ما جاء في (الخصائص) في قولهم (راكب الناقة طليحان) فهو
يحتمل عنده وجهين .

احدهما على حذف المعطوف فكأنه قال : راكب الناقة والناقة طليحان .
والآخر أن يكون الكلام محمولا على حذف المضاف أي راكب الناقة أحد
طليحين (٤) .

ومنه ما جاء فيه في (الأولق) (٥) قال « يمكن ان يكون الأولق (فوعلا)
من هذا اللفظ وان يكون أيضاً (أفعل) منه ، فإذا كان أفعل فأمره ظاهر ، وان
سميت به لم تصرفه معرفة ، وان كان (فوعلا) فأصله وَوُلِقَ فلما التقت الواوان
في أول الكلمة ابدلت الأولى همزة لاستثقالها ألا كقولك في تحقير واصل أو يصل
ولو سميت بأولق على هذا لصرفة (٦) .

ومن أوضح الأدلة على ذهابه في تقليب الكلام والكلم الى أبعد الاحتمالات

(١) التمام ص ٢٢

(٢) شيفاتنا : ثلاثتنا ، ارعن جيش كثير . الفضاض : موضع

(٣) التمام ص ٢٠

(٤) الخصائص ١ / ٢٨٩ وما بعدها

(٥) الجنون

(٦) الخصائص ١ / ٩

مأذهب اليه في الاشتقاق الأكبر والذي يعنى - كما مر - بتقليب الكلمة الى أبعـد
احتمالاتها .

١١ - لم يكن مقلدا بل يستعمل عقله في الفهم :

لم يكن أبو الفتح مقلدا في بحثه بل كان أصيلا في نهجه يستعمل عقله في
الفهم ، لا يضيره أن يخالف شيخه وغيره ، ولا أن ينفرد برأي ويقول قولاً لم يقله
احد قبله . وقد نعى أبو الفتح على التقليد والمقلدين فقال بعد أن استشهد بأشعار
المولدين في المعاني : - وإياك والحنبلية بحثا فانها خلقت ذميم ومطعم على علاته
وخيم (١) .

ومن الدلائل الواضحة على عدم تقليده انه لا يعد الاجماع حجة قال : - اعلم
ان اجماع أهل البلدين انما يكون حجة اذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص
والمقيس على المنصوص فان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه (٢) .
وقال « فكل من مفرق له عن علة صحيحة وطريق نهجه كان خليل نفسه ، وأبا عمرو
وفكره » (٣) .

وذكر ان الاحتجاج بقول المخالف ليس حجة ولا موضع قطع على الخصم
الا ان فيه تشنيعا عليه وإهابة به الى تركه (٤) .

ثم يقول : ان للانسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو اليه القياس ما لم يلو
بنص أو ينتهك حرمة شرع (٥) .

هذا رأيه في التقليد وأصالة البحث ، وقد طبق هذا الرأي تطبيقا عمليا فقد

(١) الخصائص ١ / ٢٤

(٢) الخصائص ١ / ١٨٩

(٣) المصدر السابق

(٤) الخصائص ١ / ١٨٨

(٥) الخصائص ١ / ١٨٨

خالف شيخه وخالف سيبويه وغيره وانفرد بآراء خاصة كما سنذكره فيما بعد .
ومما يدل على اعتداده بنفسه وثقته برأيه بعد ان ذكر مخارج الحروف
وتكلم فيها قال : - وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض
ولا أشبهه هذا الاشباع ومن وجد قولا قاله (١) .

وجاء في (سر الصناعة) في قول الشاعر

من اي يوميّ من الموت افر أيوم لم يُقدّر ام يومٌ مُقدر

قال : فذهبوا فيه الى انه اراد النون الخفيفة ، ثم حذفها ضرورة فبقيت الراء
مفتوحة . . .

والذي اراه انا في هذا - وما علمت احدا من أصحابنا ولا غيرهم ذكره ويشبه
ان يكونوا لم يذكره للطفه - هو أن اصله (أيوم لم يُقدّر ام يومٌ مُقدر) بسكون
الراء للجزم . ثم انها جازرت الهمزة المفتوحة والراء ساكنة وقد أجرت العرب الحرف
الساكن اذا جاور الحرف المتحرك مجرى المتحرك وذلك قولهم فيما حكاه سيبويه :
المرأة والكأمة يريدون المرأة والكأمة (٢) .

١٢ - اختباره لما يسمع من الفصيح وثبته فيه

كان ابو الفتح كشأن سلفه من سائر النحاة لا يقبل كل ما يسمع عن العرب
بل يمتحنهم ويمتحن المسموعات ويعرضها على سائر ما يرد من فصحاء العرب وقد
مر بنا ذاك في اكثر من موضع وهو يروي عن الاعراب بعد أن يتحقق فصاحتهم
والا رده . قال في وصف الاعراب في زمانه وانتشار الاضطراب في السنتهم
« لو فشا في اهل الوبر ماشاع في لغة أهل المدر من اضطراب الالسنه وخبالها . . .
لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ، لأننا

(١) سر الصناعة ١ / ٦٣

(٢) سر الصناعة ١ / ٨٥

لأنكاد نرى بدويًا فصيحًا وإن نحن أنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدر فيه وينال ويغض منه (١) .

وكان يمتحن ما يرد عليه ويختبره فقد كان في زمانه اعرابي فصيح هو أبو هبدا الله الشجري فكان يأتي عليه الأسئلة ويختبره ويصنع له الجمل ويطلب منه أن يقولها ، فيذكر أنه سأل الشجري يوما قال : فقلت يا أبا هبدا الله كيف تقول ضربت اخاك ؟ فقال كذاك . فقلت : أنت تقول ضربت اخوك ؟ فقال : لا أقول اخوك ابدا . قلت : فكيف تقول ضربني اخوك ؟ فقال كذاك فقلت : ألسنت زعمت أنك لا تقول : اخوك ابدا ؟ فقال أيش ذا ! اختلفت جهتا الكلام (٢) .

ومر بنا سؤاله له كيف يجمع دكانا وسرحانا وعثمان . (٣) وسأله مرة وكان معه ابن عم له دونه في فصاحته اسمه غصن قال : فقلت لهما : كيف تحقران (حمراء) ؟ فقالا : حمراء . قلت فسوداء ؟ قالوا سوداء . وواليت من ذلك احرفا وهما يجيئان بالصواب . ثم دسست في ذلك (علياء) فقال غصن (علياء) وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء راجع كأنه عور ثم قال آه عليبي ورام الضمة (٤) في الباء فكانت تلك عادة له (٥) .

ويذكر أنه طرأ عليه أحسد من يدعي الفصاحة البدوية ويتباعد عن الضعفة الحضرية قال « فقلقينا أكثر كلامه بالقول له وميزناه تمييزاً حسن في النفوس موقعه الى أن انشدني يوما شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه : أشأوها وأداؤها بوزن (أشعها وأدعها) فجمع بين الهمزتين كما ترى واستأنف من ذلك مالا

(١) الخصائص ٥ / ٢

(٢) الخصائص ٢٥٠ / ١

(٣) الخصائص ٢٤٢ / ١

(٤) (الروم) هو النطق ببعض الحركة غالبا

(٥) الخصائص ٢٦ / ٢

أصل له ولا قياس يسوغه . نعم وأبدل الى الهمز حرفاً لاحظ في الهمز له بضد ما يجب ... (١) .

وأنشدني أيضاً شعراً لنفسه يقول فيه : كأن فاي .. فقوي في نفسي بذلك بعده عن الفصاحة وضعفه عن القياس الذي ركبه (٢) .
وكان قياسه ان يقول : كأن في

١٣ - ظهور المنطق عنده :

وقد مر بنا ذاك فهو يتكلم في العرض والجوهر والساكن والمتحرك والعلّة وعلة العلة والف كتابه (الخصائص) على طريقة المتكلمين والفقهاء . وقد مر بنا قوله ان علل العربية أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين . ولا نريد أن نطيل في ضرب الامثلة فقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع فلا داعي للتكرار .

ومع استعماله للمنطق فيما يكتب فهو لم يغفل فيه ، وكان يذكر أن لكل علم طريقاً وسبيل هذا غير سبيل ذاك . قال : « ان لكل علم وقوم طريقاً ومذهباً متى خرج عنهما أو شيبا بغيرهما حاما بمريدتهما على ما ليس وقفا لهما ولا مثله مما يفتاد به مثلهما وليس لكل أمر مبرم الا لزوم محجته والانحطاط الى مشروع سمته » (٣) .

١٤ - أثر الاعتزال فيما يبحث :

لقد كان أبو الفتح معتزلياً - كما مر - وقد كان يظهر أثر الاعتزال فيما يبحث أحياناً ، من ذلك ما ذكرناه سابقاً في كسرة ما قبل ياء المتكلم في نحو غلامي وصاحبي وانها ليست حركة اعراب ولا بناء (٤) .

(١) الخصائص ٢ / ٥

(٢) الخصائص ٢ / ٧

(٣) المبهج ص ٣٥

(٤) الخصائص ٢ / ٣٥٦

ومن ذلك ما كانت فيه اللام او الاضافة نحو الرجل وغلارك وصاحب
الرجال فهذه الأسماء كلها لا منصرفة ولا غير منصرفة (١) .
ومنه قوله :

يا مرحباً بهُ بحمار ناجيه اذا اتى قريته للسانيه
فثبات الهاء في (مرحباه) ليس على حد الوقف ولا على الوصل . اما
الوقف فيؤذن بأنها ساكنة : يا مرحباه . واما الوصل فيؤذن بحذفها اصلا .
فهذه كلها منزلة بين المنزلتين (٢) .

ومن ذلك ما يرى في قولهم « خاق الله السماء والارض » وما كان نحوه اذ
يرى انه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق افعالنا ولو كان حقيقة لا مجازا لكان خالفاً
للكفر والعدوان وغيرهما من افعالنا عز وعـلا (٣) . وكذلك ما ذكره في قوله
سبحانه (وفوق كل ذي علم علم عليم) انه حقيقة لا مجاز وذلك انه سبحانه ليس عالما بعلم
فهو اذن العليم فوق ذوي العلوم أجمعين (٤) . مستهدياً في كل ذلك بأراء المعزلة
كما سبق ان ذكرناه .

١٥ - استعماله امثلة غير عملية او مرضية للتدريب :

فيذكر ان الغرض من مسائل التصريف عنده على ضربين :
احدهما الادخال لما تبنيه في كلام العرب والالحاق له به ، والآخر التماسك
الرياضة والتدرب بالصنعة فيه .

الاول نحوه قولك في مثل جعفر من (ضرب) ضريب ومثل محبوب رُح: ضريب

(١) الخصائص ٢/٣٥٧

(٢) الخصائص ٢/٣٥٨-٣٥٩

(٣) الخصائص ٢/٤٤٩

(٤) الخصائص ٢/٤٥٧

الثاني وهو نحو قولك في مثل فيعول من شوبت شيوي وفي فعول منه شوي ، وفي عصر فوط من الآية : أوأيوء ، ومثل مُصْفَرَّق : أوْمُؤَيُّو ، ومن يوم مثل مرمريس يويويم ومثل الندد : أينوم (١) .

وقد عقد باباً في (المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الاصول) وذكر ان الكلام فيه من موضعين :

احدهما : ذكر استقامة المعنى من استحالته ، والآخر الاستطالة على اللفظ بتحريفه والتلاعب به ليكون ذلك مدرجة للفكر ومشجعة للنفس (٢) .

ثم يرد على الذين يقولون ماقيحة الاشتغال بانشاء فروع كاذبة عن اصول فاسدة وقد كان في التشاغل بالصحيح مغن عن التكلف للسقيم فيقول ان هذا خطأ من القول من قبل انه اذا اصلح الفكر وشحذ البصر وفتق كان عوناً لك (٣)

ويضرب اولاً امثلة غير لغوية على هذا الحال فيقول : اذا فرضت ان سبعة في خمسة اربعون فكم يجب ان يكون على هذا ثمانية في ثلاثة ؟ فجوابه ان تقول سبعة وعشرون وثلاثة اسباع ، وكذلك لو قال لو كانت سبعة في خمسة ثلاثين كم كان يجب ان تكون ثمانية في ثلاثة ؟ لقلت عشرين واربعة اسباع ، وكذلك لو كان نصف المائة ستين لكان نصف الثلاثين ثمانية عشر .

ومن الحال ان يقول لك : ما تقول في مال نصفه ثلثاه كم ينبغي ان يكون ثلثه ؟ فجوابه ان تقول اربعة اتساعه (٤) .

ثم يأتي بامثلة لغوية ونحوية فيرى ان من الحال الظاهر القول قمت غداً

(١) الخصائص ٢/٤٨٢ وانظر التصريف الملوكي ص ٥٧ - ٥٨

(٢) الخصائص ٣/٣٢٨

(٣) الخصائص ٣/٣٢٨

(٤) الخصائص ٣/٣٢٨ وما بعدها

وسأقوم امس . وكذلك يرى انه من المحال قولك : زيد افضل اخوته ، لأن (افعل)
هذه متى اضيفت الى شيء فهو بعضه كقولك : زيد افضل الناس . فهذا جائز
ولانقول : زيد افضل الحمير لأنه ليس منهم . وعلى ذلك لم يجزوا « زيد افضل
أخوته » لأنه ليس واحداً من اخوته وانما هو واحد من بني ابيه وصواب المسألة ان
تقول : زيد افضل بني أبيه او ان تقول : زيد افضل من أخوته ، فهذا طريق
استحالة المعنى (١) .

وأما صحة قياس الفروع على فساد الأصول فكأن يقول لك قائل : لو كانت
الناقة من لفظ (القنو) ما كان يكون مثالها من الفعل ؟
فجوابه ان تقول (علفة) ...

ومن ذلك ان لو كان ما هان عربياً فكان من لفظ هوم أو هيم لكان لعفن
ولو كان من لفظ الوهم لكان لفعان . ولو كان من لفظ غمي لكان لعفان ولو
وجد في الكلام تركيب (و م ه) فكان ما هان من لفظه لكان مثاله : عفان
ولو كان من لفظ النهم لكان : لا عافا . ولو كان من لفظ المهيم لكان عافالا .
ولو كان في الكلام تركيب (م ن ه) فكان منه لكان عالافا . وانما غرضنا هنا
مساق الفروع على فساد الأصول ، لما يعقب ذلك من قوة الصنعة وارهاف الفكرة .
وأما مرمريس فلو كان من لفظ (س م ر) لكانت : لعليف ، ولو كانت
من لفظ (س ر م) لكانت لعليف . ولو كانت من لفظ (م س ر) لكانت
لفلعي . لكنها عندنا من لفظ (م ر س) وهو على الحقيقة (فعفيل) منه . (٢)
ويعقد مسألة في انقلاب الواو الزائدة همزة ويسطر لها احكاماً . وهي غير
مسموعة أصلاً في كلام العرب فيوجد بها بالفرض عن طريق القياس حتى إذا
أوجد لها سطر لها حكماً نحوياً جاء في (سر الصناعة) و أما الواو الزائدة التي قلبت

(١) الخصائص ٣ / ٣٢٣

(٢) الخصائص ٣ / ٣٤٠

عنها همزة فلم تأت مسموعة عندهم الا ان النحويين قاسوا ذلك على الياء لانها اختها وذلك لو نسبت الى مثل صحراء وخنفساء لقلت : صحراوي وخنفساوي فان سميت بهما رجلا ثم رخمته على قولهم : يا حائر وجب بعد حذف ياء النسب ان تقلب الواو الفاء لوقوعها طرفاً بعد الف زائدة فتصير صحراا وخنفساا ثم تبدل الألف الآخرة همزة لأنك حركتها لالتقاء الساكنين كما فعلت ذلك في كساء فتقول على هذا : يا صحراء ويا خنفساء أقبل . وقياس هذا إذا سميت به بعد الترخيم ان تصرفه في النكرة بلا خلاف وفي المعرفة على الخلاف فتقول : جاءني صحراء^١ ومررت بخنفساء^٢ لأن هذه الهمزة التي فيهما الآن ليست للتأنيث انما هي بدل من الف بدل من واو بدل من همزة التأنيث المنقلبة عن الألف المقدرة بعد الألف الاولى (١) .

١٦ - هو وابن هشام

الذي دعانا الى عقد هذه الموازنة بين أبي الفتح وابن هشام ما ذكره ابن خلدون في تاريخه قال ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيها احكام الاعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمال ... وسماه بالمغني في الاعراب فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها كأنه ينحو في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتنوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه (٢) . وستكون الموازنة قصيرة وغير متسعة وستقتصر فيها على ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) تقريباً وان كنا نرى ان الكتاب الواحد لا يكون كافياً في عقد المقارنات الا اننا نريد أن نتبين رأي ابن خلدون من ناحية ، ومن ناحية أخرى نريد ألا تتسع الرسالة ولعل الله سبحانه ييسر لنا مجالا آخر في عقد موازنة موسعة دقيقة بينهما . وسنذكر النقاط بإيجاز ،

(١) سر الصناعة ١ / ١١٢ - ١١٣

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٠٢٧ - ١٠٢٨

ابن هشام هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام
الانصاري المصري .

ولد بالقاهرة في ذي القعدة من عام ثمان وسبعمائة من الهجرة انفرد بالفوائد
الغريبة والمباحث الدقيقة -ة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع
المفرط (١) .

الذي يلحظ ابن هشام في كتابه (المغني) ويلاحظ أبا الفتح يخرج بما يلي وهي
ليست كل ما يخرج به :

١ - أبو الفتح لا يرى الاستشهاد بالحديث وابن هشام يكثر منه ، فن الواضح
للقارئ في كتب ابن هشام انه يكثر من الاستشهاد بالحديث ولا يتردد في ذلك وأما
أبو الفتح فانه - كما علمنا - يقف منه موقف سائر النحاة أي لا يرى الاستشهاد به
الا انه لا يمتنع من أن يذكر الحديث تأييدا لرأي قرره أو أصل استنبطه ، اما ان
يكون الحديث هو الأصل الذي يرد القاعدة أو يقرر الأصل أو ينقضه فذلك مالم
نره في كتب أبي الفتح كما سبق أن بيناه .

لقد استشهد ابن هشام بالحديث النبوي في كتابه (مغني اللبيب) بما لا يقل
عن ستين مرة ومن امثلة ذلك ما يلي :

آ - ما جاء فيه في (ان) « وفي الحديث : ان قعر جهنم سبعين خريفاً ... على
ان القعر مصدر (قعرت البئر) اذا بلغت قعرها وسبعين ظرف اي بلوغ قعرها
يكون في سبعين عاماً (٢) .

ب - ما جاء فيه في (ان) وقد يرتفع بعدها المبتدأ فيكون اسمها ضمير شأن

(١) ترجمة ابن هشام في مقدمة المغني ص ٥ - ٦

(٢) المغني ١ / ٣٧

محدوفا كقوله عليه الصلاة والسلام: «ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصرون»
الأصل انه اي الشأن (١) .

ج - ما جاء فيه في (أم) « ان تكون للتعريف نقات عن طيبي وعن حمير...»
وفي الحديث « ليس من امير اصبيا في امسفر » كذا ، رواه النمر بن توبل
رضي الله عنه (٢) .

د - ما جاء فيه في (الباء) « وقد زيدت في مفعول كفى المتعدية لواحد ، ومنه
الحديث « كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع » (٣)
هـ - ما جاء فيه : (حاشا) على ثلاثة أوجه :

احدها ان تكون فعلا متعديا متصرفا ... ومنه الحديث انه عليه الصلاة
والسلام قال « أسامة احب الناس الي ما حاشى فاطمة » (٤) .

و - ما جاء فيه : « عطف الشيء على مرادفه ... نحو (عوجا ولا أمنا)
وقوله عليه الصلاة والسلام « لياني منكم ذوو الاحلام والنهي » (٥) .

٢ - أبو الفتح اشتهر بالتصريف واللغة ودراسة الأصوات الى جانب النحو
أما ابن هشام فانه اغلب ما يكون نحويا .

٣ - أبو الفتح صاحب ابتكارات لغوية ونظريات خاصة وليس لأبن هشام
مثل ذلك :

٤ - أبو الفتح مولع بالتعليل والتحليل الى أبعد الحدود - كما مر - ما لا
نلاحظه عند ابن هشام .

(١) المغني ١ / ٣٧

(٢) المغني ١ / ٤٨

(٣) المغني ١ / ١٠٩

(٤) المغني ١ / ١٢١

(٥) المغني ٢ / ٣٥٧

٥ - أبو الفتح انشأ « أصول النحو » أو كان عالماً أكبر فيه ما لم نعرفه عن ابن هشام .

٦ - عبارة أبي الفتح مشرقة واضحة مفصلة وعبارة ابن هشام وخاصة في معنى اللبيب مختصرة أشبه بالاختزال .

٧ - أبو الفتح يذكر شيوخه بالفضل ويغفلهم ابن هشام .

٨ - اتساع تأليف أبي الفتح فتح فترى له الكتب الضخمة الموسعة وذلك كالخصائص وكتاب فسر ديوان المتنبي وغيرهما .

٩ - تنوع الموضوعات التي كتب فيها أبو الفتح فقد ألف في القراءات والعروض وشرح الأشعار والقصائد والنحو واللغة والصرف والحروف الى غير ذلك وكاد ابن هشام يكون متخصصاً نحوياً

وان كان من نقاط التقاء بينهما فكلاهما رجل واسع الاطلاع جم المعرفة فانك إذا قرأت كتب ابن هشام فأنت لا شك واجده واسع الاطلاع وتطلع له على تحقيقات واستدراكات نحوية وترجيحات هي غاية في التدقيق يتتبع الكلمات والمصطلحات ويعنى بتصحيحها ويبيدي رأيه فيها اذا رأى ما يستوجب ذلك .

فابن هشام قد خبر النحو وتضلع منه بوجه خاص تضلعاً مبيناً على حين ان ابا الفتح كان متسع الدائرة ولم تكن له هذه العناية الخاصة بالنحو دون غيره .

١٧ - هو وابن مضاء :

ونعقد موازنة قصيرة موجزة أخرى بين أبي الفتح وابن مضاء القرطبي الذي نادى بالغاء نظرية العامل .

وابن مضاء اللخمي أصله من قرطبة واليها ينسب ، ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفي في سنة ٥٩٢ هـ .

كان ابن مضاء ظاهري المذهب نشأ في عصر الموحدين وحاول ان يبني النحو

على اساس هذا المذهب الفقهي كما يظهر في كتابه (الرد على النحاة) فقد نادى
بالغاء نظرية العامل ونادى بالغاء العلل الثواني والثالث ونادى بالغاء القياس والغاء
التمازين غير العملية ونادى بمنع التأويل والتقدير في الصبيغ والعبارات كل ذلك بوحى
هذا المذهب الفقهي .

ان الناظر في كتب أبي الفتح وكتاب (الرد على النحاة) يرى مما يراه مايلي:
١ - أبو الفتح معتزلي يظهر أثر اعتزاله أحياناً في كتبه ، وابن مضاء ظاهري
حاول تأسيس النحو على اساس هذا المذهب . يقول ابن مضاء في قول أبي الفتح
ان « العمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو لاحتكلم نفسه لا لشيء غيره »
قال « وهذا قول المعتزلة وأما مذهب أهل الحق فان هذه الأصوات إنما هي من
فعل الله تعالى » (١) :

٢ - أبو الفتح يدين - على العموم - بالنحو القديم واسسه في العامل والقياس
والعلل والتعليل والتقدير والتقدير و قد نادى ابن مضاء بابطال هذه كلها وهدمها . وقد
مر بنا رأي ابن جني في هذا كله مع أننا نرى أن ابن مضاء يبين قصده من تأليف
كتابه بقوله « قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه
وانبه على ما اجمعوا على الخطأ فيه .

فن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظي وان
الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي . . . فظاهر هذا أن العامل أحدث
الاعراب وذلك بين الفساد » (٢) .

٣ - كان أبو الفتح مشهوراً في القياس مولعاً بالتحليل والتعليل الى أبعد
الحدود وهو صاحب مدرسة خاصة في القياس - كما يرى بعضهم - اما ابن مضاء فقد
جاء لهدم ما اشتهر به أبو الفتح من تحليل وقياس . فلو قدر لمنهج ابن مضاء النجاح

(١) الرد على النحاة ص ٨٧

(٢) الرد على النحاة ص ٨٥ - ٨٦

لطمس على كثير مما عده بعضهم مزايا في نهج أبي الفتح . قال ابن مضاء : وما
يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث (١) « ويقول في دعوته الى الغاء
القياس : « والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمه ، وعلّة
حكم الأصل غير موجودة في الفرع » (٢) !

٤ - أبو الفتح يستعمل التمارين غير العملية والفرضية للتدريب - كما مر - أما
ابن مضاء فقد دعا الى الغاء ذلك كله قال : « مما ينبغي أن يسقط من النحو (ابن من
كذا مثال كذا) كقولهم (ابن من البيع مثال فعل) (٣) .

كما دعا الى الغاء كل ما لا يفيد نطقاً قال « وما يجب ان يسقط من النحو
الاختلاف فيما لا يفيد نطقاً كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول
وكاختلافهم في رافع المبتدأ وناصب المفعول » (٤) .

فأنت تراهما على طرفي نقيض احدهما مشرق في نحوه والآخر مغرب . فبينما
يرى أبو الفتح - مثلاً - في نحو قولهم :

يا ناق سيري عنقاً فسيحاً الى سليمان فنستريحاً

و (الا تنزل فتحدث) كما يرى سائر النحاة البصريين ان الفعل بعد هذه الفاء
منتصب بان مضمره من قبل انهم تخيلوا في أول الكلام معنى المصدر ، فاذا قال
زرني فأزورك ، فكأنه قد قال لتكن منك زيارة فزيارة مني (٥) . يرى ابن مضاء
ان ما قاله أبو الفتح لاحقيقة تحته قال : « وكذلك النصب بالفاء والواو ، ينصبون

(١) الرد على النحاة ص ١٥١

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦

(٣) الرد على النحاة ص ١٦١

(٤) المصدر السابق ص ١٦٤

(٥) سر الصناعة ١ / ٢٧٢ وما بعدها

الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن) ويقدر (أن) مع الفعل بالمصدر
ويصرفون الأفعال الواقعة قبل هذه الحروف الى مصادرها ويعطفون المصادر على
المصادر بهذه الحروف واذا فعلوا ذلك كله لم يرد معنى اللفظ الأول « (١) » .

لقد استفاد ابن مضاء من أبي الفتح قوله في الاجماع وأنه لا يكون حجة
ونفذ منه الى الطعن والتخلص من النحو القديم ، لقد استعمله سلاحاً لهدم النحو
القديم .

ومع ذلك فهناك نقطة التقاء بينهما هو ان كلا منهما يستعمل عقله في الفهم
ويعتمد على نفسه وقد مر بنا ذاك عن أبي الفتح أما بالنسبة لابن مضاء فلا أوضح
من أن يدعو الى نقض النحو القديم محاولاً تأسيس نحو جديد .

الباب السابع

مذهب النحوي

١ - الاختلاف فيه :

لقد اختلف في مذهب أبي الفتح النحوي فهو بصري عند طائفة ، بغدادي عند آخرين ، ومتخذ لنفسه منهجاً وسطاً بين الكوفية والبصرية كما يذكر غيرهم ، وصاحب مذهب مستقل كما يصوره بعض الباحثين ، وكان في مذهبه هذا أقرب الى البصريين أو البغداديين :

جاء في (مقدمة سر الصناعة) أن أبا الفتح وشيخه أبا علي الفارسي « كانا على مذهب واحد في النحو هو المذهب البصري ، وكانا لا يباينان أن يأخذنا عن غير البصريين من البصريين والكوفيين والبغداديين وغيرهم » (١) .

وجاء في (مقدمة الخصائص) أن ابن جنّي كان « كشيخه أبي علي بصرياً فهو يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب » (٢) .

وجاء في (دائرة المعارف) لفؤاد البستاني : « أن أبا علي كان على مذهب أهل البصرة فخرج ابن جنّي مثله بصري المذهب » (٣) .

(١) مقدمة سر الصناعة ص ٣٤

(٢) مقدمة الخصائص ص ٤٤

(٣) دائرة المعارف ١٥/٢

وجاء في (دائرة المعارف الاسلامية) انه « كان يتخذ لنفسه منهجا وسطا بين مدرستي الكوفة والبصرة » (١) .

وجاء نحو من ذلك في (تاريخ علوم اللغة العربية) للاستاذ طه الراوي (٢) :

ويعد الاستاذ (بروكلمان) مع رجال مدرسة بغداد (٣) وهو يستهدي بذلك بصاحب (الفهرست) الذي ذكر (أسماء واختيار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين) وعد منهم أبا الفتح عثمان بن جني (٤) . وعلى ذلك فهو بغدادى .

وجاء في كتاب (أبو علي الفارسي) نقلا عن مصدر آخر انه « يُعد المبرد البصري (٢٨٥هـ) و ثعلب الكوفي (٢٩١هـ) آخر ممثلين للمدرستين وقد سكن هذان العالمان المتنافسان بغداد وكانت اندماج تعاليم المدرستين في الجيل التالي من النحويين الذين أسسوا مدرسة بغداد (٥) » وعلى ذلك فهو بغدادى .

وعده صاحب (القواعد النحوية) هو وشيخه من نخبة بغداد (٦) .

وفي (تقديم كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي) بعد أن عد النحويين البصريين والكوفيين ثم ذكر البغداديين الذين ظهرت عندهم النزعة البصرية في النحو ثم النزعة الكوفية ثم الذين جمعوا بين النزعتين من البغداديين فلم يتعصبوا ،

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢٢-١٢٣

(٢) تاريخ علوم اللغة العربية ص ١٩٣

(٣) تاريخ الأدب العربي ج ٢/ ٢٤٤

(٤) الفهرست ص ١٣٤

(٥) مقدمة AFABIC GRAMMER BY HOWELL. VOL.I PII

(٦) القواعد النحوية - عبد الحميد حسن ص ١٠٩

ذكر أنه جاء بعدهم رجال النحو وأعلامه في العراق وفارس وعد منهم السيرافي وأبا علي الفارسي وابن جني وآخرين (١) . ولم ينسبه الى مذهب معين .

وجاء في مقالة الدكتور محمد أسعد طلس قوله « ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد فانه كان صاحب مذهب مستقل انفرد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والاعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق » (٢) .

ويقول في مكان آخر « ان أبا الفتح لم يكن متقيداً بمذهب مخصوص فلا كان بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا أندلسياً بل كان أمة مستقلاً برأيه وان كان الى مذهب البغداديين أقرب ، والى آرائهم أمة - ل لأنه تأثر باستاذه أبي علي الفارسي » (٣) .

هذه هي خلاصة الآراء في مذهبه النحوي وسنبين رأينا فيما بعد .

٢ - المدرسة البغدادية - نبذة مختصرة :

اختلف في حقيقة المدرسة البغدادية وهل هي مدرسة قائمة بنفسها لها أصولها ؟ فمنهم من يراها مدرسة خاصة لها أصولها وآراؤها المستقلة ، ومنهم من يراها تطورا للمذهب الكوفي ووارثته ، ومنهم من يراها مزيجاً من المذهبين ثم كانت فيما بعد أقرب الى البصرية ، ومنهم من انكر وجود مدرسة بغداد . وفي المباحث آراء أخرى تدور في مثل هذا الفلك .

(١) تقديم كتاب أخبار النحويين البصريين ص ٥ وما بعدها

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦١٥

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٤٣

فقد ذكر بعضهم أن المذهب البغدادي ليس « الا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا » (١) .

وذكر غيره أنه تخرج رجال الكوفة « جماعة من البغدادية أولعوا بالتوسع في الروايات والتباهي في الترخيصات والتفاخر بالنوادير والطرائف حتى ابتعدوا عن أصول أشياخهم واستوى لديهم مذهب انحاز عن مذهب اسلافهم عرف بمذهب البغداديين » (٢) .

ويذكر الدكتور محمد أسعد طلس أن مدرسة بغداد قامت بعد المدرستين البصرية والكوفية وبعد نزوح علماء المدرستين اليها ، وكانت المناقشات العلمية جد حادة بين الفريقين وعلى الرغم من أن تلك المناقشات قد قربت بين وجهات نظر الفريقين فهي أضعفت المدرسة الكوفية . . . وقد ظلت المدرسة البغدادية ناشئة فترة طويلة من الزمن الى أن تغلب المتغلبون على بلاد الخلافة الاسلامية العباسية في بغداد ممن ارادوا أن يجعلوا في عواصمهم البعيدة عن بغداد حركات علمية فضعفت مدرسة بغداد بعض الضعف وظلت تصاول وتجاول مع اكسات الدهر الى ان احتلها المغول ففرقوا شمل علمائها وقضوا على كثير منهم » (٣) .

وفي اقوال مقدم (كتاب أخبار النحويين البصريين) بعد أن ذكر طبقات البصريين والكوفيين ذكر البغداديين الذين ظهرت عندهم النزعة البصرية في النحو ثم النزعة الكوفية ثم الذين جمعوا بين النزعتين من البغداديين فلم يتعصبوا . ثم جاء بعدهم رجال النحو وأعلامه في العراق وفارس (٤) - كما مر - .

(١) مدرسة الكوفة - للمخزومي ص ٧٠

(٢) نظرات في اللغة والنحو - لطف الراوي ص ٩

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣٠ ج ٤ / ٦٣١ - ٦٣٢

(٤) تقديم كتاب أخبار النحويين البصريين ص ٥ وما بعدها

وذكر الاستاذ محمد الطنطاوي أنه بالنسبة لعقد الفريقين في بغداد نشأ المذهب البغدادي الذي عماده الترجيح بين الفريقين (١) وذكر أنه بعد تلاقي الفريقين في بغداد اختلفت فيها وجهات العلماء الى ثلاثة أنحاء مؤيد للبصريين ومؤيد للكوفيين ومازج بين المذهبين» وقد تمايزت طوائفهم الثلاث تبعاً لاختلاف نزعاتهم وكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين البصرية والكوفية تراول المذهبين وتنظر فيهما نظرة غير مشوبة بالعصبية فهي ولا بد واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل ، وذلك المذهب في مسائل أخرى وكان عمل الطائفة منها بعض معاصريهم الى استقراء ما صح من القوانين النحوية دون التحيز الى فريق دون آخر ، فجر ذلك الى الخلط بين المذهبين لاستخلاص مذهب منهما مرضي عندهم . ولقد اتسعت هذه الحركة ونمت فعالجها الكثيرون حتى احتل مكاناً بين المذهبين مذهب آخر جديد مؤلف من المذهبين بفروق قليلة اشتهر ذلك بالمذهب البغدادي إذ كانت أرض بغداد هي التي اقلته وسماؤها التي اظلمت ظهرت بواكيره في اخريات القرن الثالث الهجري على مرأى من المتنازعين من الفريقين . (٢)

وجاء في (القواعد النحوية) أنه بعد ان امنزج نخاة الكوفة والبصرة ببغداد واتسع المجال لعرض الآراء وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري « أتيسح للبغداديين بهذا ان ينظروا في المذهبين البصري والكوفي ويوازنوا بين آراء الفريقين فأنشأوا لهم مذهباً كان أساسه المستحسن من المذهبين وأضافوا الى ذلك ما عن لهم من آراء خاصة . وكانوا في أول الأمر أكثر ميلاً الى موافقة الكوفيين لمكانة نخاة الكوفة عند الخلفاء... ولكنهم اتبعوا المذهب البصري في كثير من المسائل » (٣) ويرى (Howell) ان المدرسة البصرية احتفظت بفعاليتها الى واسط

(١) نشأة النحو ص ٢٦

(٢) نشأة النحو - لمحمد الطنطاوي ص ١٤٤

(٣) القواعد النحوية - لعبد الحميد حسن ص ١٠٤ - ١٠٥

القرن الرابع لأن ابن دريد الذي عاصر المبرد لمدة اثنين وستين عاما ظل حيا حتى سنة ٣٢١ هـ وباستثناء هذا المعمر الذي كان البقية الباقية من مدرسة البصرة فن خالف المبرد وتعلما يسمون بالبغداديين كأبي بكر بن السراج ومبرمان لأنهم سكنوا وحاضروا في بغداد واكتفهم هناك لقنوا مذهباً جديداً مزيجاً من تعاليم المدرستين القديمتين من تفاوت وعلم في النزوع الى احدهما دون الأخرى . (١)

ويرى الدكتور الشابي « ان هذا الذي يقول Howell وما يذهب اليه بعض الباحثين من ان هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون الأولون من اصحاب التراجم والطبقات ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين .

فابن النديم لا يسمي من خلطوا بين المذهبين بغداديين ، والزبيدي في طبقاته يذكر في كتابه النحاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين (الافريقيين) والاندلسيين ولا يزيد (٢) ويقول : « لاذن فلم تكن هناك فيما أرى مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها . » (٣)

وجاء في كتاب (مراتب النحويين) : « قال أبو حاتم : اهل بغداد حشو عسكر الخليفة لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب ولا من يرتضى روايته فان ادعى أحد منهم شيئا رأيت مغلطا صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة ... وانما هم احدثهم اذا سبق الى العلم ان يسيّر اسما يخترعه لينسبه اليه فيسمى الجر خفضا والظرف صفة ويسمون حروف الجر حروف الصفات والعطف النسق ... ونحو هذا من التخليط (٤) .

(١) Howell . Vol I . P 16

(٢) ابو علي الفارسي ص ٥٤٥ وما بعدها

(٣) المصدر السابق

(٤) مراتب النحويين ص ١٠٤

فهو - كما ترى - يتكلم على الكوفيين ويطلق عليهم أهل بغداد .
وجاء في (سر الصناعة) : فأما قول من قال في قول تأبط شرا :
كأنما حششوا حصا قوادمه أو أم خشف بذئ شت وطباق
انه اراد : حششوا فأبدلوا من الثاء الوسطى حاء فردود عندنا وإنما ذهب الى
هذا الهمغداديون . . .
فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما الى اختها قال
وانما حشحت أصل رباعي وحشت أصل ثلاثي . . .
هذا هو الصواب وهو قول كافة أصحابنا على ان ابا بكر محمد بن السري قد
كان تابع الكوفيين وقال في هذا بقولهم (١) .
فهو - كما ترى - يطلق لفظ الهمغداديين على الكوفيين . ثم اختلف في عدد رجال
مدرسة بغداد كما رأينا في عهد ابن جني وأبي علي الفارسي معهم أو مع البصريين
وآخرين غيرهما .
هذا ملخص أغلب الآراء في مدرسة بغداد .
والذي اراه في هذا الشأن أنه لا يصح اطلاق اسم « مذهب » أو « مدرسة »
الا أن تكون هناك أسس مستقلة وآراء متميزة واضحة محددة وإلا فهو اما
مذهب بصري وأما كوفي أو نحوهما . وأرى ان المكان وحده لا يصح ان يسم
المدرسة باسم ما فتعد مدرسة نحوية مستقلة كما لا يصح ان يسم القائمين بها فلا
يصح - مثلا - عد المبرد الا من البصريين وثعلب الا من الكوفيين مع انهما سكنا في
بغداد . وهب أن نحويًا بصريًا سكن مدينة ما وبقي محتفظًا بأرائه البصرية فهل
يعد هذا الا بصريًا ؟
هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي ان ينظر الى هذا الامر من ثلاث
نواح ، حتى يمكن اطلاق اسم (مدرسة) عليه .

(١) سر الصناعة ١/ ١٩٧ - ١٩٨

آ - من حيث الأسس التي تتبعها في أصول البحث .

ب - من حيث المصطلحات .

ج - من حيث المسائل الخلافية .

فان استقلت في كل ذلك فهي مدرسة خاصة والافهي تبع وينظر الى النحوي من هذه الأمور كذلك ويمكن ان نصيف ناحية أخرى هي نظرتة الى نفسه - فأن بعد نفسه أفى البصريين مثلاً ام في غيرهم ؟

وبذلك يكون موقفنا - فيما ارى - اسلم في الترجيح واصدار الحكم والصفة . ولا يشترط في النحوي أن يقول بجميع آراء مذهبه فله أن يجتهد ضمن حدود هذا المذهب فيوافق رأي الكوفيين أو يفرد برأيه في طائفة من المسائل - كما هو معلوم - . وهذا الاجتهاد والمخالفة لا ينزع عنه صفته في انتمائه الى مدرسته .

ومن ذلك - مثلاً - ماوافق فيه أبو الحسن الاخفش الكوفيين وهو كما نعلم من نحاة البصرة المتقدمين :

١ - ذهب الكوفيون الى أن الظرف يرفع الاسم اذا تقدم عليه نحو : أمامك زيد . واليه ذهب أبو الحسن الاخفش في أحد قوليه (١) .

٢ - يجوز أن يقع الفعل الماضي حالاً عند الكوفيين وأبي الحسن الاخفش من البصريين . (٢)

٣ - يجوز أن تقع الواو العاطفة زائدة عند الكوفيين وأبي الحسن الاخفش . (٣)

٤ - يجوز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر عند الكوفيين وأبي الحسن الاخفش . (٤)

(١) الانصاف مسألة (٦)

(٢) الانصاف مسألة ٣٢

(٣) الانصاف مسألة ٦٤

(٤) الانصاف مسألة ٧٠

- ٥ - الباء والكاف في لولاي ولولالك في موضع رفع عند الكوفيين وأبي الحسن الأخفش . (١)
- ونحوه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد آخر من يعد في طبقات النحاة البصريين ومما وافق فيه الكوفيين :
- ١ - ارتفاع الاسم بالظرف اذا تقدم عليه . (٢)
 - ٢ - عدم جواز تقديم خبر ليس عليها . (٣)
 - ٣ - عامل النصب في المستثنى الا . (٤)
 - ٤ - جواز وقوع الواو العاطفة زائدة . (٥)
 - ٥ - استحسانه ان تأتي (كما) بمعنى كما فتعمل النصب . (٦)
 - ٦ - جواز تقديم التمييز اذا كان العامل فيه فعلا متصرفا نحو : عرقا تصيب زيدا (٧) .

ومما وافق فيه الكسائي شيخ نحاة الكوفة البصريين :

- ١ - نعم وبئس فعلا (٨) .
- ٢ - أفعل التعجب في (ماأفعله) فعل (٩) .

- (١) الانصاف مسألة ٩٧
- (٢) الانصاف مسألة ٦
- (٣) الانصاف مسألة ١٨
- (٤) الانصاف مسألة ٣٤
- (٥) الانصاف مسألة ٦٤
- (٦) الانصاف مسألة ٨١
- (٧) الانصاف مسألة ١٢٠
- (٨) الانصاف مسألة ١٤
- (٩) الانصاف مسألة ١٥

٣ - عدم جواز ترخيم ما كان على ثلاثة احرف (١) .

٤ - تقديم المنصوب في جواب الشرط نحو « ان تأتني زيدا اكرم » (٢) .
وذلك شأن اغلب النحاة .

وعلى هذا فأنا أرى انه لا يثبت وجود مدرسة بغدادية الا اذا ثبت أنها مدرسة مستقلة ذات أسس مستقلة وكيان خاص وآراء مستقلة ، وان نحاتها يتصفون بهذه الصفات أيضا وذلك لم يثبت عندي فيما بين يدي من المصادر وأما قول أبي الفتح في نحو: «ومن ذلك قول البغداديين» ونحو «تابع أبو بكر البغداديين» - كما سيأتي - فالذي أرجحه أنه يعني (الكوفيين) وهو ما صرح به فبعد ان ذكر قول البغداديين في مسألة (حثث وحث) وذكر ان ابا بكر تابعهم في قولهم ذكر في آخر النص ان اصحابه خالفوا هذا القول ولكن ابا بكر تابع الكوفيين في قولهم هذا (٣) .

وصرح به في مكان آخر ، فقد ذكر قول البغداديين ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو : زيد مررت به ، (٤) ثم ذكر في مكان آخر ان هذا قول الكوفيين (٥) وقد سبق ان ذكرنا ان ابا حاتم ذكر اهل بغداد وعنى بهم وبمصطلحاتهم الكوفيين (٦) .

وعلى هذا فحتى يمكن أن يعد نحوي بصرياً أو بغدادياً ينبغي دراسة آرائه النحوية في سائر مسائل الخلاف ثم يقرر بعد ذلك كونه بغدادياً أو بصرياً أو كوفياً

(١) الانصاف مسألة ٤٩

(٢) الانصاف مسألة ٨٦

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٧ ، ١٩٨ ،

(٤) الخصائص ١/ ١٩٩

(٥) الخصائص ١/ ١٦٦

(٦) مراتب النحويين ص ١٠٤

مع وجوب العلم بأن كون المخالفة اليسيرة لاتعد كما ذكرنا .

ولهذا لا أستطيع أن أتصور البتة ما ذهب اليه بعض الباحثين من أن ابن الانباري صاحب (الانصاف) - مثلاً - كان بغداديا (١) وهو الذي ألف كتابه المذكور آنفاً لتأييد البصريين ، ووافقهم في عامة المسائل النحوية الخلافية ، ولم يخالفهم الا في تسع مسائل من مجموع (١٢١) مسألة ولا أدري كيف يمكن أن يعد مثل هذا الرجل بغداديا وآراؤه البصرية واضحة بيّنة !

انه ينبغي أن يرسم المنهج أولاً وتوضع الأسس ثم تطلق الصفة ويصدر الحكم ، أما اطلاق اسم « المدرسة البغدادية » على جميع من نشأ بعد المبرد وتغلب بغض النظر عن دراسة واستخلاص آرائهم النحوية فهذا منهج لا أظنه لاجبا صحيحا بحال .

٣ - مذهبه النحوي :

هل كان أبو الفتح بغداديا ؟

نحن سنتبع الطرائق التي ذكرناها آنفاً للحكم على مذهب أبي الفتح النحوي.

سنبحث هذا الامر من أربع نواح

أ - أسس المدرسة البصرية ومدى التزام أبي الفتح بها .

ب - اصطلاحاته النحوية .

ج - أين يعد نفسه ؟

د - نماذج من دراساته في المسائل الخلافية .

وبذلك نتمكن من الحكم على مذهبه النحوي ووصفه بصفة صحيحة . وهو

(١) الدكتور محمد أسعد طلس - مجلة المجمع العلمي العربي - المجلد ٣١ ج ٤ / ٦٣١

من أمثل ما يذهب اليه في طريقة بحث مذهبه النحوي فيما أحسب .

آ - أسس المدرسة البصرية :

تكاد تجمع المصادر أن البصريين يختلفون عن الكوفيين في أصليين كبيرين :

١ - الأخذ عن الاعراب الفصحاء الموثوق بفصاحتهم .

٢ - القياس على الكثير الشائع من الفصيح .

جاء في (نشأة النحو) للاستاذ محمد الطنطاوي في تدوين قواعد البصريين

أنه يرى فيها ما يلي :

١ - سلامة من أخذوا عنه من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة وصورهم

فطرهم من تسرب الوهن فيها .

٢ - الثقة برواية ما سمعوه من طريق الحفظه والاثبات .

٣ - الكثرة الفياضة من هذا المسموع التي تخولهم القطع بنظائره (١) .

ويذكر أن الكسائي وهو ناشر المذهب الكوفي ما كاد يستقر ببغداد حتى

استمع الى الاعراب الذين فيها وحولها وهم أوشاب من مختلف القبائل غير العريقة

في العروبة ، ومنهم أعراب الحلبيات الذين قدموا ببغداد وضربوا خيامهم في قطربل :

(قرية من متنزعات بغداد اشتهرت باللهو والخمر) فاعتد بكلامهم واستشهد

به وهم من زعانف العرب الذين اختبل لسانهم ، فازداد مذهبه ضعفا على ضعف .

قال أبو زيد : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما وأخذ

عنهم نحوا كثيرا ثم سار الى بغداد فلقى اعراب الحلبيات فأخذ عنهم الفساد من

الخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله (٢) .

(١) نشأة النحو ص ٩٩-١٠٠

(٢) معجم الأدباء - ترجمة الكسائي واخبار النحويين البصريين ، ترجمة أبي

زيد ، نشأة النحو ص ١٠٩

وقد اقتنى الكوفيون طريق الكسائي فعولوا على شعر الاعراب بعد أن اختلطوا وتأشّبوا بالمتحضرين ولأن جفاؤهم ومن أجل هذا كان البصريون يغمزون الكوفيين فيقول الرياشي البصري : « نحن نأخذ اللغة عن حرّثة الضباب وأكلة البراييع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز » .
فأصاخوا - أي الكوفيون - الى كل مسموع لهم وقاسوا عليه فعثرت بهم مطية الرأي ولم يدققوا النظر تدقيق البصريين بل تدرجوا طاعة لمناذيرهم الى الاكتفاء بالشاهد الواحد ، ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين (١)

ويقول في مكان آخر « ان مذهب البصريين انما رجح لأنه نشأ على ملاحظة أمور ثلاثة لاراه الكوفيون :

- ١ - انهم يؤثرون السماع على القياس فلا يصيرون اليه الا اذا أعوزتهم الحاجة ،
- ٢ - أنهم احتاطوا في أقيستهم فلم يدونوها الا بعد توفر اسباب الاطمئنان عليها بخلاف الكوفيين الذين تفككوا من قيودهم ولذا يقول السيوطي « اتفقوا على أن البصريين أصبح قياساً لانهم لا يانفتنون الى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ » (٢) .
- ٣ - انهم لا يعولون على القياس النظري عند انعدام الشاهد الا فيما ندر جداً اما الكوفيون فطالما جنحوا اليه (٣)

وذكر الأستاذ المرحوم طه الراوي ان « اجلى ما يمتاز به مذهب البصرية ابتناء قواعده على الاغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه واذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور فزع الى التأويل والتوجيه أو رمي المسموع بالشذوذ أو التدوير بل التخطئة أحياناً

(١) نشأة النحو ص ١١٠

(٢) الاقتراح ص ١٠٠

(٣) نشأة النحو ص ١٣١

أما مذهب الكوفيين فاواؤه بيد السماع لا يخفى له ذمة ولا ينقض له عهدا ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله ونسف قاعدة من قواعده ولا يهون عليه اطراح المسموع على الأكثر» (١) .

وجاء في (القواعد النحوية) ان البصريين « يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر ولذا كانت أقيستهم وقواعدهم أقرب الى الصحة وكانوا يؤولون ماورد مخالفاً للقواعد ويحكمون بأنه شاذ أو مصنوع ...

أما الكوفيون فانهم « أسلس خطة في النهج العلمي ... فهم يعتمدون على الشعر المصنوع والمنسوب لغير قائله دون أن يهتموا بالتمحيص ويكتفون بالشاهد الواحد فيبنون عليه حكمهم ويستنبطون القاعدة بل انهم يرخصون القياس النظري على مقتضى الرأي اذا اعوزتهم الشواهد فيصلون الى القاعدة دون اعتماد على شاهد» (٢) ، وذكر الأستاذ الشاذلي ان من السمات العامة للمذهب البصري :

(١) انه يعتد بالكثرة .

(٢) ثم هو لا يقيس على الشاذ ولا يعتد بالقليل (٣) .

وذكر ان البصريين أصدروا أحكامهم على الأعم والأغلب واما ما عدا ذلك من المسائل فأما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم وأما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه بل يحكموا عليه بالشذوذ وهذه نزعة البصريين من قديم . أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية وان لم يرد غيرها في كلام العرب وقيسون عليها فاذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادراً في كلام جعلوه باباً ولو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه (٤)

(١) نظرات في اللغة والنحو ص ١١

(٢) القواعد النحوية لعبد الحميد حسن ص ٧٥

(٣) أبو علي الفارسي ص ١٠٦

(٤) الاقتراح ص ١٧ ، ٨٤ ، طبقات الزبيدي ٢ / ٢٨٤ ، المجمع ١ / ٤٥ ، ابو علي

الفارسي ص ٤٤٠

وقال في مكان آخر « ان كان من فرق بين البصريين والكوفيين فهو في ان البصريين كانوا يقيسون على الكثير الشائع أما الكوفيون فلا يرون بأساً من القياس على الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة ويجعلونه أصلاً » (١) .

وجاء في (الاقتراح) ان الاندلسي (*) قال في (شرح المفصل) « الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين (٢) . قيل وأول من سن لهم هذه الطريقة شيخهم الكسائي . قال ابن درستويه « كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله أصلاً - ولا يقيس عليه فأفسد النحو بذلك » (٣) .

وكان البصريون يأنفون أن يرووا عن الكوفيين لضعفهم وتعلقهم بالشاذ وارتفاعهم عن البوادي الفصيحة وكانوا لا يرون الاعراب الذين يحكون عنهم حجة في العربية لانهم غير خالص (٤)

ويذكر الدكتور محمد أسعد طلس ان البصريين يقولون انه قد يخرج عن القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولا يقاس عليه غيره ويقولون بحمل الأقل والأندر على الأعم الأكثر وهذا أدلى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر . . .

وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل الى التوسع وعدم التقيد وكان رجالها ينهاه تمدون على سعة روايتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لا يتقيدون بالقواعد النحوية

(١) ابو علي الفارسي ص ٢١٩

(٢) الاقتراح ص ٨٤

(*) لعل المقصود به علم الدين قاسم بن احمد اللورقي الانا لسي المتوفى سنة ٦٦١ فان له شرحاً على المفصل سماه (الموصّل) (كشف الظنون ص ١٧٧٥) .

(٣) تاريخ آداب العرب ١ / ٣٧٠

(٤) المصدر السابق ١ / ٤٣٢

ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الاسلوب العربي لمخالفته الاقيسة إنما هو صحيح (١) .

وجاء في (مدرسة الكوفة) ان الكسائي وسع دائرة مصادره حتى الحق بهم اهراب سواد بغداد وهم عند البصريين من غير اهل الفصاحة ومن لا يجوز الأخذ عنهم (٢) .

وقال الاستاذ محمد الخضر حسين : « والمعروف في علم النحو ان الكوفيين يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة ويعملون بالقياس عليها والبصريين يمتنعون من القياس على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحاً به نحواً خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق التأويل » (٣) .

وذكر الاستاذ ابراهيم أنيس ان البصريين اقتصروا « على جواز القياس على المشهور الشائع وأبوا القياس على القليل النادر في حين ان الكوفيين قد أجازوا القياس على الشاهد الواحد والشاهدين .

أما الكوفيون فقد توسعوا في القياس وأباحوا النسخ على القليل النادر فلا يكادون يرون في الاساليب المروية شذوذاً بل طرقاتاً متباينة لذا أن نتخذ منها ما نشاء وأن نترسم منها ما نشاء » (٤) .

وذكروا امثلة من القياس الكوفي فن ذلك :

١ - انهم استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر ولا يعلم قائله واتخذوه دليلاً على جواز دخول اللام في خبر لكن وهو :
* ولكنني من حبها لعميد *

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣١ ج ٣ / ٤٦٨

(٢) مدرسة الكوفة ص ١١٦

(٣) دراسات في العربية وتاريخها ص ٢٤

(٤) من اسرار اللغة ص ١٨ ، ٢٠

٢ - العدد على وزن مُفعال الى تسعة وهو غير مسموع .

٣ - تجويزهم تشنية أجمع وأكتم .

٤ - الجزم بكيف مطلقاً .

٥ - النصب بأن مضمرة في غير المسائل المعدودة .

٦ - عطف المفرد بلكن بعد الايجاب (١) .

فما موقف أبي الفتح من هذه الامس ؟

يتضح مما ذكرناه في رأيه في السماع والقياس أن أبا الفتح لا يلتقي مع الكوفيين في ذلك ، وإنما هو متفق الى أبعد الحدود مع البصريين ، فإنه لا يقبل المسموع المفرد الا بشروط سبق أن ذكرناها . ويقسم الاطراد والشدود الى أربعة أقسام :

١ - مطرد في القياس والاستعمال جميعاً .

٢ - مطرد في القياس شاذ في الاستعمال كالماضي من يذر ويدع ،

٣ - مطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم أخوص الرمث واستحوذ واستنوق .

٤ - شاذ في القياس والاستعمال جميعاً وهو كتنميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون (٢) .

ويرى ان الشيء اذا اطرء في الاستعمال وشذ عن القياس فلا بد من السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره (٣) .

(١) الاقتراح ص ٢٧ ، الجمع ٢٦/١ ، ١٧/٢ ، ٥٨/٢ ، ١٣٧/٢ وانظر نشأة النحو ص ١١١ وما بعدها .

(٢) الخصائص ٩٨/١

(٣) الخصائص ٩٩/١

ويرى أن الشيء قد يكثر ولا يجوز القياس عليه كقولهم في ثقيف ثقيفي وفي
قريش قريشي وفي سليم سليمي (١) .

ويرى أنه اذا تعارض السماع والقياس نطقت بالمسموع على ما جاء عليه
ولم نقسه في غيره وذلك نحو قول الله تعالى (استحوذ عليهم الشيطان) فهذا ليس
بقياس لكنه لا بد من قبوله ... ثم انك من بعد لا تقيس غيره عليه (٢) .

الى آخر ما ذكرناه في رأيه في السماع والقياس ولا داعي لاعادته هنا .
وهو يطبق هذا الرأي الذي سجله بصورة عملية ومن ذلك :

١ - ما جاء في (الخصائص) في قول الشاعر

* جادت بكفي كان من ارى البشر *

قال أى بكفي رجل أو انسان كان من ارى البشر وروى غير هذه
الرواية ، روى « بكفي كان من ارى البشر » بفتح ميم (من) أي بكفي من هو
أرى البشر و (كان) على هذا زائدة . ولو لم تكن فيه الا هذه الرواية لما جاز
القياس عليه لفروده وشذوذه عما عليه عقد هذا الموضع . الا تراك لا تقول: مررت
بوجهه حسن (٣) .

٢ - ما جاء في (التصريف الملوكي) في قول الشاعر

الأرب مولود وليس له اب وذي ولد لم يلدّه أبوان

قال اراد لم يلدّه فأسكن اللام لكسرتها والتقى ساكنان اللام والdal
فحركت الدال لالتقاء الساكنين وفتحت لمجاورتها فتحة الباء وهذا شاذ لا يقاس
عليه (٤)

(١) الخصائص ١/ ١١٦

(٢) الخصائص ١/ ١١٧

(٣) الخصائص ٢ / ٣٠٧

(٤) التصريف الملوكي ص ٤٧

٣ - ماجاء في (سر الصناعة) أنه لشدة اتصال الجار بالمجورور قبح عندهم حذف الجار وتبقية جره بحاله الا فيما شذ عنهم . ومن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم في القسم مع الخبر لا الاستفهام وذلك قولهم الله لأقومن وحكى أبو العباس المبرد ان روبة قيل له : كيف أصبحت ؟ فقال خير عافاك الله اي بخير فحذف الباء وأنشدوا قول الشاعر

رسم دار وقفت في طلبه كدت أقضي الغداة من جلله

أي رسم دار : فأما قولهم لا ها لله ذا . . فانها صارت عندهم عوضا من الواو ألا تراها لا تجتمع معها كما صارت همزة الاستفهام في الله انك لقائم عوضا من الواو وهذا كأنه اسهل من الأول وكلاهما لا يجوز القياس عليه (١) .

٤ - ماجاء في (الخصائص) أنه عقد بابا في (أغلاط العرب) وقد نسب الغلط اليهم افرادا وجماعات . فن الأول ما أنشده أحمد بن يحيى

غدا مالك يرمى نسائي كأنما نسائي لسهامي مالك غرضان
فيارب فارك لي جهينة أعصرأ فإلك موت بالقضاء دهاني

قال : هذا رجل مات نساؤه شيئا فشيئا فتظلم من ملك الموت عليه السلام . وحقيقة لفظه غلط وفساد . وذلك أن هذا الاعرابي لما سمعهم يقولون : ملك الموت وكثر ذلك في الكلام سبق اليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عندهم كأنه (فَعَل) لأن ملكا في اللفظ على صورة فلك فبنى منها فاعلا فقال : مالك موت وغدا مالك . فصار في لفظه كأنه فاعل ، وانما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل ما قل كما ان ملكا على التحقيق مفل واصله ملاك فالزمت همزته التخفيف فصار ملكا (٢) .

(١) سر الصناعة ١ / ١٤٩

(٢) الخصائص ٣ / ٢٧٣

ومع الثاني همزهم مصائب ومناثر ومزائد . . . ومن أغلاطهم قولهم
حلأت السوق ورثأت زوجي بأبيات واستأثمت الحجر ولبأت بالحج (١) .

فأين هذا ممن يأخذ النص الشاذ ويجعله أصلاً ويقيس عليه ؟

لقد اتضح اذن وضوحاً لا يقبل الشك أن أبا الفتح يعتمد الأسس البصرية
في بحثه .

ب - اصطلاحاته النحوية :

من المعلوم أن للبصريين اصطلاحات نحوية خاصة تتميز عن غيرها وتميزهم
عن غيرهم ، وخاصة الكوفيين ومن ذلك :

البصري	الكوفي
الذمت	الصفة
البدل	الترجمة
الظرف	الصفة أو المحل
حروف الجر	حروف الخفض
الجر	الخفض
المصروف وغير المصروف	المجرى وغير المجرى
المتعدى	الواقع
واو المعية	واو الصرف
ضمير الشأن	ضمير المجهول
العطف	النسق

(١) المصدر السابق

الضمير والمضمر	الكتابة والمكتنى
اسم الفاعل	الفعل الدائم
اسم الفعل	ليس له اصطلاح - انما هو فعل عندهم
التمييز بين علامات الاعراب والبناء	عدم التمييز بين علامات الاعراب والبناء (١)

ومر بنا قول أبي حاتم ان تلك مصطلحات أهل بغداد (٢) .

وأبو الفتح يستعمل اصطلاحات البصريين فيما يبحث كما يبدو في جميع كتبه . قال « اذا كان اسم الفاعل - على قوة تحمله للضمير - متى جرى على غير من هو له لم يحتمل الضمير . » (٣)

وجاء في (التمام) « ويجوز عندي ان يكون اياهم في موضع جر وان لفظه للضمير المنصوب . » (٤) فتراه هنا استعمل اصطلاحات الضمير والجر واسم الفاعل . ويقول في مكان آخر « فهذا يقوي حكم الأسماء المضمرة » وقال : « لسنا ندعي ان كل اسم مضمّر لا بد من أن يخلع عنه حكم الاسمية . » (٥) وجاء في (سر الصناعة) « فأما حذاق أصحابنا فلا يسمونها بذلك - يعني زوائد - بل

(١) الهمم ١ / ٥٦ ، ٦٨ ، الرضي على الكافية ج ٢ / ٣ ، الاشموني ٣ / ١٩٥ لأسماء الافعال والاصوات) ، نشأة النحو ص ١١٩ ، مدرسة الكوفة ص ٢٥٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠

(٢) مراتب النحويين ص ١٠١ - ١٠٢

(٣) الخصائص ١ / ١٨٦

(٤) التمام ص ٣٢

(٥) الخصائص ٢ / ٢٩١

يقولون في الباء واللام انهما حرفا الاضافة وفي الكاف حرف جر وحرف تشبيه (١)
وقال « ان الواو والا يفارقان حروف الجر في ذلك » وقال « أوصلاوا الأفعال
التي قبل حروف الجر الى الاسماء التي بعدها » (٢) .

وجاء في (الخصائص) « لما اعقب الاضمار من العطف على الضمير
المجزور » (٣) وجاء فيه « انه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه » (٤)
وجاء فيه - ومن ذلك واو العطف فيها معنيان العطف ومعنى الجمع (٥) .
وجاء فيه : - فان قلت فان البدل العامل عندك فيه (٦) .
وجاء فيه : - فان قلت فكيف يجوز لليس أن تعمل في الظرف وليس فيها
تقدير حدث (٧) .

وجاء فيه : - وعليه باب ما لا ينصرف ، ألا تراهم لما شبهوا الاسم بالفعل
فلم يصرفوه ، كذلك شبهوا الفعل بالاسم فأعربوه (٨) .

وجاء فيه في باب (المعلوم بعلمتين) قال : وهو باب ما لا ينصرف وذلك ان

(١) سر الصناعة ١ / ١٣٧

(٢) سر الصناعة ١ / ١٤٣

(٣) الخصائص ٢ / ١٩

(٤) الخصائص ٢ / ٢٠ وانظر ايضاً (شرح اللمع لابن جني) لسعيد بن الدهان

ص ٩ ، ١٠ ، ١٣

(٥) الخصائص ٢ / ١٩٦

(٦) الخصائص ٢ / ٤٢٧

(٧) الخصائص ٢ / ٤٠٠

(٨) الخصائص ١ / ٦٣

علة امتناعه من الضرف إنما هي لاجتماع شبهتين فيه من اشباه الفعل (١)
وجاء في (سر الصناعة) : ان ابا الحسن كان يذهب في المفعول معه الى ان
انتصابه انتصاب الظرف (٢) .

وجاء في (التمام) في قول الشاعر

وردنا الفضاض قبلنا شيئاً ثماندا
بأرعن بنفي الطير عن كل موقع

في وردنا بدل البعض « وقال » انما لا يجوز البدل من ضمير المتكلم اذا كان
بدل الكل (٣)

ويعقد في الخصائص باباً في تسمية الفعل قال فيه ان العرب قد سميت
الفعل بأسماء لما سنده ، وذلك على ضربين احدهما في الأسر والنهي والآخر
في الخبر .

الاول منهما نحو قولهم صه فهذا اسم اسكت ومه فهذا اكفف . « (٤)
وفي مكان آخر يقول « واما اتباع العلماء العرب في هذا النحو فكقول
سيبويه « ومن العرب من يقول لبّ فيجره كجر أمس وغاق « ألا ترى انه
ليس في واحد من الثلاثة جر إذ الجر اعراب لابناء وهذه كلها مبنية لا معربة
فاستعمل لفظ الجر على معنى الكسر كما يقولون في المنادى المفرد المضموم انه
مرفوع وكما يعبرون بالفتح عن النصب وبالنصب عن الفتح وبالجزم عن الوقف
وبالوقف عن الجزم » (٥) .

(١) الخصائص ١ / ١٧٧

(٢) سر الصناعة ١ / ١٤٤

(٣) التمام ص ٢٠

(٤) الخصائص ٣ / ٣٤

(٥) الخصائص ٢ / ٤٦٩

الى غير ذلك من مصطلحات البصريين التي يستعملها في كتبه .

ج - مع من يعد نفسه ؟

ان الناظر في كتب أبي الفتح لا شك واجد انه يعد نفسه من البصريين لا من البغداديين ولا من غيرهم ومن ذلك ما يلي :

١ - جاء في (الخصائص) « ولم يثبت أصحابنا « قنيت » وان كان البغداديون قد حكموها » (١) .

وأصحابه هنا هم البصريون فانهم هم الذين لم يثبتوا « قنيت » (٢) فهو كما ترى قد وضع نفسه بمعزل عن البغداديين .

وجاء فيه : « ومن ذلك قول البغداديين : ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به ، وأخوك أكرمه فارتفاعة عندهم انما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد . واسقاط هذا الدليل أن يقال لهم فنحن نقول زيد هل ضربته وأخوك متى كلمته ؟ ومعلوم أن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيها قبله » (٣) .

وقول البغداديين في هذه المسألة هو قول الكوفيين كما جاء في الانصاف (٤) وشرح والكافية (٥) وكما نسبه هو اليهم في موطن آخر (٦) .

(١) الخصائص ١ / ١٣٧

(٢) لسان العرب (قنا)

(٣) الخصائص ١ / ١٩٩

(٤) الانصاف مسألة ٥

(٥) الرضي على الكافية ١ / ٩٣

(٦) الخصائص ١ / ١٦٦

٣ - وجاء في لام (لعل) وكذلك اللام عندنا في (لعل) زائدة الا ترى أن العرب قد تحذفها قال :

* علّ صروف الدهر أو دولانها (١) *

والمقصود بـ « عندنا » نحاة البصرة فان اللام الاولى زائدة عندهم (٢) بخلاف الكوفيين الذين يعدونها أصلية .

٤ - وجاء فيه وليس كذلك اسم الفاعل والمفعول في افعلّ وأفعالّ اذا ضعف فيه حرفا علة بل ينفصل فيه اسم الفاعل والمفعول عندنا وذلك قول هذا رجل مرعوى وأمر مرعوى اليه وهذا رجل مغزاو وهذا وقت مغزاوى فيه لكنه على مذهب الكوفيين لافرق بينهما (٣) .

٥ - وجاء فيه : « وسمعت الشجري أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى في نحو (يعدو) و (هو محموم) ولم أسمعهما من غيره من عقيل فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته . وما أظن الشجري الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقى بالفتح اذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين نحو قول كثير :

له نعل لا تطّبي الكاب ربحها وان جعلت وسط المجالس شمت
وقول أبي النجم

وجبلا طال معداً فاشمخر أشم لا يستطيعه الناس الدهر
وهذا قد قاسه الكوفيون وان كنا نحن لانراه قياساً (٤) .

(١) الخصائص ١/٣١٦

(٢) الانصاف مسألة ٢٦ والكافية ٢/٤٠٠

(٣) الخصائص ٢/١٠٤

(٤) الخصائص ٢/٩

٦ - وجاء فيه « وتابع ابوبكر البغداديين في ان الحاء الثانية في حثحث بدل من ثاء وان أصله حثث ... وهذا وان كان عندنا غلطاً لابدال الحرف فانه شق آخر من القول » (١) .

ونسب هذا الرأي في مكان آخر الى الكوفيين قال « فأما قول من قال في قول تأبط شرا

كأنما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذي شث وطباق انه أراد : حثثوا فأبدلوا من الثاء الوسطى حاء فردود عندنا وانما ذهب الى هذا البغداديون ...

فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما الى اختها وانما حثحث أصل رباعي وحثث أصل ثلاثي ... هذا هو الصواب وهو قول كافة أصحابنا على أن أبا بكر محمد بن السري قد كان تابع الكوفيين وقال في هذا بقولهم » (٢) .

٧ - وجاء في (الخصائص) « ولهذا كان ما ذهب اليه أبو العباس من ان (الا) في الاستثناء هي الناصبة ... مردوداً عندنا » (٣) والقائلون بعمل الا في الاستثناء هم الكوفيون (٤) .

٨ - وجاء فيه « وانشد البغداديون : رَجُلان من ضبة أخبرانا انا رأينا رجلا عريانا » (٥) .

فيفرد نفسه عنهم .

(١) الخصائص ٥٤/٢

(٢) سر الصناعة ١٩٧/١ ، ١٩٨

(٣) الخصائص ٢٧٩/٢

(٤) الانصاف مسألة ٣٤

(٥) الخصائص ٣٣٨/٢

٩ - وجاء فيه : « وأصحابنا يميزون حذف خبر ان من المعرفة ويحكمون عنهم اذا قيل لهم ان الناس الب عليكم فمن لـكم ؟ قالوا ان زيدا وان عمرآ أي ان لنا زيدا وان لنا عمرآ والكوفيون يأبون حذف خبرها الا مع النكرة » (١) . وأصحابه هنا هم البصريون فهم الذين يميزون حذف خبر ان مع المعرفة .

١٠ - وجاء فيه : « ومن ذلك ما يدعيه الكوفيون من زيادة واو العطف نحو قول الله عز وجل (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها) قالوا الواو هنا زائدة مخرجة عن العطف والتقدير عندهم فيها حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها ، وزيادة الواو أمر لا يثبت البصريون لكنهم عندنا على حذف الجواب » (٢) .

وهو في غنى عن التعليق

١١ - وجاء فيه « ومن شاذ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق فيها فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة الا ان تكونا عينيْن نحو سـؤال وسـؤال وجآر فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين ضعيف عندنا وليس لـحنا » (٣) . فهو يميز نفسه عن الكوفيين لا عن الكسائي وحده (٤) .

١٢ - وجاء فيه وعلى نحوه انشاد الكوفيين :

* ألا يزجر الشيخ الغيور بنا تـه *

وانشادهم ايضا

فلما جلاها بالايام تحـيزت ثباتا عليها ذلـها واكتئابها

وأصحابنا لا يرون فتح هذه التاء في موضع نصب (٥) وأصحابه الذين

(١) الخصائص ٣٧٤/٢

(٢) الخصائص ٤٦٢/٢

(٣) الخصائص ١٤٣/٣

(٤) الاشموني ٢٩٩/٤

(٥) الخصائص ٣٠٤/٣

لا يجيزون ذلك هم البصريون أما الكوفيون فانهم يجيزونه (١) .

١٣ - وجاء في (سر الصناعة) « ومثلها تولج وهو (فوعل) من ولج
يلج كذا هو القياس في هذين الحرفين وأصله على قولنا ولج وتوارة . وتولج
عند البغداديين تفعل » (٢) .

فهو كما ترى ميز نفسه عن البغداديين .

١٤ - وجاء فيه « وقول البغداديين : اننا ننصب الجواب على الصرف كلام
فيه اجمال بعضه صحيح وبعضه فاسد . (يعني في نحو ما انت بصاحبي فاكرمك)
واما الصحيح فقولهم : الصرف اي ينصرف بالفعل الثاني عن معنى الاول
فأما انتصابه بالصرف فخطأ ولا بد له من ناصب مقتض له لأن المعاني لا تنصب
الأفعال ... وكما ان الاسماء لا تنصب الا بناصر لفظي فكذلك الأفعال لا تنصب
الا بناصر لفظي » (٣) وهو عنده أن المضمرة .

وهو رأي البصريين .

١٥ - وجاء في (المقتضب) : « وفي غالب ظني أن البغداديين حكوا نظيراً
لمهوب حرفاً أو حرفين أحدهما مسور به من السير .
وحكى البغداديون فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وحكوا أيضاً
ثوب مصوون » (٤) .

فأفرد نفسه عنهم :

١٦ - وجاء في (التصريف الملوكي) : « وحكى البغداديون فيمارويناه عن أحد
لمن يحبي سو أفعل يريدون سوف أفعل » (٥) .

(١) الاشموني ٩٣/١ ، الرضي على الكافية ٢١٠/٢

(٢) سر الصناعة ١ / ١٦٢ وانظر شرح المفصل ١٠ / ٣٨

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٧٦

(٤) المقتضب ص ٨

(٥) التصريف الملوكي ص ٤٥

١٧ - وجاء في (التمام) « مذهب سيبويه في (شاء) ان عينها واو ولا مهاباء ومذهب البغداديين ان عينها ولا مهاباء . وقد تفصيت هذا الامر في كتابي في تفسير تصريح أبي عثمان وغيره من كلامي » (١) .

وجاء في (المنصف) قوله « فالهاء في شاة للتأنيث والألف قبلها منقلبة عن الواو التي هي عين الفعل واللام محذوفة وهي هاء وسأدل على ذلك (٢) ... فهو يخالف البغداديين - كما ترى - .

١٨ - وجاء في (المنصف) : « وغيره من أصحابنا - وهو أبو العباس - يذهب الى تحريك العين من « دم » لانه مصدر « دميت دمي » مثل « هويت هوى ... » (٣) .

فالمقصود بأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ولا شك ان المبرد بصري وقد عده من أصحابه فهو يعد نفسه بصريا على هذا .

١٩ - وجاء في (التمام) :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب ياليت عدة حولي كله رجبا

يحكى الكوفيون (ليت زيدا قائما) على ان ليت هي الناصبة للاسمين جميعاً ، والامر عندنا نحن بخلاف ذلك بل هي عندنا على بابها من نصب الاسم ورفع الخبر » (٤) .

(١) التمام ص ١٤

(٢) المنصف ١٤٤/٢

(٣) المنصف ١٤٨/٢

(٤) التمام ص ١٦٨

ورأيه في هذا رأي البصريين (١)

٢٠ - وجاء في (التمام)

فلما دنت م الأرض حتى تقربت اليها وحق طبقت بالكلال
وقاموا اليها بالولايافشمرت بها قردات التي شم الكواهل

قال ولكن النظر في جواب (لما) اين هو ؟ فأما على مذهبنافانه على حذف
الجواب للعلم به . . . وأما على قول البغداديين فانه يجيء على زيادة الواو « (٢) .
٢١ - وجاء في (المبهج) « فقال لها أعييتني باشر فكيف بدردور هكذا
يرويه اصحابنا و يرويه الكوفيون فكيف بدردر (٣) .

٢٢ - وجاء في (المنصف) « قال ابو الفتح اختلف الناس أيضاً في
ميت وما كان نحوه فذهب اصحابنا الى انه « فيعل » مكسور العين كأنه ميموت . .
وأما البغداديون فذهبوا الى انه « فيهل » بفتح العين نقل الى « فيعل » بكسر ها « (٤) .
وهو يعني بقوله (اصحابنا) البصريين وهذا رأيهم كما جاء في (الانصاف) (٥) ،
٢٣ - وجاء فيه : « وأقول ان الهمزة في (العواء) فيمن جعله فعلاء منقلبة
عن الف التأنيث التي في عوى المقصورة لانها وقعت بعد الف المد فانقلبت بعدها
همزة . . . وهو مذهب سيبويه ولا اعرف لاحد من اصحابنا فيه خلافاً الا ابا الحسن
فانه كان يرى ان الهمزة هنا زائدة غير منقلبة » (٦) .

(١) الرضي على الكافية ٢ / ٣٨٤

(٢) التمام ص ٢٤٠

(٣) المبهج ص ٤٠

(٤) المنصف ٢ / ١٥

(٥) الانصاف مسألة ١١٥

(٦) المنصف ٢ / ١٦٠

وأبو الحسن هذا هو أبو الحسن الاخفش وهو بصري - كما نعلم - وقد عده من اصحابه .

٢٤ - وجاء فيه: « قال ابو الفتح: اما قوله « شَمْعٌ وَشَمْعٌ » فلغتان بلاخلاف واما مَمْزَ وشَعَرٌ ونحوهما مما ثابته حرف من حروف الحلق ففيه اختلاف .

فأما اصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثابته حرف غير حلقى ... واما الكوفيون فيفصلون فيسلمون ما جاء وليس ثابته حرفاً حلقياً كما سمع « (١) .

٢٥ - وجاء فيه « سَلَمَيْتِه : يقول سلماه : اذا القاه على قفاه وكذلك ايضاً: سلمه . قال الشاعر

حتى اذا قلنا تيفع مالك سلمت رقية مالكاً لقفائه

« القفا وهو مقصور وليس ذلك عندنا من الضرورة كما يقول البغداديون ولكن المد فيه لغة » (٢) .

٢٦ - وجاء في (سر الصناعة) « وقد تلا أبا الحسن - يعني الاخفش - في تعقب ما أورده سيبويه في كتابه جملة أصحابنا كأبي عمرو وأبي عثمان وأبي العباس وغيرهم (٣) .

وهؤلاء الذين عدهم كلهم بصريون .

٢٧ - وجاء في (المبهج) : ومن أبيات الكتاب

قد سالم الحياتُ منه القدماء الافة - وان الشجاع الشجاعا

كذا زويه نحن ، وروى البغداديون « قد سالم الحياتِ منه القدماء » (٤) . ونكتفي بهذا خشية الاطالة .

(١) المنصف ٢ / ٣٠٥

(٢) المنصف ٣ / ٨

(٣) سر الصناعة ١ / ٦٧

(٤) المبهج ص ٤٠

فأنت ترى من هذه النصوص بما لا يقبل الشك أن أبا الفتح يعد نفسه بصرياً لا كوفياً ولا بغدادياً وأنه وضع نفسه بمعزل عن الكوفيين والبغداديين ، وأنه يقول بآراء البصريين فيما يبحث وهو مما لا يدع مجالاً للشك في أنه بصري ومع ذلك سنخطو الخطوة الرابعة كما قررنا .

د - نماذج من دراساته في المسائل الخلافية :

ان ابا الفتح يقول برأي البصريين في ذوات الاغلبية العظمى من المسائل الخلافية . ونستطيع ان نعد مما ذكرناه آنفاً من النصوص من المسائل الخلافية التي قال فيها برأي البصريين كثيراً ومن ذلك

- ١ - اسم الفاعل وهو عند الكوفيين فعل دائم .
- ٢ - اسم الفعل وهو عند الكوفيين فعل .
- ٣ - عدم اثبات (قنيت)
- ٤ - زيادة اللام الاولى في « لعل »
- ٥ - في فتح الحرف الجلمي مثل هو (محموم)
- ٦ - اسم الفاعل والمفعول من افعلّ وافعالّ اذا ضعف فيه حرفا هلة
- ٧ - الحاء الثانية من حثحث
- ٨ - ناصب المستثنى - وقد خالف فيه الكوفيين
- ٩ - حذف خبر ان المعرفة
- ١٠ - زيادة واو العطف
- ١١ - تحقيق الهمزتين في الكامة الواحدة
- ١٢ - فتح تاء المؤنث السالم
- ١٣ - أصل « تولج » - خالف فيه البغداديين
- ١٤ - أصل (شاء) - خالف فيه البغداديين
- ١٥ - ليت ونصبها الجزئين

١٦- وزن (ميت) ونحوه

١٧- الهمزة في (عواء)

وغير ذلك مما هو مثبت مذکور آنفا . ومما لم اذكره

١٨- المصدر أصل والفعل فرع عليه : جاء في (الخصائص) : « وقد دعاهم ايثارهم لتشبيه الأشياء بعضها ببعض أن حملوا الاصل على الفرع الا تراهم يعلمون المصدر لاعتلال فعله ويصححونه لصحته وذلك نحو قمت قياما وقاومت قواما ، فاذا حملوا الاصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل فهل بقي في وضوح الدلالة على ايثارهم تشبيه الأشياء المتقاربة بعضها ببعض ؟ » (١) .

وجاء في المنصف وهذا نظير قولهم « لذت لياذا » فأعلوا المصدر لاعتلال « لذت » ويقولون « لاوذت لواذا » فيصححون المصدر لصحة الفعل ، وهذا لا يدل على ان المصدر مشتق من الفعل وان كان في الاعتلال محمولا عليه ، لانهم قد أعلوا « يقوم » لاعتلال قام ، وليس أحد يقول ان « يقوم » مشتق من « قام » (٢) .

وقال أيضا « قد احطنا علما بأن الفعل انما يشتق من الحدث لامن الجوهر الا ترى الى قوله (*) (وأما الفعل فامثلة أخذت من لفظ احداث الاسماء) فاذا كان كذلك وجب ان يكون استنوق مشتقا من المصدر » (٣) . وقال « واذا ثبت أمر المصدر الذي هو الاصل لم يتخالج شك في الفعل الذي هو الفرع » (٤) .

(١) الخصائص ١/١١٣

(٢) المنصف ١/٦٥

(*) يعني سيديويه

(٣) الخصائص ١/١١٩

(٤) الخصائص ١/١٢١

وهذا رأى البصريين (١) كما هو معلوم .

١٩- رفع المبتدأ جاء بالابتداء في (الخصائص) « الاول منهما كرفع المبتدأ فاننا نحن نعتل لرفعه بالابتداء ... والكوفيون يرفعونه اما بالجزء الثاني الذي هو مرافعه عندهم . وأما بما يعود عليه من ذكره على حسب موقعه » (٢) . وقال في مكان آخر : « وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعاق به كرفع المبتدأ بالابتداء » (٣) .

وهذا رأى البصريين (٤)

٢٠ - عدم تحمل الخبر الجامد للضمير جاء في (سر الصناعة) « فاذا قلت انت كزيد وجعلت الكاف اسماً فلا ضمير فيها كما انك اذا قلت : انت مثل زيد فلا ضمير في (مثل) كما لا ضمير في الأخ ولا الابن اذا قلت : انت اخو زيد وانت ابن زيد (٥) :

وهذا رأى البصريين (٦) :

٢١ - عدم تحمل اسم الفاعل للضمير اذا جرى على غير من هوله جاء في (الخصائص) : « ومن الاعتلال لهم بأفعالهم ان تقول اذا كان اسم الفاعل - على قوة تحمله للضمير - متى جرى على غير من هوله - صفة أو صلة أو حالا أو خبراً - لم يحمل الضمير كما يحتمله الفعل فما ظنك بالصفة المشبهة باسم الفاعل نحو قولك

(١) الانصاف - مسألة ٢٨ ، اسرار العربية ص ١٧١

(٢) الخصائص ١ / ١٦٦

(٣) الخصائص ١ / ١٠٩

(٤) الانصاف مسألة ٥ ، شرح ابن عقيل ١ / ١١٣ ، الاشموني ١ / ١٩٣ ، شرح

للكافية ١ / ٩٢ - ٩٣

(٥) سر الصناعة ١ / ٢٩٠

(٦) الانصاف مسألة ٧ ، الاشموني ١ / ١٩٧

زيد هند شديد عليها هو إذا أجريت (شديداً) خبراً عن (هند) . (١)
وهو رأي بصري (٢) .

٢٢ - تأخير الفاعل عن رافعه : جاء في (الخصائص) : « فانك تقول :
زيد ضرب عمرا والفاعل مضمر في نفسك لا وجود في لفظك . » (٣) وقال في
مكان آخر منه « وان الفاعل عندهم انما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت
ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم (٤) .

وجاء فيه « وكذلك قولنا زيد قام ربما ظن بعضهم ان زيدا هنا فاعل في
الصنعة كما انه فاعل في المعنى . » (٥) وقال « فكما لا يجوز تقديم الفاعل على
الفعل فكذلك لا يجوز تقديم المميز اذا كان هو الفاعل في المعنى » (٦) .
وهو رأي البصريين (٧) .

٢٣ - ناصب المفعول به : يرى ان ناصبه الفعل وحده لا الفاعل ولا الفعل
والفاعل معا كما ذهب اليه هشام (٨) .
وهو رأي بصري (٩) .

(١) الخصائص ١ / ١٨٦

(٢) الانصاف مسألة ٨ ، شرح ابن عقيل ١ / ١١٧ ، الاشموني ١ / ١٩٨ ، حاشية
الصبيان ١ / ١٩٨ ، الرضي على الكافية ١ / ١٠٣

(٣) الخصائص ١ / ١٠٣

(٤) الخصائص ١ / ١٨٥

(٥) الخصائص ١ / ٢٧٩

(٦) الخصائص ٢ / ٣٨٤

(٧) الاشموني ٢ / ٤٥-٤٦ ، حاشية الصبيان ٢ / ٤٥ ، شرح ابن عقيل ١ / ٢٦٦

(٨) الخصائص ١ / ١٠٣ - ١٠٤

(٩) الانصاف مسألة ١١ ، الرضي على الكافية ١ / ١٣٧

٢٤ - النصب بأن مضمرة بعد واو المعية ، (١) وهو رأي البصريين (٢)
٢٥ - النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية جاء في (سر الصناعة) : - واعلم
ن الفعل بعد هذه الفاء اذا كانت جواباً منتصب بأن مضمرة وإنما اضممرت (ان)
ههنا ونصب بها الفعل من قبل انهم تخيلوا في أول الكلام معنى المصدر ، فاذا قال :
زرني فأزورك فكأنه قد قال : لتكن منك زيارة فزيارة مني (٣) .
وهو رأي البصريين (٤) .

٢٦ - النصب بأن مضمرة بعد حتى قال في (الخصائص) فمن ذلك قول
سبويه في بعض الفاظه : حتى الناصبة للفعل يعني في نحو قولنا اتق الله حتى
يدخلك الجنة . فاذا سمع هذا من يضعف نظره اعتمدها في جملة الحروف الناصبة
للفعل وإنما النصب بعدها بأن مضمرة (٥) .
وهو رأي البصريين (٦) .

٢٧ - « أفعل » التعجب فعل جاء في (المنصف) قال أبو الفتح إنما
أشبه فعل التعجب الاسماء لانه لا يتصرف كما ان الاسماء كذلك . فلذلك صح
ف قيل : « ما أقومه » وأنت لا تقول « أقوم زيد عمرأ » في معنى أقامه . ومن هنا
لحقه التحقير كما يلحق الاسماء في قولهم « ما أميلحه » (٧) .

(١) الخصائص ٢٦٣/١ ، سر الصناعة ٢٧٤/١ وما بعدها وانظر الرقم ٣١ ،

شرح اللمع ٦٩

(٢) الانصاف مسألة ٧٥ ، الاثموني ٣٠٨/٣ ، الرضي على الكافية ٢٦٦/٢

(٣) سر الصناعة ٢٧٣/١

(٤) الانصاف مسألة ٧٦ ، الاثموني ٣٠٥/٣ ، شرح الكافية ٢٦٦/٢

(٥) الخصائص ٢٦٠/٣ ، انظر شرح اللمع ص ٦٩-٧٧

(٦) الاثموني ٢٩٦/٣ ، ٢٩٨ ، الانصاف مسألة ٨٣ ، شرح الكافية ٢٦٦/٢

(٧) المنصف ٣١٦/١ ، شرح اللمع ص ٩٣

وهذا رأي البصريين (١) .

٢٨ - التعجب من السواد والبياض : جاء في (الخصائص) « فأما قولهم :
ما أشد سواده وبياضه وعوره وحوله فما لا بد منه » (٢) .

وهو رأي البصريين (٣) .

٢٩ - « اسم » من سموت : جاء في (التصريف الملوكي) في باب حذف
الواو : « ومنه اسم لأنه من سموت » (٤) .

وهو رأي البصريين (٥) .

٣٠ - عمل (ما) الحجازية : جاء في (الخصائص) : « اللغة التميمية في
(ما) هي أقوى قياساً وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً » . ثم ذكر أنها غير
مختصة كهل ثم قال « الا انك اذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه ان تحمله
على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية الا ترى القرآن بها نزل ؟ » (٦) أما
الكوفيون فلا يعدونها عاملة ، ورأيه رأي البصريين (٧) .

٣١ - الجر بعد واو رب : جاء في (الخصائص) : « وكذلك الواو التي
تحدف معها (رب) في أكثر الامر نحو قوله :
* وقاتم الاعماق خاوي المخترق *

(١) الانصاف مسألة ١٥ ، أسرار العربية ١١٣ ، ١١٤ ، شرح الاشموني ١٨/٣ ،

شرح الكافية ٣٤٢/٢

(٢) الخصائص ٢٦٩/١

(٣) الانصاف مسألة ١٦ ، شرح المفصل ١٤٦/٧

(٤) التصريف الملوكي ص ٤١

(٥) الانصاف مسألة ١ ، أسرار العربية ص ٤ ، شرح المفصل ٢٣/١

(٦) الخصائص ١٢٤-١٢٥

(٧) الانصاف ٩٧/١ مسألة ١٩ ، حاشية الصبان ٢٤٧/١ ، شرح الكافية ٢٩٣/١

غير ان الجر لرب لا للواو كما ان النصب في الفعل انما هو له « أن » المضمره
لا للفاء ولا للواو ولا لأو « (١) .

وهذا رأي البصريين (٢) .

٣٢ - ميم (اللهم) : جاء في (الخصائص) : « وتقول في ميم (اللهم) انها
عوض من (يا) في أوله ، (٣) .

وهو رأي البصريين (٤) .

٣٣ - الخبر في نحو « كل رجل وصنعتة » جاء في (الخصائص) : « ومن
ذلك قولهم في قول العرب : كل رجل وصنعتة ، وأنت وشأنك : معناه أنت مع
شأنك ... والخبر محذوف للحمل على المعنى فكأنه قال : كل رجل وصنعتة مقرونان
وأنت وشأنك مصطحبان » (٥) .

وهو رأي البصريين (٦) .

٣٤ - تقدم جواب الشرط : جاء في (الخصائص) : « ومن ذلك قولهم
أنت ظالم ان فعلت ألا تراهم يقولون في معناه ان فعالت فأنت ظالم ، فهذا ربما
أوهم ان (أنت ظالم) جواب مقدم ومعاذ الله أن يقدّم جواب الشرط عليه ،
وانما قوله (أنت ظالم) دال على الجواب وساد مسده ، فأما أن يكون هو الجواب
فلا » (٧) .

(١) الخصائص ٢٦٣/١

(٢) الانصاف مسألة ٥٥ ، الاثموني ٢٣٣/٢ ، مغني اللبيب - الواو ٣٦١/٢

(٣) الخصائص ٢٦٥/١ ، شرح اللمع ص ٤١

(٤) الانصاف مسألة ٤٧ ، الاثموني ١٤٦/٣-١٤٧

(٥) الخصائص ٢٨٣/١

(٦) الاثموني ٢١٧/١ ، شرح الكافية ١١٥/١

(٧) الخصائص ٢٨٣/١

وهو رأي البصريين (١) .

٣٥ - العطف على الضمير المجرور : جاء في (الخصائص) : « وعلى نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة وهي قوله سبحانه « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه أبو العباس (٢) بل الامر فيها دون ذلك وأقرب وأخف والطف . وذلك ان لحمزة ان يقول لأبي العباس : انني لم أحمل (الارحام) على العطف على المجرور المضممر بل اعتقدت ان تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : (وبالارحام) ثم حذفت الباء لئلا يذم ذكرها « (٣) ورأيه في منع العطف على الضمير المجرور رأي البصريين (٤) .

٣٦ - لام الابتداء : جاء في (الخصائص) « ومن ذلك قولهم : ان زيدا لقائم فهذه لام الابتداء وموضعها أول الجملة وصدرها لا آخرها وعجزها « (٥) . وهو مصطلح بصري لم يعرفه الكوفيون وإنما عندهم لام القسم (٦) .

٣٧ - ترجيح اعمال الثاني من المتنازعين : جاء في (الخصائص) في قوله

قد جربوه فما زادت تجاربهم
ابا قدامة الا المجد والفتحا

قال « وقد يجوز ان يكون (ابا قدامة) منصوباً زادت . . . والوجه ان

(١) الاشموني ١٥/٤ ، شرح الكافية ٢٨٥/٢

(٢) يعني المبرد - انظر الكامل ١٥٥/٦ ، شرح المفصل ٧٨/٣ - حاشية

الخصائص ٢٨٥/١

(٣) الخصائص ٢٨٥/١

(٤) الانصاف مسألة ٦٥ ، الاشموني ١١٤/٣

(٥) الخصائص ٣١٤/١

(٦) الانصاف مسألة ٥٨ ، مدرسة الكوفة ص ٣٠٧

ينصب بـ (تجاربهم) لانه العامل الأقرب « (١) وقال « ففي هذا تقوية لاعمال الثاني من الفعلين لانه هو الأقرب اليك دون الأبعد عنك . فأعرف هذا (٢) » وهو رأي البصريين (٣) .

٣٨ - حذف الفعل بعد اذا الشرطية في الجمل المفسرة : جاء في (الخصائص):
« وكذلك (اذا السماء انشقت) . . . ونحوه الفعل فيه مضمرو وحده أي اذا انشقت السماء » (٤) .

وهو رأي البصريين (٥) .

٣٩ - الاستثناء يضارع البدل جاء في (الخصائص) : « ولا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له . لو قلت : الا زيدا قام القوم لم يجوز لمضارعة الاستثناء البدل ، الا تراك تقول ما قام احد الا زيدا والا زيد والمعنى واحد (٦) .
وهو رأي بصري (٧) .

٤٠ - تقديم خبر ليس عليها : جاء في (الخصائص) « وما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ نحو : قائم اخوك وفي الدار صاحبك . وكذلك خبر كان واخواتها على اسمائها وعليها انفسها وكذلك خبر ليس نحو : زيدا ليس

(١) الخصائص ٢ / ٢٠٩

(٢) الخصائص ٢ / ٣٤٤

(٣) الاثنوني ٢ / ١٠١ ، ١٠٢ ، شرح ابن عقيل - باب التنازع ، شرح قطر

الندي وبل الصدى ص ١٩٩ ، الانصاف مسألة ١٣

(٤) الخصائص ٢ / ٣٨٠

(٥) الانصاف مسألة ٨٥

(٦) الخصائص ٢ / ٣٨٢

(٧) الانصاف مسألة ٣٦

أخوك ومنطلقين ليس أخواك (١) .

وهذا رأي البصريين (٢) .

٤١ - تقدم الحال على عاملها : جاء في (الخصائص) « فان قلت فقد تقدم الحال على العامل فيها وان كانت الحال هي صاحبة الحال في المعنى نحو قولك راكباً جئت و (خشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث) .

قيل : الفرق ان الحال لم تكن في الأصل هي الفاعلة كما كان المميز كذلك » (٣) . وهو رأي البصريين (٤)

٤٢ - خبر الأفعال الناقصة : جاء في (التمام) في قول الشاعر :

ولو انهم قالوا لقد كنت مرة عرفت ولم انكر جواب المجاب

قال : اراد كنت تحبهن فكيف تنهانا ، اذا استضعف من جهة السماع ومن طريق القياس جميعاً حذف خبر (كان) وقلما مر بي منه ووجه ضعفه من قبل القياس ان خبر (كان) انما لزمها ليفاد منه الحدث المخترم منها » (٥) .
واطلاق اسم « الخبر » على المنصوب بكان مذهب البصريين اما الكوفيون فيعدونه حالاً (٦) .

٤٣ - نعم وبئس فعلان : جاء في (المنصف) : « الا ترى ان أصل الأفعال ان تنصرف وقد منعوا نعم وبئس وحبذا وفعل التعجب تنصرف لما ارادوا من

(١) الخصائص ٢ / ٣٨٢

(٢) الانصاف مسألة ١٨ ، الاثني ١ / ٢٣٤

(٣) الخصائص ٢ / ٣٨٤

(٤) الانصاف مسألة ٣١ ، همع الموامع ١ / ٢٤١ - ٢٤٢

(٥) التمام ص ١٧١

(٦) الانصاف مسألة ١١٩ ، حاشية الصبان ١ / ٢٢٦

شدة التوكيد في المعنى الذي أموه والنحو الذي قصدوه (١) .

وهو رأي البصريين فيها وهما عند الكوفيين اسمان (٢) .

٤٤ - (أن) هو الضمير في (أنت) : جاء في (الخصائص) : « وكذلك ايضا في (انت) قد جردت الاسم وهو (أن) من معنى الحرفية وأخلصت التاء البقة بعده للخطاب » (٣) .

وهذا مذهب البصريين (٤) .

٤٥ - المنادى المفرد المعرفة مبني : جاء في (الخصائص) « والمنادى المفرد المعرفة في الحاقه في البناء بالمضمر كالثلاثي في منع بعضه التصرف واهماله البتة (٥) وقال في مكان آخر منه : « ألا ترى ان المنادى المفرد المعرفة قد كان اصله ان يعرب فلما دخله شبه الحرف لوقوعه موقع المضمر بني ولم يمنع من بنائه جريه معربا قبل حال البناء (٦) .

وهذا رأي البصريين (٧) .

٤٦ - اسم لا النافية للجنس مبني : جاء في (الخصائص) « من ذلك قولهم لارجل عندك ولا غلام لك ، ف (لا) هذه ناصبة اسمها وهو مفتوح الا ان الفتحة فيه ليست فتحة النصب التي تتقاضاها (لا) انما هذه فتحة بناء وقعت موقع فتحة

(١) المنصف ١ / ٢٤١ ، شرح اللمع ص ١٠٠

(٢) الانصاف مسألة ١٤ ، الاثني ٣ / ٢٦

(٣) الخصائص ٢ / ١٩١ وما بعدها

(٤) الاثني ١ / ١١٤ ، الكافية ٢ / ١٠ - ١١

(٥) الخصائص ١ / ٦٣

(٦) الخصائص ١ / ١٦٩

(٧) الانصاف مسألة ٤٥

الاهراب الذي هو عمل (لا) في المضاف « (١) .

وهو رأي البصريين (٢) .

٤٧ - بناء فعل الامر جاء في (الخصائص) « الأفعال لاتبنى لمشايتها
الحروف اما الماضي فلأن فيه من البناء ما يكفيه وكذلك فعل الامر العاري من
حرف المضارعة نحو افعل » (٣)

وهذا رأي البصريين (٤) .

٤٨ - وزن (خطايا) ذهب أبو الفتح الى أن وزنها (فعائل) وذكر
خطوات ذلك حتى صارت (خطايا) فذكر ان لها ست مراتب وهي : خطائي ثم
خطائي ثم خطائي ثم خطاء ثم خطاء ثم خطايا (٥) .

وهذا رأي البصريين (٦) .

٤٩ - ان المخففة واللام الفارقة : جاء في (المنصف) : « وان وجدنا اكثرهم
لفاسقين » معناه : انا وجدنا اكثرهم فاسقين فلما خففت ان جاءت اللام في الخبر
لثلاث تشبه التي في قوله تعالى « ان الكافرون الا في غرور » (٧) .

وتخفيف ان ودخول اللام بعدها للتفريق بينها وبين ان النافية هو رأي

البصريين (٨) .

(١) الخصائص ٥٦/٣

(٢) الانصاف مسألة ٥٣

(٣) الخصائص ٨٣/٣ ، شرح اللع ص ٥٨

(٤) الانصاف مسألة ٧٢ ، الاشموني ٥٨/١

(٥) الخصائص ٥/٣

(٦) الانصاف مسألة ١١٦

(٧) المنصف ج ٨/٣

(٨) الانصاف مسألة ٩٠ ، المهم ١٤٢/١

٥٠ - تقديم الصلة الجار والمجرور على الموصول : جاء في (المنصف) في قول الشاعر :

كان جزائي بالعصا ان اجلدا

قال : « فأما ما أنشده من قوله

كان جزائي بالعصا ان اجلدا

ففيه نظر . وذلك ان معناه : كان جزائي ان اجلد بالعصا . فان قدمه على هذا التقدير فخطأ لان الباء في صلة ان ومحال تقديم شيء من الصلة على الموصول . ولكنه جعل الباء تبيناً « (١) .

ومنع تقديم هذا النوع من الصلة هو رأي البصريين (٢) .

٥١ - مفعولا (ظن) : جاء في (الخصائص) « وقد حذف أحد مفعولي ظننت وذلك نحو قولهم أزيدا ظننته منطلقا ؟ فلما أضمرت الفعل فسرته بقولك : ظننته وحذفت المفعول الثاني من الفعل الاول المقدر اكتفاء بالمفعول الثاني الظاهر في الفعل الآخر وكذلك بقية أخوات ظننت (٣) .

وكون ظن تنصب مفعولين هو رأي البصريين (٤) .

٥٢ - تقديم التمييز اذا كان عامله فعلا متصرفا : جاء في (الخصائص) : « ومما يقبح تقديمه الاسم المميز وان كان الناصبه فعلا متصرفا فلا تجيز شحما تفقات ولا عرفاً نصيب .

فأما ما أنشده أبو عثمان

أنهجر ليلى للفراق حبيبها وما كان نفسا بالفراق يطيب

(١) المنصف ١/١٣٠

(٢) همع الهوامع ١/٨٨

(٣) الخصائص ٢/٣٧٤

(٤) الانصاف مسألة ١١٩ ، همع الهوامع ١/١٥١

فتقابله برواية الزجاجي واسماعيل بن نصر وأبي اسحاق أيضا :

* وما كان نفسي بالفراق تطيب *

فرواية برواية (١) .

وهو رأي البصريين . (٢)

٥٣ - ناصب الاسم المشغول عنه : جاء في (الخصائص) حذف الفعل

على ضربين :

احدهما أن تحذفه والفاعل فيه ... وذلك نحو زيدا ضربته لأنك أردت ضربت

زيدا فلما أضمرت (ضربت) فسرته بقولك ضربته (٣) .

وهو رأي البصريين (٤) .

٥٤ - عامل النصب في المفعول معه : جاء في (سر الصناعة) : وعلى ان ابا

الحسن - يعني الاخفش - قد كان يذهب في المفعول معه الى ان انتصابه انتصاب

الظرف . . فكأن الواو الآن على مذهب ابي الحسن ليست موصلة لقمت الى زيد

كما يقول كافة أصحابنا، وانما هي مصلحة لزيد ان ينتصب بتوسطها انتصاب

الظرف (٥) .

ونصب المفعول معه بالفعل بتوسط الواو هو رأي البصريين (٦) .

٥٥ - الضمير في (اباك) واخواتها : جاء في (سر الصناعة) فكما ان

(١) الخصائص ٣٨٤/٢

(٢) الانصاف مسألة ١٢٠

(٣) الخصائص ٣٨٤/٢

(٤) الانصاف مسألة ١٢

(٥) سر الصناعة ١٤٤/١ - ١٤٥

(٦) الانصاف مسألة ٣٠

ماقبل التاء في أنت هو الاسم والتاء حرف خطاب فكذلك (ايا) هو الاسم والكاف بعدها حرف خطاب (١) .

وهو رأي البصريين (٢) .

ونكتفي بهذا القدر خشية الاملال .

فأية شبهة وأي شك أو ريب في بصريته بعد هذه الأدلة المتضافرة على قوله بها !

الذي أراه انك توافقني على اننا نخرج من هذه الادلة بنتيجة واحدة هي أنه بصري المذهب حسب ، لا بغدادي ولا كوفي ، الا اذا قلنا ان المذهب البغدادي هو المذهب البصري بمصطلحاته وأساسه ومسائله . ومع ذلك فالنصوص لاتسعفنا اذ هو لم يعد نفسه من البغداديين ولا من الكوفيين بل جعل نفسه بمعزل عنهم وارتضى لنفسه أن يكون من البصريين .

(١) سر الصناعة ٣١٣/١

(٢) الانصاف مسألة ٩٨

الباب الثامن

مناذج من لسان النحوية

هذه نماذج من دراسات أبي الفتح النحوية تتناول مسائل مختلفة .
الكلام : جاء في (الخصائص) : اما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه . وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو : زيد اخوك وقام محمد وضرب سعيد وفي الدار أبوك وصه ومه ورويد وحاء وعاء في الأصوات وحسّ ولبّ واف وأوه فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام (١) .

وهو في تعريفه لـ « الكلام » موافق للنحاة المتأخرين عنه في تعريفهم له . جاء في (اسرار العربية) : اما الكلام فلا ينطلق الا على المفيد خاصة (٢) . وفي (المفصل) : الكلام هو المركب من كلمتين اسندت احدهما الى الأخرى (٣) وفي (شرح الاشموني) : كلامنا أيها النحاة لفظ ... مفيد فائدة يحسن السكوت عليها (٤) .
فليس من خلاف في المدلول النحوي لهذا الاصطلاح .

القول جاء في (الخصائص) : أما القول فأصله انه كل لفظ مندل به اللسان تاما كان أو ناقصا . فالتمام هو المفيد ، أعني الجملة وما كان في معناها من نحو صه

(١) الخصائص ١٧/١

(٢) اسرار العربية ص ٣

(٣) شرح المفصل ١٨/١ - ٢٠

(٤) شرح الاشموني ٢٠/١

وايه والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ، ومجد ، وان ... فكل كلام قول وليس كل قول كلاما» (١) .

وفي شرح (قطر الندى) : « المراد بالقول اللفظ الدال على معنى كرجل وفرس » (٢) . وفي (شرح المفصل) « أما القول فهو من معنى الاسراع والخفة ولذلك قيل لكل ما مذل به اللسان وأسرع اليه تاما كان أو ناقصا قول » (٣) .

ومن الظاهر ان هذا التعريف انما عماده تعريف أبي الفتح السابق له . وليس من خلاف في مدلول هذا المصطلح النحوي كذلك .

النحو : جاء في (الخصائص) « هو انتحاء سميت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيب والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم ، وان شذ بعضهم عنها رد به اليها » (٤) .

والملاحظ ان النحو بهذا المعنى شامل عام لا يشمل النحو الاصطلاحي عند المتأخرين بل هو أوسع منه بكثير . فهو يقرر انه السير وفق لغة العرب في سائر أحوالها من اعراب وغيره ، وكلمة (غيره) عامة تشمل كل ما عدا الاعراب من صرف ولغة وبلاغة وسائر علوم اللغة الاخرى . ويضرب لذلك أمثلة بالتثنية والجمع والتحقيب والتكسير والاضافة وغيرها ، ومعلوم ان هذه ليست بمحورثا نحوية بالمعنى الاصطلاحي للنحو - كما استقر مؤخرا - .

ومع ذلك فهو يذكر في (المنصف) أن خلافا بين النحو والتصريف واللغة

(١) الخصائص ١٧/١

(٢) شرح قطر الندى ص ١١

(٣) شرح المفصل ٢١/١

(٤) الخصائص ٣٤/١

ويذكر أن التصريف وسـبـطة بين النحو واللغة (١) . ويذكر غاية التصريف وموضوعه وغاية النحو وموضوعه كما هو عند المتأخرين : قال « فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ، ألا ترى أنك إذا قلت قام بكبره ورأيت بكراً ومررت ببكره فانك إنما خالفت بين حركات حروف الاعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة » (٢) ؟

فنلاحظ من هذا أنه في التعريف الاول عمم وأطلق النحو على « علم العربية » وفي الثاني خصص فأطلقه على معرفة أحوال الكلم المتنقلة .

جاء في (شرح الاشموني) « النحو في الاصطلاح هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة الى معرفة أحكام أجزائه التي اختلف منها قاله صاحب القرب » (٣) . وعلق عليه بقوله : « فـعلم ان المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا علم العربية لا قسم الصرف » . وفي (حاشية الصبان) أن هذا اصطلاح القدماء واصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الاعراب والبناء وجعله قسم الصرف وعليه فيعرف بأنه علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم اعراباً وبناء وموضوعه الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الاعراب والبناء (٤) .

وفي (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) انه يطلق على ما يعم الصرف تارة وعلى ما يقابله أخرى ويعرف على الاول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال أفرادها وحال تركيبها وما يتبعها من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر ان وفتحها أو نحو ذلك وعلى الثاني يخص بأحوال التركيب (٥) .

(١) المنصف ١/٤

(٢) المصدر السابق

(٣) شرح الاشموني ١/١٥ ، الاقتراح ص ٦

(٤) حاشية الصبان ١/١٦

(٥) حاشية الخضري ص ١٠

وقال صاحب البديع : النحو صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح ويفسد في التأليف ليعرف الصحيح من الفاسد (١) .

وقال ابن السراج في الاصول : النحو علم استخراج المتقدمون من استقراء كلام العرب (٢) .

وهو تعريف عام أيضا لا يقصد به النحو الاصطلاحي كما هو عند المتأخرين . وفي كتاب (الحدود) للفاكهـي : انه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم اعرابا وبناء (٣) .

فأبو الفتح مع انه عرفه تعريفا عاما وأطلقه على علم (العربية) بمحدد مرة ثانية له غايته ويعين موضوعه ويميزه عن علوم اللغة الاخرى كما فعل المتأخرون .

الاعراب وذكر الاعراب فقال « هو الابانة عن المعاني بالالفاظ الا ترى انك اذا سمعت اكرم سعيد اباه وشكر سعيداً أبوه علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا واحداً لاستبهم احدهما من صاحبه » (٤) ؟ ويرى ان الاعراب انما جيء به دالا على اختلاف المعاني قال « ألا ترى ان موضوع الاعراب على مخالفة بعضه بعضاً من حيث كان انما جيء به دالا على اختلاف المعاني » (٥) ؟ فهو يحدد الغاية من الاعراب والغرض الذي جيء به من اجله . ويذكر معناه اللغوي فيقول : « واما لفظه فانه مصدر أعربت عن الشيء اذا أوضحت عنه وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له وموضح عنه » (٦) .

(١) الاقتراح ص ٦

(٢) المصدر السابق

(٣) احياء النحو ص ١

(٤) الخصائص ٣٥/١

(٥) الخصائص ١٧٥/١

(٦) الخصائص ٣٦/١

ونحن نلاحظ ان تعريفه للاعراب ينطبق كذلك على تفسير الكلمات الصعبة
بالفاظ تبين وتوضح معانيها ، كما ينطبق على كل لفظ يوضح معنى في النفس . فاذا
أردت من شخص أن يقوم فقلت له قم ، فهذا اعراب أو قلت له صه فهذا
اعراب فكل لفظ تنطق به توضح به معنى في نفسك اعراب ، ومعلوم أن هذا ليس
حد الاعراب النحوي . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى قد تكون الابانة عن
المعاني بالحركات أو بالسكون أو بالحذف أو بالحرف أو التنوين أو حذفه فالحذف
غير جامع ولا مانع :

وفي (اسرار العربية) ان حد الاعراب (اختلاف أو اخر الكلم باختلاف
العوامل لفظاً أو تقديرأ) (١) وفي (التسهيل) انه ما جيء به لبيان مقتضى العامل من
حركة أو حرف أو سكون أو حذف (٢) وفي (شرح قطر الندى) ان المعرب
هو ما يتغير آخره بسبب العوامل الداخلة عليه (٣) .

ويمكن القول بان أبا الفتح لم يقصد الى حده النحوي بصورة دقيقة وإنما قصد
الى اعطاء معناه العام وعقد الصلة بين النسب اللغوي لهذه الكلمة وما اطلقت عليه
في النحو .

وما ذكره في غاية الاعراب والغرض الذي جيء به من أجله وهو انه انما
جيء به دالا على اختلاف المعاني هو الرأي السليم والذي عليه ذوو الغالبية العظمى
من النحاة ، ولم يذكروا له مخالفاً الا أبا علي قطربا فانه عاب عليهم هذا الاعتلال
وقال : لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني ، وانما أعربت العرب كلامها لأن الاسم
في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون ايضاً لكان
يلزمه الاسكان في الوقف والوصل ، فكانوا يبطئون عند الادراج فلما وصلوا

(١) اسرار العربية ص ١٩

(٢) شرح الأشموني ٤٧/١

(٣) شرح قطر الندى ص ١٣

وأمكنهم التحريك جعلنا التحريك معاقباً للاسكان ليعتدل الكلام (١) .
والرأي الذي عليه النحاة هو الذي ينطبق على واقع اللغة ، فلو لم يكن
للعلاقات أثر في المعنى لالتبس الكلام واختلط وما التزم العرب أن ينطقوا بها على
نظام خاص معروف ، ولكانت أية حركة تغني في ادراج الكلام وما كان لحن
في الاعراب ، وهذا بأيسر حجة مردود . وما يقول صاحب هذا الرأي في مثل
قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسوله » وقوله « انما يخشى الله من عباده
العلماء » ونحوها لو غيرت حركة (رسوله) الى الكسرة وكلمة (الله) الى الضمة
والعلماء الى الفتحة ؟ !

غير أن هذا الامر الذي لظهوره يكاد يكون بديهية يأتي في العصر الحديث
من يخافه وينكر الحقيقة اللغوية ويذهب الى ما ذهب اليه قطرب وهو الاستاذ ابراهيم
أنيس قال في كتابه (من أسرار اللغة) « يظهر والله أعلم أن تحريك أواخر
الكلمات كان صفة من صفات الوصل في الكلام شعراً أو نثراً ، فاذا وقف المتكلم
أو اختتم لم يحتج الى تلك الحركات بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يسمى
السكون . كما يظهر ، أن الاصل في كل الكلمات أن تنتهي بهذا السكون وان المتكلم
لا يلجأ الى تحريك الكلمات الا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل » (٢) .

وقال في مكان آخر « لم تكن تلك الحركات الاعرابية تحدد المعاني في
أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة بل لاتعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في
الكثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض » (٣) . ويبني هذا الرأي على
« ظن » و « مخالاة » ويغفل ما جاء من نصوص واضحة صريحة بيّنة قال في قول
الشاعر :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

(١) الاشباه والنظائر ١/ ٧٨

(٢) من أسرار اللغة ص ١٤٢

(٣) من أسرار اللغة ص ١٥٨

نرجح ان الكسرة في آخر كلمة (معتب) سببها الانسجام مع الكسرة التي قبلها في « تاء » هذه الكلمة . اما كلمة « شاحباً » في البيت الثاني وهو :

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

فنرجح ان الكلمة قد نطق بها الشاعر « شاحب » بكسر الباء لتتسجم مع الحركة قبلها . ومن أيسر ما يرد به قوله ويقطع عليه هذا الظن والمخالفة قوله تعالى :

١ - وما الله بغافل عما تعملون .

٢ - ولا تحسبن الله غافلاً .

فلماذا حركت اللام في (غافل) الاولى بالكسرة والثانية بالفتحة لو أن الامر لا يبعدو الانسجام الموسيقي والضرورة الصوتية ؟ ونحوه قوله تعالى :

١ - انا وجدناه صابراً نعم العبد

٢ - اليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟

ولا نريد ان نكثر من ضرب الامثلة فالامر أوضح من أن يستكثر له من

الشواهد

وللزيادة في الايضاح نذكر ما رآه المستشرقان E, Littmann و Noldke في اللهجة النبطية وهو أن اواخر الكلمات في هذه اللهجة قد يحدث فيها تغيير بحسب مواضعها في الاعراب .

وان النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر (١) .

والنبطية أخت العربية فلما ذا يحدث التغير فيها بحسب المواضع في الاعراب ؟ والعربية يحدث التغير فيها الانسجام الموسيقي ؟!

(١) دراسات في اللغة - ابراهيم السامرائي ص ١٠-١١

البناء قال : « وهو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل » (١) .

ولاشك في ان السكون والحركة ليستا علامتين الوحيدتين للبناء بل الحرف كذلك نحو : يا رجلا ولا طالبين والحذف نحو اذهبوا وارم .

جاء في (أسرار العربية) أن حـد البناء (لزوم أو آخر الكلم بحركة وسكون) (٢) .

وفي (شرح الاشموني) ان البناء في اللغة وضع شيء على صفة يراد بها الثبوت . وأما في الاصطلاح فقال في (التسهيل) : ما جرى به لا لبيان مقتضى العامل من شبه الاعراب وليس حكاية أو اتباعا أو نقلا أو تخلصا من سكونين . وقبل هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكونا لغير عامل أو اعتلال (٣) .

وأبو الفتح يرى كسائر النحاة أن علة بناء الاسم شبهه بالحرف قال : « وليست علة بناء ما بني من الاسماء الا مشابقتها للحرف أو تضمنها معناه » (٤) . وقال « ان سبب البناء ... مشابهة الاسم للحرف لا غير » (٥) .

ويرى أنه قد يجرد الاسم المبني من دلالة فيعرب كأن تقول ضرب من منّا أي انسان^٦ انسانا قال أفلا تراه كيف جرد (من) من الاستفهام ولذلك اعربها ؟

(١) الخصائص ٣٧/١

(٢) أسرار العربية ص ١٩

(٣) الاشموني ٥٠-٤٩/١

(٤) التمام ص ١٤

(٥) الخصائص ١٧٩/١

ونحوه قولهم في الخبر مررت برجل أي رجل فجرّد (أيا) من الاستفهام أيضا (١) .

ومما خالف فيه البصريين في البناء ما رآه في علة بناء أسماء الأفعال ، ذكر ان البناء انما أتاها من قبل تضمن هذه الأسماء معنى لام الأمر ، لأن أصل ما صممه اسم له - وهو اسكت - لتسكت (٢) . ويذكر غيره من النحاة أن علة بناء اسم الفعل هي نيابته عن الفعل في الفعل بلا تأثر بالعوامل ويسمى الشبه الاستعمالي ، فانه أي اسم الفعل يعمل نيابة عن الأفعال ولا يعمل غيره فيه (٣) .

قال أبو الفتح وأصل بناء هذه الكلم الموضوعه للأمر عندي أنها تضمنت معنى لام الأمر ... فهذه علة بنائها الصريحة ولم يفصح أحد من أصحابنا بهذا الإفصاح وانما أكثر ما يقولون انها لوقوعها موقع فعل الأمر (٤) .

ويرى كسائر نحاة البصرة ان الاعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال (٥) . وان البناء فرع من الأسماء أصل في الأفعال وان بناء ما بني من الأسماء لشبه الحرف أو تضمن معناه - كما مر - واعراب ما عرب من الفعل انما هو لشبهه بالاسم كالفعل المضارع (٦) .

الفاعل : جاء في (الخصائص) ان الفاعل هو (كل اسم ذكرته بعد الفعل

(١) الخصائص ١٧٩/٢

(٢) الخصائص ٣٠٠/٢

(٣) الاشموني ٥٣/١

(٤) التمام ص ١٤

(٥) هذا رأى نحاة البصرة أما الكوفيون فقالوا ان الاعراب أصل فيها -

المجم ١٥/١

(٦) الخصائص ٦٣/١

وأسندت ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم وان الفعل الواجب وغير الواجب في
في ذلك سواء . (١)

ومن الملاحظات على هذا التعريف ان الفاعل - كما هو معلوم - لا يأتي بعد
الفعل وحده فن ذلك : رأيت رجلاً عالماً اخوه ، ومررت بقاع عرفج كله ،
ومررت برجل أبي عشة أبوه ، ومررت بحية ذراع طولها وبصحيفة طين
خاتمها (٢) .

وفي (المجمع) ان الفاعل « ما أسند اليه عامل مفرغ على جهة وقوعه منه
أو قيامه به » (٣) وفي (شرح المفصل) انه الاسم المسند اليه فعل عن طريقة فعل
أو شبهه وحكمه الرفع (٤) .

وفي (شرح قطر الندى) ان الفاعل « اسم صريح أو مؤول به أسند اليه
فعل أو مؤول به مقدم عليه بالاصالة واقعا منه أو قائما به » (٥) .
المفعول قال : وكذلك القول على المفعول انه انما ينصب اذا اسند الفعل
الى الفاعل فجاء هو فضلة (٦) .

ويقال فيه ما قيل في الفاعل انه ليس عن طريق اسناد الفعل الى الفاعل حسب
بل الفعل وشبهه نحو عليك نفسك ، والمهين زيداً له عقابه ونحو ذلك . وفي
(اسرار العربية) انه كل اسم تعدى اليه فعل (٧)

(١) الخصائص ١/١٨٥

(٢) لاحظ هذه الامثلة في الخصائص ١/١٢٢

(٣) ألمجع ١/١٥٩

(٤) شرح ابن عقيل - الفاعل

(٥) شرح قطر الندى ص ١٨١

(٦) الخصائص ١/١٨٥

(٧) اسرار العربية ص ٨٥

وفي (شرح شذور الذهب) هو ما وقع عليه فعل الفاعل كضربت زيدا (١).
وأرى أن التعريف السليم تعريف ابن الأنباري في (أسرار العربية) مع
اصلاح يسير فيكون : « كل اسم فضلة تعدى اليه فعل أو شبهه » .

فقولنا (فضلة) مخرج لنائب الفاعل في نحو ضرب زيد ، فقد تعدى اليه
فعل ، ولكن الاسم هنا عمدة وقولنا (شبهه) يشمل اسماء الافعال والمصادر
والمشتقات ونحوها .

الممنوع من الصرف

ويدخله في باب المعلول بعلمتين ، وذلك ان علة امتناعه من الصرف اجتماع
شبهين فيه من اشباه الفعل . اما السبب الواحد فيقل عن أن يتم علة بنفسه حتى ينضم
اليه الشبه الآخر من الفعل « (٢)

ويرى ان السبب الواحد وان لم يقو حكمة الى ان يمنع من الصرف فانه له
تأثير في تصويره الاسم على صورة ما بحيث اذا انضم له سبب آخر اعتونا معا على
منع الصرف ويرد قول من قال ان الاسم اذا منعه السببان الصرف فان اجتماع
الثلاثة فيه يرفع عنه الاعراب ، قال أنا نجس في كلامهم من الاسماء ما يجتمع فيه
خمسة أسباب من موانع الصرف ، وهو مع ذلك معرب غير مبني . وذلك كأمراة
سميتها بأذربيجان فهذا اسم قد اجتمعت فيه خمسة موانع وهي التعريف والتأنيث
والعجمة والتركيب ، والالف والنون . وكذلك ان عنت بأذربيجان البلدة والمدينة
لأن البلد فيه الأسباب الخمسة وهو مع ذلك كما ترى . فاذا كانت الأسباب الخمسة
لا ترفع الاعراب فالثلاثة أحجبى ألا ترفعه وهذا بيان (٣) .

(١) شرح شذور الذهب ص ٢١٣

(٢) الخصائص ١/ ١٧٧

(٣) الخصائص ١/ ١٨٠

ومن أدلته السديدة القاضية بأن المنوع من الصرف يراعى فيه اللفظ قوله : لو سميت رجلا بـ « أنظر » لم تصرفه معرفة ولو سميته بـ (أنظر) من قوله :

واني حيثما يسري الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظرو

لصرفته لزوال مثال الفعل وكذلك لو سميت بـذهب لم تصرفه معرفة فان مددت فقلت يذهب صرفته وذلك ان باب ما لا ينصرف انما يراعى فيه اللفظ (١). وهو دليل مقبول فانك اذا جعلته على وزن الفعل منعه الصرف وان اخللت بهذا الوزن باشباع الحركة مثلاً صرفته .

ويرى ان الاسباب المانعة من الصرف تسعة : واحد منها لفظي وهو شبه الفعل لفظاً نحو أحمد ويرمع وأحمد وابلم واستبرق والثمانية الباقية كلها معنوية كالتعريف والوصف والعدل والتأنيث وغير ذلك (٢) .

وتقسيمه هذا للعلل المعنوية واللفظية يختلف عن تقسيم النحاة المتأخرين القاضي بان العلل المعنوية هي العلمية والوصفية والباقية لفظية . فقد جاء في (شرح الاشموني) ان العلل المعنوية هي العلمية والوصفية وباقيها لفظي (٣) .

وفي (حاشية الخضري على شرح ابن عقيل) ان علل المنع من الصرف تسع ليس فيها معنوي سوى العلمية والوصفية وباقيها لفظي حتى التأنيث المعنوي لظهوره في اللفظ بتأنيث الضمير والفعل مثلاً (٤) :

(١) المبهج ص ٦٤

(٢) الخصائص ١/ ١٠٩

(٣) شرح الاشموني ٣/ ٢٣١

(٤) حاشية الخضري ٢/ ٩٧

نماذج اعرابية :

١ - أمن أميمة لطيف الم بنا بجانب الفرع والاعراء قد رقدوا (١)

أراد : من أميمة طيف فزاد (لا) كما قال الهذلي (من الكامل)

أفعتك لا برق كأن وميضه

فزاد (لا) وهو كثير ، وأكثر ذلك مع النفي .. كقول الله سبحانه « لئلا يعلم أهل الكتاب » أي ليعلم وذلك لتوكيد النفي (٢) .

٢ - فأدعها ما استودعتك موفرا بأحسن ما كانت تؤدي الودائع

(بأحسن) في موضع نصب على المصدر كأنه قال فأدعها ذلك أحسن ما تؤدي الودائع كقولك : قت أحسن قيام ، وجلست أحسن جلوس فالبناء على هذا زائدة (٣) .

٣ - فما كان عن يومين حتى تصدعوا لبين كما انشق الرداء المصبج - ح (٤)

يجوز أن يكون (عن) زائدة حتى كأنه قال فما كان يومان أي فلم يمض يومان حتى تصدعوا « (٥) .

وفي (المغني) أنها تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة كقوله :

أتجزع ان نفس أتاها حمامها فهلا التي عن بين جنبيك تدفع

(١) الاعراء : القوم الذين لا يهمهم الأمر ، واحد هم عرو

(٢) التمام ص ١٢٠ ، مغني اللبيب (لا) ٢٤٨/١

(٣) التمام ص ١٩٠

(٤) المصبج : المشقق

(٥) التمام ص ٢٤٦

قال ابن جنى أراد فهـلا تدفع عن التي بين جنبيك فجذفت (عن) من أول الموصول وزيدت بعده (١) .

وهو موجود في التمام (٢) ونصه
أتدفع عن نفس أتاها حمامها
وقد أغفل ابن هشام الشاهد الأول .

٤ - ولو أنهم قالوا لقد كنت مرة عرفت ولم انكر جواب المجاب
خرجه على حذف خبر كان أي أراد كنت تحبهن فكيف تنهانا ؟ وهو
ضعيف من جهة السماع والقياس (٣) .
• - أزيد قام ؟

زيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل لأنك تريد أقام زيد ؟
فلما أضمرته فسرته بقولك قام (٤) .
وقد رجح النحاة هذا الاعراب ويجوز أن يعرب زيد مهتداً (٥) .

٦ - تزود مثل زاد ابيك فينا فنعلم الزاد زاد أبيك زادا
قال فزاد الزاد في آخر البيت توكيداً لا غير (٦) .
وقال ابن هشام : الصحيح ان (زادا) معمول لتزود ، اما مفعول مطلق ان

(١) المغني (عن) ١/١٤٩

(٢) التمام ص ٢٤٦

(٣) التمام ص ١٧١

(٤) الخصائص ٢/٣٨٠

(٥) الاشموني ، حاشية الصبيان ٢/٨٦

(٦) الخصائص ١/٨٣

أريد به التزود أو مفعول به أن أريد به الشيء الذي يتزوده من أفعال البر (١) .

٧ - فاست بالاكثر منهم حصي وأنما العزة للكائر

(من) - هنا - إنما هي كالتي في قولنا أنت من الناس حر ، وهذا الفرس

من الخيل كريم فكأنه قال است من بينهم بالكثير الحصى (٢) .

وأمول اضافة الى هذا بزيادة (أل) أو انها معرفة و (من) متعلقة بـ (أكثر)

منكراً محذوفاً مبدلاً من المذكور (٣) .

٨ - قول الله تعالى « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ينبغي أن يكون

(خاسئين) خبراً آخر لكونوا ، والأول (قردة) . . وان جعلته وصفاً صغرمعناه

ألا ترى أن القرد لذله وصغاره خاسيء أبداً فيكون اذن صفة غير مفيدة وإذا

جعلت (خاسئين) خبراً ثانياً حسن وأفاد حتى كأنه قال : كونوا قردة وكونوا

خاسئين (٤) .

ويرى قسم من النحاة انه لا يصح تعدد خبرها (٥) .

٩ - فالأ يكن مال يثاب فانه سيأتي ثنائي زبدأ ابن مهلهل

« الوجه أن يكون (ابن مهلهل) بدلاً من زبد لاوصفاً له لانه لو كانوصفاً

لحذف تنوينه فقليل زيد بن مهلهل » (٦) .

وذلك لأن البديل عندهم على نية تكرار العامل (٧) بخلاف النعت فكأنه

(١) مغني اللبيب ٣٦٣/٢ - ٣٦٤

(٢) الخصائص ١٨٥/١

(٣) شرح الأشموني، حاشية الصبان ٤٧/٣ ، المغني ٥٧٢/٢ ، شرح الكافية ٢٣٨/٢

(٤) الخصائص ١٨٥/٢

(٥) همم الهوامع ١١٤/١

(٦) الخصائص ٤٩١/٢

(٧) لاحظ الأشموني ٥٩/٣ ، مغني اللبيب ٤٥٨/٢

قال : سيأتي ثنائي زبدآ سيأتي ابن مهمل .

١٠ - أحقاً انكم لما قتلتم نداماي الكرام هجوتوني ؟

(أن) مرفوعة الموضع بالظرف الذي هو حقاً ، وذلك أن (حقاً) هذه في الأصل انما هي مصدر ، حققت الأمر حقاً ثم انه استعمل استعمال الظرف فرفع ان كما يرفعها الظرف من قولك (في غالب ظني انك منطلق) (١)

ويرى المبرد أن (حقاً) مصدر لحق محذوفاً وان وصلتها فاعل (٢) . وهو رأي وجيه . وما ذكره ابن جني رأي سيئوبه والجمهور (٣) .

١١ - يادار أعرفها وحشاً منازلها بين القوائم من رهط ألبان (٤)

ليس قوله (أعرفها) وصفاً لدار ، وذلك أن الجملة نكرة ودار هـ هذه مخصوصة لقصدك اليها بندائك اياها . والمعرفة لا توصف بالنكرة . . . وإذا كان كذلك فقوله (اعرفها) استئناف خطاب فكأنه قال لصاحبه : أنا اعرفها (٥) .

١٢ - فما ان شائك من اسد ترج ابو شبلي قد منع الحذارا
بأجراء جرأة منه وأدهى اذا ما كارب الموت استدارا

(جرأة) هنا منصوب على التمييز لاعلى المصدر لانه يرى ان (افعل من) الموضوع للمفاضلة لا يجوز استعمال المصدر معها من قبل ان الغرض من المصدر انما

(١) التمام ص ٥٧

(٢) حاشية الصبان ٢٧٨/١

(٣) شرح الشواهد للعيني على شرح الاثموني ٢٧٨/١

(٤) القوائم جمع قائمة وهي جبال لأبي بكر بن كلاب . ورهط وألبان من منازل

بني لحيان

(٥) التمام ص ٧٦

هو التوكيد و (افعل) هذه قد استغنت بما فيها من المبالغة عن التوكيد بالمصدر (١).

١٣ - أشت عليك ايّ الامر تأتي أتستخذي صديقك أم متغير

ينبغي ان يكون فاعل (أشت) مضمرآ تدل الحال عليه اي اشت الامر عليك وذلك ان الجملة لا تكون عندنا فاعلة . . . فان قلت فلم لم تجز ان تكون الجملة فاعلة ؟ قيل : من قبل ان الفاعل كما يكون مظهرآ فكذلك قد يكون مضمرآ والمضمر معرفة والجملة الخبر لا تكون الا نكرة (٢) .

ورأيه هذا هو رأي البصريين المختار ، وقيل تقع فاعلا . طاقا نحو يعجبني يقوم زيد وظهر لي أقام زيد بدلالة « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه » (٣)

١٤ - ألا ياعين ما فابكي عبيدا وعبد الله والنفر الخيـارا

الفاء بعد النداء سببها - عندي - ما في النداء من معنى الخبر ، وذلك قولك (ألا يانفس فاصطبري) ... وبدلك على أن في النداء طرفا من الخبر ان رجلا لو قال لها (يا زانية) لوجب عليه الحد كما انه لو قال لها (انت زانية) كان الامر كذلك (٤) .

والذي أراه أن معنى الخبر ليس جاثيا في النداء وإنما هو في المنادى علما كان أو صفة ، ونحو هذا يكون في النهي وسائر ضروب الانشاء وذلك كأن تقول لرجل تعرفه صادقا لا تكذب أي انت تكذب . فعنى الخبر ليس جاثيا من النهي وإنما هو من استناد الفعل الى الفاعل .

١٥ - قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرmdا وبت كما بات السليم مسهدا

(١) التمام ص ٩١

(٢) التمام ص ٤٨

(٣) حاشية الصبيان ٣٤/٢

(٤) التمام ص ٩٠

وقول الآخر

وطعنة مستبسل نائر ترد الكتيبة نصف النهار

وقول العجاج :

* ولم يضع جاركم لحم الوضم *

وقوله أيضا :

* حتى اذا اصطفوا لها جدارا *

(ليلة أرمدا) و (نصف النهار) و (لحم الوضم) و (جدارا) منصوبة
جميعها في هذه المواضع . فتقدير الأول : لم تغتمض عينك اغتماض ليلة أرمدا فلما
حذف المضاف الذي هو اغتماض أقام ليلة مقامه فنصبها على المصدر .

وتقدير (نصف النهار) ترد الكتيبة مقدار نصف يوم أي مقدار مسيرة نصف
يوم وليس معناها في وقت نصف النهار بل الرد الذي لو بدىء اول النهار لبلغ
نصف يوم .

و (لحم الوضم) منصوب على المصدر أي ضياع لحم الوضم و (جدارا)
معناه حتى اذا اصطفوا له اصطفا جدار ثم حذف المضاف وأقيم المضاف
اليه مقامه .

ويجوز ان يكون (جدارا) حال أي مثل الجدار أو خبراً لصاروا المحذوفة
أي صاروا جداراً .

والتقاء هذه المواضع في أن نصب على المصدر ما ليس مصدرا (١) .

(١) الخصائص ٣/٣٢٢ ، لاحظ الاشموني ١١٣/٢ - ١١٤ ، الهمع ١/١٨٨

مبادئ عامة :

١ - في اللغة :

- ١ - الاسم اخف من الفعل (١) .
- ٢ - الجمع أثقل من الواحد (٢) .
- ٣ - قال أبو عثمان : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب (٣) .
- ٤ - زيادة النون ثانية أكثر من زيادة اللام في كل موضع . فكيف بزيادة النون غير ثانية (٤) ؟
- ٥ - زيادة الميم آخرأ أكثر منها أولاً (٥) .
- ٦ - يأتي في المعتل من الامثلة ما لا يأتي في الصحيح نحو سيد وميت وقضاة وقيدودة (٦) .
- ٧ - متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ومعه حرفان مثلاًن لاغير فهما أصلان متصلين كانا أو منفصلين (٧) .
- ٨ - كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لايجوز غيره وان لم يكن ذلك حكمت بأن احدهما مقابوب عن صاحبه (٨) .

(١) الخصائص ١/ ١٦٢

(٢) الخصائص ١/ ١٥٨

(٣) الخصائص ٢/ ٢٥

(٤) الخصائص ٢/ ٤٩

(٥) الخصائص ٢/ ٥١

(٦) الخصائص ٢/ ٥٣

(٧) الخصائص ٢/ ٥٦

(٨) الخصائص ٢/ ٦٩

٩ - تتقارب الحروف لتقارب المعاني (١) .

١٠ - تكرير العين في المثال يعني البناء دليل على تكرير الفعل فقالوا كثر وقطع وفتح وغلق (٢)

١١ - مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث نحو قضم وخضم (٣) .

١٢ - الحركة حرف صغير (٤) .

١٣ - ان العرب اذا حملت على المعنى لم تكدر اجمع اللفظ (٥) .

١٤ - ان بين المفرد والجملة أشباها (٦) .

١٥ - البدل من الزائد زائد وليس البدل من الاصل بأصل (٧) .

١٦ - الشبه اللفظي أقوى من الشبه المعنوي (٨) .

٢ - في الاصول

١ - أقوى القياسين أن يقبل ممن شهرت فصاحته (٩) .

٢ - متى كان التصرف في الوضع ينقض عليك أصلا أو يخالف بك مسموعا

مقيساً فالغده (١٠) .

(١) الخصائص ١٤٦/٢

(٢) الخصائص ١٥٥/٢

(٣) الخصائص ١٥٧ / ٢

(٤) الخصائص ٣١٥/٢

(٥) الخصائص ٤٢٠/٢

(٦) الخصائص ١٧٧/٣

(٧) الخصائص ١٤٢/٢

(٨) الخصائص ١٧/١

(٩) الخصائص ٢٧/٢

(١٠) الخصائص ٢١/٢

- ٣ - السماع أقوى وأغلب للقياس (١) .
- ٤ - قلب اللفظ نحو ما أطيّبه وما أبطّبه ومثله موقوف على السماع وليس لنا الاقدام عليه من طريق القياس (٢) .
- ٥ - متى ورد عليك لفظ فالقياس أن تتناوله على ظاهره ولا تدعي فيه قلبا ولا تحريفا الا أن يضح سبيل أو يقتاد دليل (٣) .
- ٦ - أقوى الدلالات هي اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية (٤) .
- ٧ - ان علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين (٥) :
- ٨ - لما شبهوا الاء-م بالفعل فلم يصرفوه كذلك شبهوا الفعل بالاء-م فأعربوه (٦) .
- ٩ - اذا قام الدليل لم يلزم النظر (٧) .
- ١٠ - قد يكون الحكم الواحد معلولا بعلمتين (٨) .
- ١١ - العرب اذا غ-يرت كلمة عن صورة الى صورة أخرى اختارت أن تكون الثانية مشابهة لاصول كلامهم ومعتاد أمثلتهم (٩) .

(١) الخصائص ٤٦/٢

(٢) الخصائص ٨٨/٢

(٣) الخصائص ٩١/٢

(٤) الخصائص ٩٨/٣

(٥) الخصائص ٤٨/١

(٦) الخصائص ٦٣/١

(٧) الخصائص ٢٠٢/١

(٨) الخصائص ١٠١/١

(٩) الخصائص ٦٦/٢

٣ - في النحو :

- ١ - الحال ضرب من الخبر (١) .
- ٢ - قد يكون العامل في الحال غير العامل في ذي الحال نحو قول الله ﷻ وهو الحق مصدقا « (٢) .
- ٣ - يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه (٣) .
- ٤ - الظرف يعمل فيه الوهم - كذا عهد الي ابو على رحمه الله (٤) .
- ٥ - المضممر لا يوصف (٥) .
- ٦ - المعرفة لا توصف بالنكرة (٦) .
- ٧ - الاضافة لا تنافي البناء (٧) .
- ٨ - المضاف بعض الاسم (٨) .
- ٩ - الحروف يشتق منها ولا تشتق هي أبداً (٩) .
- ١٠ - زيادة الحروف خارجة عن القياس (١٠) .

(١) الخصائص ٢٠/٢

(٢) الخصائص ٢٠/٢

(٣) الخصائص ٢٠/٢

(٤) الخصائص ٢٠/٢

(٥) الخصائص ٢١/٢

(٦) الخصائص ٢١/٢

(٧) الخصائص ٣٦/٢

(٨) الخصائص ٣٦/٢

(٩) الخصائص ٣٧/٢

(١٠) الخصائص ٢٧٩/٢

١١- قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه (١) .

١٢- ليس يلزم المبتدأ اسماً محضاً كازوم ذلك في الفاعل (٢) .

١٣- حذف الحال لا يحسن (٣) .

١٤- لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ولا شيء مما اتصل به ، ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطاً كان أو قسماً أو غيرهما (٤) .

١٥- العامل في المعطوف غير العامل في المعطوف عليه (٥) .

١٦- المسامحة في الفاعل ليست بالمرضية لأنها أصعب حالاً من المبتدأ (٦) .

١٧- الفعل موغل في التنكير والاسم المضمر متناه في التعريف (٧) .

١٨- الفعل المضمر إذا كان بعده اسم منصوب به ففيه فاعله مضمراً وإن كان بعده المرفوع به فهو مضمراً مجرداً من الفاعل ، ألا ترى أنه لا يرتفع فاعلان به (٨) ؟

١٩- ليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه ... ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول ولا الصفة على الموصوف ولا المبدل على المبدل

(١) الخصائص ٣٦٠/٢

(٢) الخصائص ٣٧٠/٢

(٣) الخصائص ٣٧٨/٢

(٤) الخصائص ٣٨٧/٢

(٥) الخصائص ٤٠٩/٢

(٦) الخصائص ٤٣٣/٢

(٧) الخصائص ١٠٣/١

(٨) الخصائص ٣٨٠/٢

منه ولا عطف البيان على المعطوف عليه (١)

٢٠- التنوين مؤذن بتمام ما دخل عليه ، والاضافة حاكمة بنقص المضاف (٢).

٢١- التنوين علم التنكير (٣) .

نماذج من آرائه النحوية :

أ- مما خالف فيه الجمهور

١ - عدل « آخر » الجمهور انه معدول عن « الآخر » وابن جني على

انه معدول عن « أفعل من » أي آخر من (٤) .

٢ - المنزلة بين المنزلتين « الاسم أما منصرف وأما غيره ولا واسطة بينهما

عند الجمهور وأثبتته ابن جني في المعرف بأل والمضاف قال فانه لا يسمى منصرفا ولا غير منصرف » (٥) .

٣ - الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم ورد ابقاء هذه الحروف يعني

حروف العلة - مع الجازم كقوله :

* ولا ترضاها ولا تملق *

* لم تهجو ولم تدع *

* الم يأتيك والانباء تنمي *

(١) الخصائص ٣٨٥/٢

(٢) الخصائص ٦٥/٣

(٣) الخصائص ٦٥/٣

(٤) همع الهوامع ٢٥/١- ٢٦ ، الرضي على الكافية ٤٤/١

(٥) الخصائص ٣٥٧/٢ ، همع ٣٧/١

فالجمهور على انه مختص بالضرورة وقال بعضهم انه يجوز في سعة الكلام
وانه لغة لبعض العرب (١) .

والمعنى بقوله قال بعضهم أبو الفتح ، فهو الذي قال في (المنصف) في هذه
« فهذا انما جاء على لغة من يقول « هو يأتيك وغير ماضي » فيجره مجرى الصحيح
فكانه حذف الضمة للجزم كما يحذفها له من الصحيح من قوله ألم يبلغك (٢) .

٤ - عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في نحو ضرب غلامه زيداً ، منع
الجمهور هذا التقديم وأجازه ابن جني (٣) .

٥ - « لا » العاملة عمل ليس الجمهور على تنكير اسمها وخبرها ولم يعتبر
ابن جني وطائفة هذا الشرط فأجازوا اعمالها في المعارف كقوله

وحات سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا (٤)

٦ - رابط الخبر بالمبتدأ الجمهور منعوا أن يكون الرابط تكرار المبتدأ
بمعناه نحو : زيد جاءني أبو عبدالله ، وأجازه الأخفش وحسنه ابن جني (٥) .

٧ - جواز حذف عامل الفاعل لعدم اللبس نحو : لي بك زيد ضارع مخصصة ،
يسمى له بالغدو والآصال رجال . منع الجمهور القياس على ذلك وجوزه الجرمي
وابن جني وابن مالك (٦)

(١) همع الهوامع ٥٢/١

(٢) المنصف ٨١/٢

(٣) الخصائص ٢٩٣/١ ، همع ٦٦/١ ، مغنى اللبيب ٤٩٢/٢ ، الاشموني ٥٨/٢

(٤) همع ١٢٥/١ ، المغني ٢٤٠/١

(٥) همع ٩٨/١

(٦) همع ١٦٠/١

٨ - (اذا) مبتدأ في قوله « اذا وقعت الواقعة » والخبر « اذا » الثانية وخافضة رافعة بالنصب حالان . والمعنى وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين هو وقت رج الارض . قاله ابن جني وأنكره الجمهور (١) .

٩ - الجملة بعد بينا وبينها الجمهور على أن الجملة بعدهما مضاف اليها نفسها دون حذف مضاف وانها في موضع جر وذهب الفارسي وابن جني الى تقدير زمان مضاف الى الجملة محذوف (٢)

١٠ - المفعول معه لا يتقدم على عامله باتفاق ولا يتقدم على مصاحبه وأجازه ابن جني فيقال : استوى والخشبة الماء (٣)

١١ - زيادة الا : واثبتها الأصمعي وابن جني وخرج عليه قوله

* حراجيع ما تنفك الا مناخة * (٤)

١٢ - اتباع فاعل نعم وبئس بالنعى : منعه الجمهور وأجازه الفارسي وابن السراج وابن جني في قول الشاعر

* لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم * (٥)

١٣ - اظهار المتعلق بالخبر منعه الجمهور وجوزه ابن جني واستدل بقول الشاعر

* فأنت لدى بمجوحة الهون كائن * (٦)

(١) همع الهوامع ٢٢٦/١ ، مغني اللبيب ٩٤/١

(٢) سر صناعة الاعراب ٢٧/١ ، الهمع ٢١١/١

(٣) الخصائص ٣٨٣/٢ ، الهمع ٢٢٠/١ ، الأشموني ١٣٧/٢

(٤) الهمع ٢٣٠/١ ، المغني ٧٣/١

(٥) الهمع ٨٥/٢ ، شرح الأشموني ٣١/٣

(٦) الهمع ١٠٨/٢ ، الرضي على الكافية ٩٩/١

١٤ - العطف على محل المجرور ، لا يجوز عند النحاة أن يقال : مررت بزيد وعمر ا . وأجازه الفارسي وابن جني (١) .

١٥ - بأي أولى المتعلق به أبا الفعلية ام بالاسمية ؟ : أكثرهم على ان المحذوف المتعلق به فعل ، وذهب ابن السراج وأبو الفتح الى انه اسم لكونه مفرداً والأصل في خبر المبتدأ أن يكون مفرداً (٢)

ب - مما خالف فيه سيبويه :

١ - (لهئك) « قبل همزة ان مبدلة هاء مع تأكيد الخبر أو تجريده كقوله

* لهئك من برق علي كريم *

هذا ما اختاره ابن جني وابن مالك ، وذهب سيبويه وابن السراج الى انها لام قسم مقدر لا لام ان . قال سيبويه وهذه كلمة تتكلم بها العرب في حال اليمين (٣) ، ٢ - لام الجر في الاستغاثة ذهب ابن جني الى انها تتعلق بجرف النداء لما فيه من معنى الفعل وذهب سيبويه الى انها تتعلق بالفعل المضمر واختاره ابن عصفور (٤) . ٣ - (لما) القول بظرفيتها رأي ابن السراج والفارسي وابن جني وجماعة ومذهب سيبويه وابن خروف انها حرف (٥) .

٤ - الجر بعدما خلا وما عدا زعم الجرمي والربيعي والكسائي والفارسي وابن جني انه يجوز الجر على تقدير (ما) زائدة والذي نص عليه سيبويه المنع (٦) . ٥ - الحال لا تقع مؤولة بالمصدر مذهب سيبويه أن (ان) والفعل وان

(١) الخصائص ٣٥٣/٢ ، مغني اللبيب ٤٧٣/٢ ، الهمع ١٤١/٢

(٢) شرح الكافية ٩٩/١

(٣) الخصائص ٣١٥/١ ، الهمع ١٤١/١

(٤) الخصائص ٢٧٨/٢ ، الاثموني ١٦٤/٣ ، الهمع ١٨٠/١

(٥) الخصائص ٢٥٣/٢ ، المغني ٢٨٠/١ ، الهمع ٢١٥/١

(٦) همع الهوامع ٢٣٣/١

قدّرت بمصدر لا يجوز أن تقع حالا لان العرب اجرتها باب مجرى المعارف في الاخبار بكان ولأن (أن) للاستقبال ، والمستقبل لا يكون حالا وأجازه ابن جني وخرج عليه قول الشاعر

وقالوا له لاتنكحيه فانه لأول نصل ان يلاقى مجمعا (١)

٦ - توكيد المحذوف في نحو الذي ضربت نفسه زيد : أجازه الخليل وسيبويه والمازني وابن طاهر وآخرون ومنعه الأخفش والفارسي وابن جني وثعلب (٢) .

٧ - اللام بعد ان المهملة في نحو « وان كانت لكبيرة » هي عند سيبويه والاكثرين لام الابتداء . وعند أبي الفتح وجماعة انها لام اجتنابت للفرق (٣) .

ج - مما خالف فيه شيخه أبا علي الفارسي :

١ - (الثلاثي الساكن الوسط المؤنث) كهند : من المعلوم انه يجوز فيه الصرف وعدمه واختلف في الأجود منها . فالأصح ان الاجود المنع قال ابن جني وهو القياس والأكثر في كلامهم . وقال أبو علي الفارسي الصرف أفصح . (٤)

٢ - النون في المثني وجمع المذكر السالم : قيل انها عوض من الحركة والتنوين معا ، وعليه ابن ولاد وأبو علي وابن طاهر والجزولي .

وقيل انها عوض عن الحركة والتنوين فيما وجدا في مفردة ، ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفردة كمثني ما لا ينصرف ، ومن التنوين فقط فيما لا حركة في مفردة كعصا وقاض ، وغير عوض فيما خلا عنها كمثني حبلى وهذا والذي . وعليه ابن جني (٥) .

(١) هم الهوامع ٢٣٩/١

(٢) الخصائص ٢٨٧/١ ، المغني ٦٠٨/٢ ، الجمع ١٢٤/٢

(٣) المنصف ١٢٧/٣ ، المغني ٢٣٢/١

(٤) الجمع ٣٤/١

(٥) الجمع ٤٨/١

٣ - (الهتك) : ذكرنا رأيه فيها فيما خالف فيه مسيبويه . وذهب قطرب
والفراء والمفضل ابن سلمة والفارسي وصححه ابن عصفور الى ان الاصل « له انك »
فهما كلمتان (١) .

٤ - الفاء في نحو « خرجت فاذا الاسد » : هي زائدة لازمة عند الفارسي
والمازني وجماعة وعاطفة عند مبرمان وأبي الفتح (٢) .

وليس صحيحاً ما ذهب اليه ابن هشام ، فرأي أبي الفتح موافق لرأي المازني
فيها . جاء في (سر الصناعة) : « تقول العرب : « خرجت فاذا زيد » واختلف العلماء
في هذه الفاء : فذهب أبو عثمان الى انها زائدة وذهب أبو اسحاق الزياتي الى انها
دخلت على حد دخولها في جواب الشرط . وذهب مبرمان الى انها عاطفة .

وأصح هذه الأقوال قول أبي عثمان « (٣) » . ويذهب في بحثه يسند هذا الرأي
ويفند الأقوال الأخرى .

٥ - هيهات : يفتح الحجازيون تاء هيهات ويقفون بالهاء ، ويكسرهما نعيم
ويقفون بالتاء وبعضهم يضمها واذا ضمت فذهب أبي علي انها تكتب بالتاء
ومذهب ابن جني أنها تكتب بالهاء (٤) .

٦ - تاء (تجفاف) : قال « سألت يوماً أبا علي - رحمه الله - عن تجفاف
أناؤه للحاق بباب قرطاس ؟ فقال نعم وجميع في ذلك بما انضاف اليها من زيادة
الألف ... ويبعد هذا عندي » (٥) .

(١) الخصائص ٣١٥/١ ، الهمع ١٤١/١

(٢) مغني اللبيب ١٦٧/١

(٣) سر الصناعة ٢٦٢/١

(٤) الخصائص ٢٩٧/٢ ، ٤١/٣ ، شرح الاشموني ١٩٩/٣

(٥) الخصائص ٢٣١/١

٧- اني لأمر بالرجل مثلك : كان أبو علي يقوي قول أبي الحسن في نحو قولهم « اني لأمر بالرجل مثلك » : ان اللام زائدة حتى كأنه قال اني لأمر برجل مثلك ...

واعلم ان هذا القول من أبي علي غير مرضي عندي (١) .

٨- (لأفعل) صفة : قال في هذا البيت

ان تك ذا بزّ فان بزّي سابعة فوق وأىّ إوز*

قال أبو علي : لا يكون (اوز) من لفظ الوزّ لانه قد قال ليس في الكلام (افعل) صفة . وقد يمكن عندي أن يكون وصف به لتضمنه معنى الشدة كقوله :

رحت وانت غرّ بال الالهاب (٢)

٩- همزة وراء : قال : « ومن البديل الجاري مجرى الزائد عندي لا عند أبي علي همزة وراء . ويجب أن تكون مبدلة من حرف علة لقولهم : تواريت هناك ... وأما أبو علي رحمه الله فكان يذهب الى أن لامها في الاصل همزة وانها من تركيب (وراً) » (٣) .

١٠- الهمزة في أدّيه : ذهب أبو علي الى أن الهمزة في أدّيه ليست بدلا من الياء وانما هي لغة في الكلمة . قال الا انني أنا أرى في هذه اللفظة خلاف ما رآه أبو علي فلو كان الأمر على ما ذهب اليه لتصرفت الهمزة في هذه اللفظة تصرف الياء وليس الأمر كذلك (٤) .

(١) الخصائص ٩٩/٣ - ١٠٠

(٢) الخصائص ٢١٧/٣

(٣) الخصائص ٢٧٨/٣

(٤) سر الصناعة ٢٤٣/١ - ٢٤٤

د - مما وافق فيه شيخه :

١ - النون المحذوفة في نحو أتحتاجوني ، أهي نون الوقاية أم علامة الرفع ؟
ذهب سيبويه الى انها نون الرفع ... وذهب أكثر المتأخرين الى انها نون الوقاية
وعليه الاخفش الأوسط والأخفش الصغير والمبرد وأبو علي وابن جني لانها -
لاتدل على اعراب فكانت أولى بالحذف (١)

٢ - المهموز من الافعال : المهموز من الافعال كيقراً ويُقْرَىء ويوضؤ
يجوز تسهيل همزه ونص سيبويه وغيره كالفارسي وابن جني على انه لا يجوز ابداله
لينا محضاً الا في الضرورة (٢) .

٣ - الخبر شبه الجملة : ذهب ابن كيسان الى أن الخبر في الحقيقة هو العامل
المحذوف وان تسمية الظرف خبراً مجاز وتابعه ابن مالك . هذا هو التحقيق وذهب
الفارسي وابن جني الى انه الظرف حقيقة وان العامل صار نسياً منسياً (٣) .

٤ - دلالة الافعال الناقصة عل الحدث اختلف في دلالة هذه الأفعال على
الحدث فمنهم قوم منهم المبرد وابن السكيت والفراسي وابن جني وابن برهان
والجرجاني والشلوبين (٤) .

٥ - العامل في نحو : اما انت منطقاً انطلقت ذهب أبو علي وابن جني ان
(ما) هي الرافعة الناصبة لكونها عوضاً من الفعل فنابت مناب الفعل (٥) .

٦ - اذا الفجائية : ظرف مكان عند المبرد والفارسي وابن جني وأبي بكر

(١) مغني اللبيب ٢/٦٢٠-٦٢١ ، الهمع ١/٥١-٥٢

(٢) الخصائص ٣/١٥٢-١٥٣

(٣) الهمع ١/٩٩

(٤) التمام ص ١٧١ الخصائص ١-٣١٢ ، المغني ٢/٤١٠ ، ٤٣ ، الهمع ١/١١٣

(٥) الخصائص ٢/٣٨١ ، المغني ١/٣١٢ ، الهمع ١/١٢٢

الخياط واختاره ابن عصفور وظرف زمان عند الرياشي والزجاج (١) .

٧ - الجر بعد ما خلا وما عدا - وقد مرت فيها خالف فيه سيديويه وقد وافق فيها شبيخه - كما مر -

٨ - اتباع فاعل نعم وبشس بالنعته - وقد مر - . قلنا لا يتبع فاعلها عند الجمهور وأجازه ابن السراج والفارسي وابن جني .

٩ - اللام مع ان المهيمة وقد مر :

١٠ - نيابة المفعول له مناب الفاعل في الفعل المبني للمجهول لا تجوز نيابة المفعول له اذا كان منصوباً اتفاقاً ، وفي المجرور بحرف قولان أحدهما لا ، بناء على ان المجرور لا يقام ولأنه بيان لعلة الشيء وذلك لا يكون الا بعد ثبوت الفعل بمرفوعه وهذا ما صححه الفارسي وابن جني وقيل يجوز بناء على اقامة المجرور (٢) .

١١ - ما مر من توكيد المحذوف في نحو الذي ضربت نفسه زيد .

١٢ - (لما) ظرف بمعنى حين - وقد مر - .

هـ - مما وافق فيه الكوفيين

١ - إن النافية العاملة عمل ليس: حرف غير مختص فكان القياس ألا تعمل لذلك منع اعمالها الفراء وأكثر البصرية والمغاربة وعزي الى سيديويه وأجاز اعمالها الكسائي وأكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي وابن جني وابن مالك وصححه ابن حيان (٣) .

٢ - (حاشا) أهي اسم أم فعل ؟ تقع حاشا قبل لام الجر نحو حاشا لله وهي

(١) سر الصناعة ٢٥٦/١ وما بعدها ، الهمع ٢٠٧/١

(٢) الهمع ١٦٣/١

(٣) همع الهوامع ١٢٤/١

عند المبرد وابن جني والكوفيين فعل قالوا لتصرفهم فيها بالحذف قالوا حاش وحشا
ولادخالهم اياها على الحرف قبل لام الجر (١) .

٣ - (أو) للاضراب بمعنى بل قال الكوفيون وأبو علي وأبو الفتح وابن
برهان تأتي للاضراب مطلقاً تمسكاً بقوله

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولارجاؤك قد قتلت أولادي (٢)

هذا ماجاء في (مغني اللبيب) و (شرح الاشموني) وليس صحيحاً ما نسب
الى أبي الفتح في ذلك . جاء في (الخصائص) «أو ، انما اصل وضعها ان تكون
لأحد الشيتين ابن كانت وكيف تصرف . فهي عندنا على ذلك ، وان كان بعضهم
قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال حتى دعاه الى أن نقلها عن أصل بابها .
وذلك ان الفراء قال : انها قد تأتي بمعنى بل . . . (٣) وقال : فأما قول الله سبحانه
(وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) فلا يكون فيه أو على مذهب الفراء بمعنى بل
ولا على مذهب قطرب في انها بمعنى الواو ولكنها عندنا على بابها في كونها شكاً» (٤) .

٤ - عطف البيان يكون معرفة ويكون نكرة لأن النكرة تقبل التخصيص
بالجامد كما تقبل المعرفة التوضيح به نحو «لبست ثوباً جبة»

هذا مذهب الكوفيين والفارسي وابن جني والزمخشري وابن عصفور وذهب
غير هؤلاء الى المنع (٥) .

٥ - عمل المصدر مضمراً لأعمال المصدر شروط منها ان يكون مظهرأ فلو

(١) المغني ١/١٢١ ، الاشموني ٢/١٦٦ ، الهمع ١/٢٣٣

(٢) مغني اللبيب ١/٦٤ ، الاشموني ٣/١٠٦

(٣) الخصائص ٢/٤٥٧ وما بعدها

(٤) الخصائص ٢/٤٦١

(٥) شرح الاشموني ٣/٨٦

أضمر لم يعمل خلافاً للكوفيين وأجاز ابن جني في (الخصائص) والرماني أعماله في
المجرور وقياسه في الظرف (١) .

هذا ماجاء في (شرح الأشموني) والصواب ان الذي أجازہ أبو الفتح في
(الخصائص) اعمال المصدر مضمرأ في الظرف (٢) لا في المجرور والمثال الذي
أورده هو : قيامك امس حسن وهو اليوم قبيح . وخرجه تخريجات منها الاعمال .
وهو موافقة لهم من وجه .

٦ - المبتدأ والخبر يترافعان جاء في (الهمع) ان المختار وفاقاً للكوفية وابن
جني أن المبتدأ والخبر يترافعان . قال وهذا المذهب اختاره ابن جني وأبو حيان (٣) .
هذا ماجاء في (الهمع) والصواب وقد بيناه في مذهبه النحوي أنه موافق
للصبريين فيه (٤) وليس صحيحاً ماورد في الهمع .

و - مسائل من اجتهاداته الخاصة :

١ - مروان أخو اليوم اليمى ذكر فيه قولين احدهما أنه أراد : اخوم اليوم
السهل اليوم الصعب ، والآخر اخو اليوم اليوم كما يقال عند الشدة والأمر العظيم
اليوم اليوم .

قال : لا ويجوز عندي فيه وجه ثالث لم يقل به وهو أن يكون أصله على
ما قيل في المذهب الثاني . . اخو اليوم اليوم ثم قلب فصار (اليَومُ) ثم نقلت الضمة
الى الميم على حد قولك : هذا بكر فصارت (اليَمو) فلما وقعت الواو طرفاً بعد

(١) شرح الاشموني ٢/٢٨٦

(٢) الخصائص ٢/١٩

(٣) الهمع ١/٩٤ ، ٩٥

(٤) لاحظ الخصائص ١/١٦٦ ، ١/١٩٦ ، ١/١٩٩ وأماكن أخرى

ضممة في الاسم ابدلوا من الضمة كسرة ثم من الواو باء فصارت (اليمى) كأحق .
وأدل ١ (١) .

٢ - (تيهورة - القطعة الصعبة من الرمل) قال : وهي عندنا (فيعولة)
من تهور الجرف ... ويجوز عندي أن تكون في الأصل أيضا (تفعولة)
كنعضومة ... ويجوز فيه عندي وجه ثالث وهو أن يكون في الأصل (يفعولة)
كيعسوب ويربوع فيكون اصلها (يهورة) (٢) .

٣ - مذهب العرب في تكسير فَعَل على أفعال كعَلَم وأعلام ، وفَعَلَة على
أفَعَل نحو أكمة وآكم قال والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض
المواضع تاء التأنيث وذلك في الأدواء نحو قولهم رَمِثَ رَمَثًا وَحَبِطَ حَبَطًا...
فاذا الحقوا التاء اسكنوا العين فقالوا حَقِيل حَقِيلَة ومغل مَغْلَة ...

فلما تعاقبت التاء وحركة العين جريا لذلك مجرى الضدين المتعاقبين فلما اجتماعا
في (فَعَلَة) ترافعا احكامهما فاسقطت التاء حكم الحركة واسقطت الحركة حكم
التاء . فآل الأمر بالمثال الى ان صار كأنه فَعَل ، و (فَعَل) باب تكسيبه
(افعل) (٣) .

٤ - نقض العادة في أفعلت بأن تكون الاولى لازمة والثانية متعدية نحو أجفل
الظليم وجففته الريح .

قال : وعلة ذلك عندي انه جعل متعدي فعلت وجمود أفعلت كالعوض
لفعلت من غلبة أفعلت لها على التعدى نحو جلس وأجلسته (٤) .

(١) الخصائص ٧٦/٢ ، ٧٧

(٢) الخصائص ٧٩/٢ ، ٨٠

(٣) الخصائص ١٠٨/٢

(٤) الخصائص ٢١٥/١

٥ - اجماع العرب على مجيء عين مضارع فعلته اذا كانت من فاعلاني مضمومة البتة ، وذلك نحو قولهم : ضاربني فضربته اضرمه ، وعالمني فعلمته اعلممه قال : وعلمته عندي ان هذا موضع معناه الاعتلاء والغلبة فدخل بذلك معنى الطبيعة والنحيضة التي تغلب ولا تغاب وتلازم ولا تفارق وتلك الأفعال بابها فَعَلْ يَفْعُل نحو فقهه يَفْقُهه اذا أجاز الفقه وعلمهم يعلمهم اذا أجاد العلم (١) .

٦ - قالوا في قول الشاعر

شدوا المطي على دليل دائب من أهل كاظمة بسيف الأبحر
قالوا معناه : بدليل . وهو عندي أنا على حذف المضاف أي شدوا المطي على دلالة دليل فحذف المضاف (٢) .

٧ - باب في أن ما لا يكون للأمر وحده قد يكون له اذا ضام غيره - قال بعد أن ذكر ذلك : فتأمل هذه المواضع التي أريتكمها فان أحداً من أصحابنا لم يذكر شيئاً منها (٣) .

٨ - باب في ان سبب الحكم قد يكون سبباً لضده على وجه ، قال وعلى ذلك عندي ما جاء عنهم من تكسير فَعِيل على أفعال نحو يتيم وأيتام وشريف وأشراف حتى كأنه كسر فَعِيل لافعليل كنمر وانمار وكريد وأكباد وفِخذ وأفخاذ (٤) .
٩ - قال في قول الشاعر :

من أي يوميٍّ من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر
ذهبوا فيه الى انه أراد النون الخفيفة ثم حذفها فبقيت الراء مفتوحة

(١) الخصائص ٢/٢٢٥

(٢) الخصائص ٢/٣١٢

(٣) الخصائص ٢/٤٨٠ - ٤٨٤

(٤) الخصائص ٣/٥٣

والذي أراه أنا وماعلمت أحدا من أصحابنا ولا غيرهم ذكره وبشبهه ان يكونوا لم يذكروه للطفه ثم ذكر أصله (١) كما مر .

١٠ - « مسوکی » قال : القول عندي في مسوکی في بيت المزار :

فأصبحت مهموما كأن مطيبي بجنب مسولى أو بوجرة ظالع
ينبغي ان تكون مقصورة من مسولاء بمنزلة جملولاء (٢) :

١١ - (ترقة) قال : ورويناها عن قطرب وذكر أنها لغة لبعض عكل ووجه القول عليها عندي أن تكون مما همز من غير المهموز بمنزلة استلأمت الحجر واستنشأت الرائحة ... وأصلها ترقة ثم همزت على ما قلنا « (٣) »

١٢ - (العين) ، قال « وكذلك ما انشده من قول رؤبة
ما بال هيني كالشعيب العين .

حلوه على (فيعل) مما اعتلت هينه وهو شاذ . وأوفق من ه - ذا عندي ان يكون فوعلا أو فعمولا حتى لا يرتكب شذوذه (٤) .

١٣ - مارآه في نحو : هذا جحر ضب خرب فقد ذكر النحاة ان هذا من باب الغلط الذي لا يجوز القياس عليه أو المجاورة وحمله أبو الفتح على أنه من باب حذف المضاف ، كما مر (٥) .

١٤ - تجاوز الأحوال والأحيان ، نحو احسنت اليه اذ أطاعني ، يرى أن هذا

(١) سر الصناعة ٨٥/١

(٢) الخصائص ١٩٢/٣

(٣) الخصائص ٢٠٧/٣

(٤) الخصائص ٢١٤/٣

(٥) الخصائص ١٩١/١ ، ٢٢١/٣

من باب تجاوز الأحيان قال « وهذا التجاور الذي ذكرناه في الاحوال والأحيان لم يعرض له أحد من أصحابنا وانما ذكروا تجاوز الألفاظ » (١) .

١٥ - قال في (باب في ترافع الاحكام) « هذا موضع من العربية لطيف لم أر لاحد من أصحابنا فيه رسما ولا نقلوا اليها فيه ذكرا » (٢) .

١٦ - قال في قول الشاعر :

وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه
على كل حال من غمار ومن وحل
قالوا أراد بنا . وقد يكون عندي على حذف المضاف أي في سيرنا ومعناه في سيرهم بنا (٣) .

١٧ - قال في قول الشاعر

فظلت في شر من اللذكيدا كاللذ تزني زمبية فاصطيدا
قد عد الناس (اللذ) لغة في (الذي) ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لا لغة ، وذلك انه يجوز أن يكون حذف الباء تخفيفا لطول الاسم بصلته فصار (اللذ) (٤) .

١٨ - تقديم المعطوف على المعطوف عليه ، قال في قول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام
ان الجماعة حملته على انه : عليك السلام ورحمة الله . وهذا وجه . قال : الا ان عندي فيه وجهها لا تقديم ولا تأخير من قبل العطف ، وهو أن يكون (رحمة

(١) الخصائص ٢٢٧/٣

(٢) الخصائص ١٠٨/٢

(٣) الخصائص ٣١٣/٢

(٤) التمام ص ٤٢

الله (معطوفا على الضمير في (عليك) وذلك ان (السلام) مرفوع بالابتداء
وخبره مقدم عليه وهو (عليك) . ففيه اذن ضمير منه مرفوع بالظرف فاذا
عطفت (رحمة الله) ذهب عنه مكرره التقديم لكن فيه العطف على المضمرة المتصلة
من غير تأكيد له وهذا أسهل عندي من تقديم المعطوف على المعطوف عليه (١) ،

خاتمة

والآن بعد اكمال الباب الثامن نكون قد انتهينا - والله الحمد - من بحث « ابن جني النحوي » وعسى ان نكون قد وفقنا في رسم صورة صحيحة أو مقاربة لنحو أبي الفتح .

الذي نستخلصه من نظرة أبي الفتح النحوية بصورة موجزة

١ - ان ابا الفتح في موقفه من القراءات لا يختلف كثيراً عن موقف سائر النحاة في رد طائفة من القراءات المعتمدة وتضعيفها وتلحينها وهو ينسب طائفة من القراء الى الجهل أو الى السهو أو القصور عن ادراك حقيقة الأمر ، وان كان هو في موقفه أقرب الى الاعتدال من موقف شيخه أبي علي الفارسي .

٢ - موقفه من الاستشهاد بالحديث كموقف سائر النحاة أعني أنه لا يرى الاستشهاد بالحديث الا انه لا يمتنع من أن يذكر الحديث تأييداً لرأي قرره أو أصل استنبطه . أما أن يكون الحديث هو الأصل الذي يقرر القاعدة أو ينقضها فلا .

٣ - وفي الاستشهاد بكلام العرب من شعر ونثر يقف موقف النحاة البصريين فياًخذ بالكثرة من النصوص الفصيحة المعتمدة ، ولا يقيس على الشاذ والنادر ، وينظر الى الناقل ويزنه من حيث فصاحته ، فان كان فصيحاً أخذ منه والا رده ، ويجعل القياس عياراً يزن به المسموعات المفردة ويستشهد بأشعار المولدين في المعاني .

٤ - وان له مجهوداً كبيراً في تثبيت أصول النحو وتدعيمها ان لم يكن له الجهد الأكبر في ذلك وقد ألف في هذا الشأن كتاب (الخصائص) على طريقة الفقهاء والمتكلمين .

٥ - وهو معترلي يظهر أثر اعتزاله فيما يبحث ولا يمتنع أن يذكر أصولاً نحوية على وفق مبادئ المعتزلة كما في بحثه (الحكم يقف بين الحكمين) .

- ٦ - ويرى أن العرب كانت تلاحظ العمل عندما تتكلم .
- ٧ - وهو يقول بنظرية « العامل » ويقف منها موقف نحاة البصرة ، ويؤكد يتفق معهم اتفاقاً تاماً ولا صحة لقول من يقول انه اراد أن يهدم نظرية العامل ويبني النحو على اساس جديد .
- ٨ - وان عقليته تحليلية تحليلية مبتكرة قيّاسة يلصق الاشارة الخاطفة ، وهو دقيق الملاحظة ، واسع النظر مثبت فيما يقول ، ويستعمل أمثلة غير عملية وفرضية لرياضة الفكر وتدريبه .
- ٩ - تؤخذ عليه هنات في التعليل الذي يباليغ فيه ويغلو حتى يمتد الى الكلمات الدخيلة ظاناً انها عربية كما يؤخذ عليه قلة التدقيق في طائفة من الحدود النحوية ، وربما لم يكن يقصد الى حدها بصورة دقيقة - كما بينا - .
- ١٠ - له بحوث في غاية التدقيق كالاشتقاق الاكبر وما يتعلق باللفظ والمعنى وتركب اللغات وتداخلها كما له اجتهادات خاصة لغوية ونحوية جديرة بانعام النظر .
- ١١ - وهو بصري المذهب لابغدادى ولا كوفي ، ارتضى لنفسه أن يكون بصرياً ، ويعد نفسه من البصريين ويضع نفسه بمعزل عن البغداديين والكوفيين ويقول في المسائل الخلافية برأي البصريين في الاعم الاغلب .
- ١٢ - نسبت اليه آراء نحوية وهماً نبهنا عليها في امكنتها
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

مراجع البحث

- ١ - الاتقان في علوم القرآن - للسيوطي طبعة ٣ - ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
- ٢ - الاذكياء - لابن الجوزي .
- ٣ - الاستشهاد بالحديث - لمحمد الخضر حسين - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ .
- ٤ - الاشباه والنظائر - للسيوطي ط ٢ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية .
- ٥ - الأصوات اللغوية - للدكتور ابراهيم أنيس - مطبعة نهضة مصر ،
- ٦ - الاعلام - لخير الدين الزركلي .
- ٧ - الاغراب في جمل الاعراب - لابن الانباري - مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م مع رسالة لمع الأدلة .
- ٨ - الاقتراح - للسيوطي ط ٢ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ .
- ٩ - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية - للبطريرك مار اغناطيوس افرام الاول - مجلة المجمع العلمي العربي - كانون الثاني ١٩٤٩م .
- ١٠ - الامتاع والمؤانسة - لأبي حيان التوحيدي ط ٢ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر .
- ١١ - الأنساب - لأبي سعيد عبد الكريم بن السمعاني .
- ١٢ - الانصاف في مسائل الخلاف - لأبي البركات ابن الانباري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- ١٣ - ابن جني أبو الفتح عثمان - مجلة المقتطف المجلد ١١١ الجزء ٣ سنة ١٩٤٧ بقلم عبد الله أمين .

١٤ - أبو حيان التوحيدى - حياته وآثاره ومروياته - لحسن السندوبى طبع
في اول كتاب (المقابسات) .

١٥ - أبو حيان التوحيدى - سيرته - آثاره - للدكتور عبدالرزاق محي الدين
سنة ١٩٤٩ .

١٦ - أبو علي الفارسي - للدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ،
١٧ - أبو الفتح بن جني - مقالات متسلسلة في مجلة المجمع العلمي العربي
المجلد الرابع والعشرون ، المجلد الثلاثون ، المجلد الحادي والثلاثون ، المجلد
الثاني والثلاثون .

١٨ - أثر اللغات السامية في اللغة العربية - للشيخ عبدالقادر المغربي مجلة
مجمع اللغة العربية ج ٨ .

١٩ - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - للمقدسي ط ٢ طبع في مدينة ليدن .
٢٠ - احياء النحو - لابراهيم مصطفى - القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر سنة ١٩٥٩

٢١ - اخبار الراضي بالله والمتقي لله - من كتاب الأوراق للصولي ،
٢٢ - اخبار النحويين البصريين - لأبي سعيد السيرافي ط ١ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
٢٣ - أسرار العربية - لابن الانباري - تحقيق محمد بهجة البيطار مطبعة الترقى
بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

٢٤ - أسرار العربية - لاحمد تيمور باشا - مطابع دار الكتاب العربي
بمصر ط ١

٢٥ - أطلس التاريخ الاسلامي صنفه هاري . و . هازارد . ترجمه وحققه
ابراهيم زكي خورشيد .

٢٦ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للامام فخرالدين الرازي مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م ،

٢٧ - أعين على الشريعة - للسيد محسن الأمين ج ٣٩ ط ١ - مطبعة الانصاف
بيروت ١٩٥٦ م .

٢٨ - أغلاط اللغويين الاقدمين - للأب أنستاس الكرمل - طبع في بغداد
١٩٣٢

٢٩ - انباه الرواة على أنباه النحاة - للقفطي - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

٣٠ - البداية والنهاية - لابن كثير .

٣١ - البصائر والذخائر - لأبي حيان التوحيدي ط ١ القاهرة ١٩٥٣ م حققه
وعلى عليه أحمد أمين ، السيد أحمد صقر .

٣٢ - بغية الوعاة - للسيوطي .

٣٣ - تاج العروس - شرح القاموس - لمحب الدين الزبيدي الحنفي .

٣٤ - تاريخ آداب العرب - لمصطفى صادق الرافعي .

٣٥ - تاريخ آداب اللغة العربية - لجرجي زيدان - مطبعة الهلال سنة ١٩٣٠ .

٣٦ - تاريخ أبي الفدا .

٣٧ - تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري .

٣٨ - تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

٣٩ - تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ط ٤ ١٩٥٨

٤٠ - تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي .

٤١ - تاريخ الحكماء - لعلي بن يوسف القفطي .

٤٢ - تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان ط ٣ ١٩٦١ ترجمة الدكتور

نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي .

٤٣ - تاريخ الملاة ابن خلدون - المجلد الاول . دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .

٤٤ - تاريخ علوم اللغة العربية - لطفه الراوي .

٤٥ - تاريخ الفلسفة في الاسلام - للاستاذت . ج . دى بور ترجمة دكتور
محمد عبد الهادي أبو ريده ط ٤ ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

٤٦ - تاريخ اللغات السامية - للدكتور اسرائيل ولفنسون .

٤٧ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - للحسين بن المبارك الزبيدي .

٤٨ - تحقيقات معجمية - لمرجعي الدومنيكي - مجلة المجمع العلمي العربي

المجلد الرابع والعشرون ١٩٤٩

٤٩ - ترجمة ابن هشام - مقدمة مغني اللبيب .

٥٠ - التصريف الملوكي - لابن جني - نشر . طبعة شركة التمدن الصناعية بمصر

نمرة ٢٤ ط ١

٥١ - تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية - للقس طربيا العنيس الحلبي

اللبناني ط ٢ سنة ١٩٣٢

٥٢ - التمام في تفسير أشعار هذيل مما اغفله السكري - لابن جني تحقيق وتقديم

احمد ناجي القيسي وخديجة عبدالرزاق الحديثي ، احمد مطلوب - مطبعة العاني - بغداد

ط ١ ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

٥٣ - تمهيد وتصدير كتاب اخبار النحويين البصريين - لمحمد عبد المنعم

خفاجي وطه الزيني .

٥٤ - التنبيه والاشراف - للمسمودي .

٥٥ - تهذيب الأسماء واللغات - للحافظ ابي زكريا محيي الدين النووي .

٥٦ - جمهرة اللغة لابن دريد ط ١ . طبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر

آباد الدكن ١٣٤٤ هـ .

٥٧ - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل .

٥٨ - حاشية الصبان على شرح الأشموني .

٥٩ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - لآدم متز نقله الى العربية
محمد عبدالمهدي أبو ريدة ط ٢ ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

٦٠ - خزانة الادب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر المعروف بابن حجة
الحموي :

٦١ - الخصائص - لابن جني - بأجزاء ثلاثة - تحقيق محمد علي النجار مطبعة
دار الكتب المصرية .

٦٢ - الخليل بن أحمد الفراهيدي - لمهدي المخزومي - مطبعة الزهراء
بغداد ١٩٦٠

٦٣ - دائرة المعارف الإسلامية-المجلد الاول-ترجمة محمد ثابت الفندي ١٩٣٣
٦٤ - دائرة المعارف - لبطرس البستاني - المجلد الاول بيروت سنة ١٨٧٦ .
٦٥ - دائرة المعارف - بادارة فؤاد افرايم البستاني - المجلد الثاني بيروت
سنة ١٩٥٨

٦٦ - دراسات في العربية وتاريخها - لمحمد الخضر حسين ط ٢ ١٣٨٠ هـ -
١٩٦٠ م .

٦٧ - دراسات في العصور العباسية المتأخرة - للدكتور عبد العزيز الدوري
شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة - بغداد سنة ١٩٤٥

٦٨ - دراسات في اللغة - للدكتور ابراهيم السامرائي - بغداد ١٩٦١ مطبعة
العامي

٦٩ - دلائل الاعجاز-لعبد القاهر الجرجاني- ط ٣-اصدرتها دار المنار بمصر.

٧٠ - دمية القصر وعصرة أهل العصر-للباخرزي ط ١ - المطبعة العلمية-حلب

٧١ - ديوان الشريف الرضي - المجلد الثاني - طبع بيروت ١٣٨٠ هـ

٧٢ - الذريعة الى تصانيف الشيعة - لأغا بزرك الطهراني ١٩٤٨ م - ١٣٦٧ هـ

٧٣ - الرد على النحاة - لابن مضاء القرطبي - تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ١

- ٧٤ - روضات الجنات - لمحمد باقر الموسوي الخوانساري
- ٧٥ - سر صناعة الاعراب لابن جني - تحقيق لجنة من الاساتذة ط ١ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ط ١ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٧٦ - سر صناعة الاعراب (القسم المخطوط) لابن جني مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٨٥١٦ هـ .
- ٧٧ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي :
- ٧٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .
- ٧٩ - شرح الاشموني على الفية ابن مالك - دار احياء الكتب العربية .
- ٨٠ - شرح الرضي على الكافية .
- ٨١ - شرح شذور الذهب - لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محي الدين هبداحميد .
- ٨٢ - شرح (كتاب اللمع لابن جني) لسعيد بن الدهان مخطوطة مصورة بدائرة اللغة العربية بجامعة بغداد .
- ٨٣ - شرح المفصل لابن يعيش .
- ٨٤ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - تأليف شهاب الدين أحمد الخفاجي ط ١ سنة ١٣٢٥
- ٨٥ - الصحاح - للجوهري .
- ٨٦ - ضحى الاسلام - لاحمد أمين .
- ٨٧ - ظهر الاسلام - لاحمد أمين .
- ٨٨ - العبر في خبر من غبر للذهبي - طبع الكويت - ١٩٦١
- ٨٩ - العربية ليوهان فك - دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٩٠ - عقود الهمز مع رسالتين لأبي الفتح بن جني - المطبعة العربية بمصر ١٩٢٣ م .

- ٩١ - علم اللغة - للدكتور علي عبدالواحد وافي ط ٣/١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
 ٩٢ - العين - طبع بغداد في مطبعة دار الايتام ١٩١٤
 ٩٣ - غاية النهاية في طبقات القراء - لابن الجزري ط ١/١٩٣٢ م .
 ٩٤ - فتح الباري - لابن حجر العسقلاني - المطبعة الخيرية .
 ٩٥ - الفخري في الآداب السلطانية - لابن طباطبا - مطبعة المعارف - مصر

سنة ١٩٢٣

- ٩٦ - الفصل في المال - لابن حزم الظاهري .
 ٩٧ - فقه اللغة - للدكتور علي عبدالواحد وافي ط ٤ - مطبعة لجنة البيان

العربي سنة ١٩٥٦

- ٩٨ - الفلسفة اللغوية - لرجي زيدان ط ٣ .
 ٩٩ - الفهرست - لابن النديم .
 ١٠٠ - الفهرسة لأبي بكر بن خير الاندلسي ط ٢/١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
 ١٠١ - في أصول النحو - لبراهيم مصطفي - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ .
 ١٠٢ في اللهجات العربية - للدكتور ابراهيم انيس ط ٢ - مطبعة لجنة البيان
 العربي .

- ١٠٣ - القاموس المحيط - لمجد الدين الفيروزادي .
 ١٠٤ - قرار الاحتجاج بالحديث الشريف - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٤ .
 ١٠٥ - القواعد النحوية - لعبد الحميد حسن ط ٢/١٩٥٢ م .
 ١٠٦ - الكامل - لابن الاثير .
 ١٠٧ - كتاب تجارب الامم لأبي علي احمد بن محمد المعروف مسكويه -

ليدن ١٩١٧

- ١٠٨ - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة .
 ١٠٩ - الكنى والالقباب - للشيخ عباس القمي مطبعة الجيدرية النجف ،

- ١١٠ - لِبَاب الآداب - للأمير اسامة بن منقذ ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
١١١ - اللباب في تهذيب الانساب - لابن الاثير .
١١٢ - لسان العرب - لابن منظور .
١١٣ - لسان الميزان - لابن حجر العسقلاني ط ١
١١٤ - اللغة - ج . فندريس تعريب عبد الحميد الدواخلي ومجد القصاص
سنة ١٩٥٠

- ١١٥ - اللغة العربية كائن حي - لجرجي زيدان .
١١٦ - اللغة والنحو - للدكتور حسن عون ط ١ ١٩٥٢ م
١١٧ - لمع الادلة - لابن الانباري مع رسالة الاغراب له .
١١٨ - ما يحتاج اليه الكاتب - لابن جني مع رسالتين له - المطبعة العربية بمصر :
١١٩ - المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة - لابن جني - دمشق
مطبعة الترقى عام ١٣٤٨
١٢٠ - محاضرات الاساتذة كمال ابراهيم في النحو العام على طلبية
قسم الماجستير .
١٢١ - محاضرات تاريخ الامم الاسلامية - للشيخ محمد الخضري بك
ط ٩/٩ ١٩٥٩

- ١٢٢ - محاضرات عن مشكلاتنا حياتنا اللغوية - لأمين الخولي ١٩٥٨
١٢٣ - المحتسب لابن جني مخطوطة مصورة بدائرة اللغة العربية ببغداد .
١٢٤ - المختار من كتاب حسن المحاضرة اختيار مجد محمود صبيح وزارة
الثقافة والارشاد القومي .

- ١٢٥ - مدرسة القياس في اللغة - لأحمد أمين - مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ .
١٢٦ - مدرسة الكوفة - الدكتور مهدي المخزومي ط ٢ ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م .
١٢٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان - للياضي .

١٢٨ - مراتب النحويين - لعبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي . مطبعة نهضة

مصر ٤

١٢٩ - مروج الذهب - للمسعودي - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط ٣

سنة ١٩٥٨

١٣٠ - المزهر - للسيوطي ط ٤/١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .

١٣١ - معجم الأدباء - لياقوت .

١٣٢ - معجم البلدان لياقوت الرومي بيروت ١٩٥٧

١٣٣ - المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور

الجوابي ط ١

١٣٤ - مغنى اللبيب - لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

١٣٥ - مفاتيح العلوم - للشيخ أبي عبدالله الخوارزمي - مطبعة الشرق مصر.

١٣٦ - مفتاح السعادة - للمولى أحمد بن مصطفى المسمى طاش كبري زاده .

١٣٧ - المفصل في قواعد اللغة السريانية - لمحمد عطية الابراشي ، الدكتور

علي العناني ليون محرز ط ١ المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٥ م .

١٣٨ - المقابسات - لأبي حيان التوحيدي - تحقيق وشرح حسن السندوبي

ط ١ سنة ١٩٢٩ م .

١٣٩ - المقتضب من كلام العرب - لابن جني - المطبعة العربية بمصر :

١٤٠ - مقدمة كتاب الخصائص - لمحمد علي النجار .

١٤١ - مقدمة في أصول التفسير - لشيخ الاسلام ابن تيمية - المطبعة السلفية .

١٤٢ - الملل والنحل - للشهرستاني - الناشر مكتبة الانجاء المصرية .

١٤٣ - من اسرار اللغة - للدكتور ابراهيم انيس :

١٤٤ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي .

١٤٥ - المنصف شرح التصريف - لابن جني ب ٣ أجزاء الطبعة الأولى تحقيق

ابراهيم مصطفى وعبدالله امين .

- ١٤٦ - منية الأدباء في تاريخ الموصل الحذباء - لياسين بن خير الله الخطيب
العمرى تحقيق ونشر سعيد الديوهجي . مطبعة الهدف - الموصل سنة ١٩٥٥
- ١٤٧ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين بن تغري بردي
١٤٨ - نحو التيسير - الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى - مطبوعات جمعية
نشر العلوم والثقافة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ١٤٩ - نزهة الألباء في طبقات الادباء - لابن الانبارى .
- ١٥٠ - نشأة النحو - للشيخ محمد الطنطاوي ط ٤ ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- ١٥١ - النشر في القراءات العشر - لابن الجزري .
- ١٥٢ - نشوء اللغة العربية - للأب انستاس الكرملي طبع في المطبعة المصرية
سنة ١٩٣٨
- ١٥٣ - نظرات في اللغة والنحو - لطفه الراوى - منشورات المكتبة الاهلية
بيروت ط ١ سنة ١٩٦٢
- ١٥٤ - الوزراء - لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابى تحقيق عبدالستار أحمد
فراج سنة ١٩٥٨
- ١٥٥ - وفيات الأعيان - لابن خلكان .
- ١٥٦ - هدية العارفين - لاسماعيل باشا البغدادى استانبول سنة ١٩٥١
- ١٥٧ - همع الموامع شرح جمع الجوامع - للسيوطي .
- ١٥٨ - بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - لأبي منصور الثعالبي تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد .

فهرس الاعلام

- أ -

- ابراهيم بن احمد القرميسيني ٣٠
ابراهيم انيس ٢٦٠ ، ٢٩٦
ابراهيم بن محمد ١٢٦
ابراهيم بن علي (بن هرمة) ١٠٠
ابراهيم الفارابي ١٦
ابراهيم مصطفى ٩٧
ابراهيم بن المقتدر (المتقي لله) ٩ ، ١٠ ، ١١
الايوردي ٧١
ابن الاثير ٩ ، ١٩ ، ٢٥
احمد بن أبي الاشعث ٢١
احمد بن ابي بكر العبدى ١٠٦
أحمد أمين ٣٢ ، ٦٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤
أحمد بن بويه (معز الدولة) ٨ ، ١٨ ، ٣٧ ، ٥٧
أحمد بن حنبل ١٧
أحمد بن علي الرازي ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٠
أحمد بن مجد (ابو سهل القطان) ٢٩
أحمد بن مجد المرزوقي ٧١
أحمد بن مجد الموصللي (الأخفش) ٢٩
ابن أحرر الباهلي ١٣٦ ، ١٣٧
ابن الأخشيد ١٠٥
الأخفش (ابو الحسن) ٧٤ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤

٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٥ ، ٢٨٩ ، ٢٧٥

الأخفش الأكبر ٩٨

الأخفش الصغير ٣٢١ ، ٣٢٢

الأزهري ١٦ ، ٣٣

أبو إسحاق الزبدي ٣١٩

أبو إسحاق الصابي ٥٦

أبو إسحاق القمي ٢٦

أسعد بن نصر العبرتي ٨٩

إسماعيل بن المؤمل ٢٢

إسماعيل بن نصر ٢٨٩

الاشموني ٩٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢

الاصمعي ٧٤ ، ١٢٦ ، ١٧٦ ، ٣١٦

ابن الأعلم ٣٣

الأعشى ١٢٨

ابن الأنباري ٣٤ ، ٣٥ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ،

٣٠١

أنستاس الكرملي ١١٣

- ب -

ابن بابشاذ ٨٩

الباخرزي ٥١ ، ٦٤ ، ١٢٤

بجسك ١١

البيحري ٢٢٥

البخاري ٥٤ ، ١٤٧

بدر الدين العيني ٩٠
بديع الزمان الهمذاني ١٦
بروكلمان ٢٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٤٦
ابن برهان ٣٢١ ، ٣٢٣
ابن بري ١٣٤
بشار بن برد ١٠٠ ، ١٣٦
بشر بن هرون ٢٤
ابو بكر الخفاف المالقي ٩٠
ابو بكر الخياط ٣٢ ، ٣٢١
ابو بكر بن شاذان ٨١
ابو بكر بن شقيب ١٨٥
ابو بكر بن مجاهد ٣٢ ، ١٠٣
ابو بكر المصحفي ٢١
بندي جوزي ١٢١ ، ١٢٢
بهاء الدولة ٢٤ ، ٥١
البيروني ١١

- ت -

تأبط شرآ ٢٥١ ، ٢٧٠
نوزون ١٠

- ث -

ثابت بن محمد الجرجاني ٢١ ، ٨١ ، ٨٧
الثعالبي ٦٤
ثعلب (احمد بن يحيى) ٢٨ ، ٢٩ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،

٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٣١٨

- ج -

جر جي زيدان ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩

الجرمي ٣٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ٣١٥

جرير ٤٤

الجزولي ٣١٨

ابو جعفر الطبري ١٨٥

جعفر بن محمد بن الحجاج ٣٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧

جني ٢١ ، ٢٣

الجواري (أحمد) ٢٠٣ ، ٢٠٤

الجوهري (اسماعيل بن حماد) ١٦ ، ٣٣ ، ٨٢ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٠٦

- ح -

ابو حاتم ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥

ابو حامد الاسفراييني ٢٩

حبشي بن معز للدولة ١٥

حسن ابراهيم ١٧

ابو الحسن الاشعري ١٧

ابو الحسن البريدي ١١

الحسن البصري ٦٠

الحسن بن بويه ٨

الحسن بن الحسين ٣٨

ابو الحسن الطرائفي ٤٩

الحسن بن عبد الله (ناصر الدولة) ١٩ ، ٢٠ ، ٣٧

الحسن بن علي بن ابي طالب ٥٥ ، ٥٦
حسن عون ٩٦

الحسين بن احمد بن نصر ٢٨ ، ٨٦

الحسين بن حماد ١٠٣

ابو الحسين الزعفراني ٣٣

ابو الحسين الصوفي ٣٣

الحسين بن علي بن ابي طالب ٥٥ ، ٥٧

ابو الحسين القمي ٢٦

الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ١٠٣

الخطبة - ١٧٦

حماد الراوية ١٣٢

حمزة الزيات ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٨٣

ابو حنيفة ٦١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٤٣

ابو حيان التوحيد ٥١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٨٧

ابو حيان ٣٢٤

- خ -

ابن خالويه ١٦ ، ٩٩ ، ١٠٣

ابن خروف ١٣٤ ، ٣١٧

ابن الخشاب النحوي ٩٠ ، ١٠٨

الخطيب البغدادي ٨١

الخطيب التبريزي ٩٠

الخفاجي ٨٢

ابن خلدون ٦٤ ، ٩٥ ، ١٦٦ ، ٢٣٧

خلف الأحمر ٤٣

ابن خلكان ٣٥ ، ٨٦

الخليل بن احمد ٦٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٣١٨

ابن خنزابة ١٠٧

ابن خير ٨٦

- د -

ابن درستويه ٧٤ ، ١٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٥٩

ابن دريد (محمد بن الحسن) ١٦ ، ٣١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ٢٥٠

دي بور ٩٦

ديودورس ١١١

- ذ -

ذو الرمة ٢٢٥

الذهبي ٤١

- ر -

الرازي ١٢

الرؤاسي ٩٨

رؤبة ٢٦٣

رجاء بن حيوة ١٣٢ ، ١٣٣

الرشيد (هرون) ٩٩ ، ١٨٥ ، ١٨٦

رضي الدين الاستراباذي ١٩٢ ، ١٩٩

ابن الرومي ٦٧ ، ١٤٠

رويشد بن كثير الطائي ١٧٦

الرياشي ٩٨ ، ٢٥٧ ، ٣٢٢

- ٣٤٧ -

- ز -

الزبيدي ٢٥٠

الزجاج (ابو اسحاق) ١٦ ، ٣٢ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٧٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

٢٨٩ ، ٣٢٢

الزجاجي (ابو القاسم) ١٦ ، ٨١ ، ٢٨٩

الزمخشري ٣٢٣

زياد بن ابيه ٩٦ ، ١٠٠

ابو زيد ٤٢ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ، ٢٥٦

- س -

السري الرفاء ١٦ ، ٢٠

ابن سعدان ٩٨

سعيد بن الدهان ٨٩

ابو سعيد السكري ٢٩

السلامي (ابو الحسن) ١٦ ، ٢١

ابن سلمة ٣١٩

الساييل بن احمد (ابو صالح) ٣٠

سليمان بن الحسن ١١

سليمان بن فهد الازدي ٢١ ، ٢٣

ابو سليمان المنطقي (محمد بن طاهر) ١٤٥ ، ١٨٧

ابن السمعاني ٢٢

السهيلى ١٣٤

سيبويه ج ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ،

١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٣١٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ،
٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٦١ ، ٣٢٢

ابن سيدة ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٣٤
السيرافي (ابو سعيد) ٣٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

ابن سيرين ٦٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣
سيف الدولة ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٠
السيوطي (جلال الدين) ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٤٤ ، ١٨٦

- ش -

الشافعي ٢٩
شرف الدولة ٢٤
الشريف الرضي ١٦ ، ٢٦٢٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٥
الشريف المرتضى ٥١ ، ٥٧
شاذلي (عبدالفتاح) ٤٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٩٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨
الشلوبين ٣٢١
الشيخ جنيد ٢٦
شيشرون ١١١

- ص -

الصاحب بن عباد ١٥ ، ١٦
صمصام الدولة ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦
الصولي ١١

- ط -

ابو طالب العبيدي ٣٢ ، ٣٣

أبن طاهر ٣١٨

ابو طاهر القرمطي ٧

الطبري ١٦

ابن الطراوة ١٨٩

ابن طنج ٧

الطوال ٩٨

طه الراوي ٥١، ٦٦، ٩٦، ١٣٢، ٢٤٦، ٢٥٧

- ظ -

ظالم بن عمرو (ابو الاسود الدؤلي) ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٣٠

- ع -

عاصم (بن ابي النجود) ١٢٦، ١٣١

عال (بن عثمان بن جني) ٢٥

ابن عامر (اليحصبي) ٢١٦

عامر بن جوين الطائي ١٧٥

العباس بن الحسين ١٣

ابن عباس ٥٥

عبد الرحمن بن هرمز ٩٥، ٩٦، ٩٨

عبد الرزاق ١٤٧

عبد السلام بن الحسين البصري ٨٠، ٨١

عبد العزيز الازجي ٨٠

عبد القاهر الجرجاني ٧١، ٧٧

عبد الله بن ابي اسحاق ٩٧، ٩٨

عبد الله أمين ٣٦

عبد الله بن الحسين العكبري ٨٩
 عبد الله بن حمدان (ابو الهيجاء) ١٩ ، ٢٠
 عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني ٥١
 عبد الله بن علي (المستكني بالله) ٩ ، ١٠ ، ١١
 عبد الله بن محمد بن منان الخفاجي ٨٢
 عهد الملك بن بكر النهرواني ٣٣
 عبد مناف ٢٢٨
 عبد الواحد بن علي (ابو الطيب اللغوي) ٩٥ ، ١٢٦
 عبد الواحد بن نصر (البيهقي) ٢١
 ابو عبيد (حربويه) ١٠٣
 العجاج ٣٩
 ابن عصفور ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٣
 عضد الدولة ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٤ ، ١٦٠
 علاء بن عثمان بن جني ٢٥
 علي بن ابي طالب ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٥ ، ١٠٠
 علي بن بويه ٨
 ابو علي الجواني ٥٦
 علي بن الحسن (شميم) ٩٠
 علي بن الحسين (ابو الفرج الاصفهاني) ٢٩ ، ٩٥
 علي بن زيد القاشاني ٨١
 هلي بن عبيد الله السمسمي ٨٠
 علي بن عثمان بن جني ٢٥
 علي بن عمرو (ابو الحسن) ٣٠
 علي بن عيسى الربعي ٣٣ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٨١ ، ٩٩ ، ٣١٧

علي بن عيسى الرماني ١٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ٣٢٤،
أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد) ب، ج، ١٦، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٩،
٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،
٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٨،
٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٢٧، ١٥٠،
١٦٠، ٢١٣، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨،
٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣

أبو علي القالي ١٦

علي بن كردان ١٠٦

علي بن محمد بن الحسن المالكي ٣٣

علي بن المستنير ١٠٣

عمار الكلبي ١٦٨

عمران بن حطان ١٤٧

عمر بن إبراهيم الكوفي ٨٩

عمر بن ثابت الثماني ٧٩، ٩٠

عمر بن الخطاب ٥٩، ١٠٠

عمر بن عبد العزيز ١٨

أبو عمرو بن العلاء ٩٧، ٩٨، ١٢٩، ١٧٦، ٢٧٥

عنيسة الفيل ٩٨

عيسى بن عمر ٩٧، ٩٨، ٢٥٦

- غ -

غصن ١٤٨، ٢٣٢

- ف -

الفارابي ١٦، ٢٠

بن فارس ١٦ ، ١٣٤ ،

الفاكهى ٢٩٤

فؤاد البستاني ٣٥ ، ٢٤٥

ابو الفدا ٣٧ ، ٤٠

الفراء ٩٨ ، ٩٩ ، ١٨٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣

ابو فراس الحمداني ١٦

ابو الفضل بن العميد ١٥ ، ١٦

ابو الفضل بن المأمون ٨١

- ق -

القادر بالله ١٧ ، ٢٥ ، ٨٠ ، ٨١

ابو القاسم الاشعري ١٦

ابو القاسم التنوخي ٣٣ ، ١٠٦

القاسم بن مجد ١٣٢ ، ١٣٣

القاسم بن مجد الواسطي (ابو مضر) ٨٩

قتادة ١٤٧

ابن قتيبة ٩٥

قطرب ٩٨ ، ٢٩٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧

- ك -

كافور ٥٠

الكسائي (علي بن حمزة) ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧١ ، ٣١٧ ، ٣٢٢

كشاجم (محمود بن الحسين) ١٦ ، ٢١

كمال ابراهيم ٩٦

كولد تسهیر ۵۸

ابن کیسان ۳۲۱

- ل -

لبید ۱۷۶

الخیانی ۹۸

اللیث بن نصر ۱۱۳

- م -

المازنی (ابو عثمان) ۴۲ ، ۹۲ ، ۹۸ ، ۱۱۹ ، ۱۵۰ ، ۱۵۴ ، ۱۷۱ ، ۱۷۵ ،

۱۷۹ ، ۲۷۳ ، ۲۷۵ ، ۲۸۸ ، ۳۰۲ ، ۳۱۸ ، ۳۱۹

ابن مالك (محمد بن عبد الله) ۱۳۴ ، ۱۵۵ ، ۳۱۵ ، ۳۱۷ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲

المأمون ۹۹

ابن ماكولا ۲۸ ، ۶۹

المبرد (محمد بن يزيد) ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۲ ، ۹۸ ، ۹۹ ، ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۲۸ ،

۱۳۹ ، ۱۵۲ ، ۱۶۳ ، ۲۴۶ ، ۲۵۰ ، ۲۵۳ ، ۲۵۵ ، ۲۶۳ ، ۲۷۳ ، ۲۷۵ ، ۲۸۳

۳۲۱ ، ۳۲۳

مبرمان ۳۰ ، ۱۰۳ ، ۲۵۰ ، ۳۱۹

متر ۵۸ ، ۶۶ ، ۸۲

المتنبی ب ۱۶ ، ۲۰ ، ۲۴ ، ۳۲ ، ۳۸ ، ۴۷ ، ۴۹ ، ۵۰ ، ۶۴ ، ۶۹ ، ۸۵ ،

۱۳۹ ، ۱۶۵ ، ۱۶۷ ، ۲۴۰

المتوکل ۱۷ ، ۹۹

محمد بن احمد بن عمر الخلال ۱۰۶

محمد بن ابی الازهر ۱۰۳

محمد بن اسحاق التمار ۸۰

محمد اسعد طلس ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ٢٤٧ ،
٢٥٩ ، ٢٤٨

محمد بن الياس ٧

محمد بن حبيب ٩٢

محمد بن الحسن (ابن مقسم) ٢٨ ، ٢٢٣

محمد بن الحسن الزوزني ٥٢

محمد بن الحسن الشيباني ٦٠ ، ٩١ ، ٤٣ ، ١٨٦ ، ١٩٩

محمد بن الحسن النقاش ٢١

محمد الخضر حسين ٢٦٠

محمد بن السري الصراج (ابو بكر) ١٦ ، ٣٢ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٤١ ، ١٥٦ ، ٢١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٠ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢١ ، ٣٢٢

محمد بن سلمة ٣٠

محمد الطنطاوي ١٦٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦

محمد بن العباس اليزيدي ٢٩

محمد بن العساف العقيلي الشجري ٣١ ، ١٠٠ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢٣٢ ، ٢٦٩

محمد بن عبدالله بن شاهويه ٨٢

محمد بن عبد الواحد ٣٣

محمد بن علي بن حوقل ٢١

محمد بن علي بن القاسم الذهبي ٣٠

محمد بن علي المراغي ٣٠

محمد بن عمر الصيمري ١٠٢ ، ١٠٣

محمد بن فورجة ٥١

محمد بن القاسم الانباري (ابو بكر) ١٦

محمد بن محمد ٣٠
محمد بن المعتضد (القاهر) ٩ ، ١٠
ابو محمد بن معروف ١٠٣
محمد بن نصر ١١٩
محمد بن يزيد ١٨٥
ابن محبصن ١٢٨
المرادي ٧٤
المرزبان بن محمد ١٠٧
المسعودي ١٠ ، ١١
مسلم بن الحجاج ١٤٧
مصطفى صادق الرافعي ٩٦ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩
ابن مضاء القرطبي ج ، ١٤٤ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣
المطيع (الفضل بن جعفر) ٩
المعتضد ٣٢
المفضل ٣١٩
المقتدر ١٠ ، ٣٢
المقدسي ١٥ ، ١٨
المقرزي ٥٥
ابن مقلة ١٠
المكتفي ٨ ، ٩ ، ٢٠
المنصور ١٠ ، ٢٩
ابو موسى الاشعري ١٠٠
موهوب بن الخضر الجواليقي ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٢٢
المهدي ١٨

- ن -

النجار (مجد) ٣٠ ، ٣٨ ، ٥٨ ، ٧٥

ابن النجار ٢٩

ابن النحاس ٨٧

ابن النديم ١٦ ، ٣٧ ، ٢٥

نصر بن احمد الساماني ٧

نصر بن عاصم ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

نصر الله بن الاثير ٨٢

النمر بن توليت ٢٣٩

ابو نواس ٨٥

نوح بن نصر ١٠٧

النووي ١٣٣

- و -

للوأواء الدمشقي ١٦

ابو الوفاء ١٦

ابن وكيع ٩٣

ابن ولاد ٣١٨

- ه -

الهراء ٩٨

هشام بن عبد الملك ٢٩

ابن هشام ج ، ٦٤ ، ١٣٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٩

ابو هلال العسكري ١٦

- ي -

ياقوت ٢٧، ٣٥، ٣٧، ٥٠، ٦٤، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٢، ١٠٩، ١١٩، ١٢٤

يحيى بن طباطبا ١٠، ٨٠

يحيى بن يعمر ٩٥، ٩٨

اليزيدي ٩٨

يعقوب (ابن السكيت) ٤٢، ٤٥، ٨٧، ٨٨، ٩٨، ٢٢٦

يعقوب الحضرمي ١٢٦

ابو يعلى (احمد بن علي) ٢١

ابو يوسف ١٨٥

يونس بن حبيب ٩٧، ٩٨

• * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	أ
الباب الاول - عصره ونشأته	٧
لمحة تاريخية	٧
الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية	٧
الحالة العلمية	١٣
الحالة الدينية	١٦
الموصل - بلده	١٨
حالاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية	١٨
اسمه ونسبه	٢١
نشأته وسماته	٢٣
أخلاقه وسيرته	٢٦
الباب الثاني - ثقافته وآثاره	٢٨
ابو علي الفارسي	٣١
اتصاله به واخذه عنه	٣٤
آثره فيه	٤٥
مع المتنبي	٤٧

الموضوع	الصفحة
شرحه لديوانه	٥٠
اعتزاله	٥٢
هل كان شيعياً ؟	٥٥
أ كان شعوبياً أم مفضلاً للعرب على غيرهم ؟	٦١
مكانته العلمية	٦٤
الثقة فيه	٦٧
ادبه - شعره ونثره	٦٩
شعره	٦٩
اسلوبه ونثره	٧٠
مآخذ وملاحظات	٧٢
تلامذته	٧٨
الشريف الرضي	٧٨
عمر بن ثابت الثميني	٧٩
أبو أحمد عبد السلام البصري	٨٠
أبو الحسن السمسعي	٨٠
ثابت بن محمد الجرجاني الاندلسي	٨١
علي بن زيد القاشاني	٨١
تلامذة آخرون	٨٢
أثره في الكتب بعده	٨٢
آثاره	٨٣
الباب الثالث - دراساته وموقفه من الشواهد	٩٥
التطور النحوي من اوليته الى عصره	٩٥

الموضوع	الصفحة
عصره وفساد الالسنه فیه	٩٩
أشهر النحویین فی عصره	١٠٢
ابو سعید السیرافی	١٠٢
علی بن عیسی الرمانی	١٠٥
أبو علی الفارسی	١٠٦
دراساته	١٠٩
فی اللغة والأصوات	١٠٩
فی التصریف	١١٨
فی النحو	١٢٣
الشواهد	١٢٤
أ - القرآن الکریم والقراءات	١٢٤
ب - الحديث النبوی	١٣١
ج - کلام العرب من شعر ونثر	١٣٥
الباب الرابع - جهودہ فی أصول النحو	١٤١
أصول النحو	١٤١
جهودہ فی اصول النحو	١٤١
أثر علم الکلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح	١٤٢
الحديث فیه	
أدلة الصناعة	١٤٧
١ - السماع (النقل)	١٤٧
٢ - القياس	١٤٩
٣ - الاجماع	١٥٢

الموضوع	الصفحة
٤ - عدم الظير	١٥٣
٥ - الحمل على الظاهر	١٥٤
٦ - استصحاب الحال	١٥٥
استدلالات اخرى	١٥٦
١ - الاستدلال بالتقسيم	١٥٦
٢ - الاستدلال الأولي	١٥٧
٣ - اسقاط الدليل	١٥٨
العلل	١٥٨
هل كانت العرب تلحظ العلل ؟	١٦٤
ما لاحظته العرب من العلل في كلامها	١٦٩
الباب الخاءس - اثر المنطق والفقه والعامل في دراساته	١٨٥
النحو - وية	
علم الكلام والفقه وأثرهما في النحو	١٨٥
العامل	١٩٢
العامل عند أبي الفتح ، موقفه منه	١٩٢
أنواع العامل عنده	١٩٤
١ - العامل اللفظي	١٩٥
٢ - العامل المعنوي	١٩٥
٣ - العوامل اللفظية المعنوية	١٩٧
١ - المصدر اللغوي	١٩٨
٢ - المصدر المنطقي أو الكلامي	١٩٨
٣ - المصدر الفقهي	١٩٩

الموضوع	الصفحة
من صفات وشروط العامل	٢٠٠
الباب السادس - عقليته ونهجه في كتبه وبحثه	٢٠٧
١ - التعليل والاسراف فيه	٢٠٧
٢ - التحليل	٢١٢
٣ - دقة ملاحظته	٢١٦
٤ - يلمح الاشارات الخاطفة	٢١٨
٥ - يلاحظ الحالة النفسية والمعنى	٢١٩
٦ - سعة نظره	٢٢٠
٧ - سعة صدره وعدم تعصبه	٢٢٢
٨ - ارتباط علوم اللغة والاستفادة من بعضها في الاستدلال على بعض	٢٢٣
٩ - عقلية قياسية منظّمة لاجتماعية ، يهتم بكليات المسائل اكثر من الجزئيات	٢٢٦
١٠ - ذهابه في تقليب الكلام والكلم على اوجهه المحتملة	٢٢٧
١١ - لم يكن مقلداً بل يستعمل عقله في الفهم	٢٣٠
١٢ - اختباره لما يسمع من الفصيح وثبته فيه	٢٣١
١٣ - ظهور المنطق عنده	٢٣٣
١٤ - اثر الاعتزال فيما يبحث	٢٣٣
١٥ - استعماله امثلة غير عملية أو فرضية للتدريب	٢٣٤
١٦ - هو وابن هشام	٢٣٧
١٧ - هو وابن مضاء	٢٤٠

الموضوع	الصفحة
الباب السابع - مذهب النحوي	٢٤٥
١ - الاختلاف فيه	٢٤٥
٢ - المدرسة البغدادية - نبذة مختصرة	٢٤٧
٣ - مذهب النحوي	٢٥٥
أ - اسس المدرسة البصرية	٢٥٦
ب - اصطلاحاته النحوية	٢٦٤
ج - مع من بعد نفسه ؟	٢٦٨
د - نماذج من دراساته في المسائل الخلافية	٢٧٦
الباب الثامن - نماذج من دراساته النحوية	٢٩١
الكلام	٢٩١
القول	٢٩١
النحو	٢٩٢
الاعراب	٢٩٤
البناء	٢٩٨
الفاعل	٢٩٩
المفعول	٣٠٠
المنوع من الصرف	٣٠١
نماذج اعرابية	٣٠٣
مبادئ عامة	٣٠٩
١ - في اللغة	٣٠٩
٢ - في الأصول	٣١٠
٣ - في النحو	٣١٢

الموضوع	الصفحة
نماذج من آرائه النحوية	٣١٤
أ - مما خالف فيه الجمهور	٣١٤
ب - مما خالف فيه سيبويه	٣١٧
ج - مما خالف فيه شيخه ابا علي الفارسي	٣١٨
د - مما وافق فيه شيخه	٣٢١
هـ - مما وافق فيه الكوفيين	٣٢٢
و - مسائل من اجتهاداته الخاصة	٣٢٤
خاتمة	٣٣٠
مراجع البحث	٣٣٢

* * *

تصويبات

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٩	١٥	جمادي	جمادى
٢٩	٥	بن	ابن
٢٩	٧	بن	ابن
٢٩	حاشية رقم (٣)	الفهرس - ت ١٧٢ - ١٧٣	وتاريخ بغداد ١١ / ٣٩٨
٣٠	٤	ابن	بن
٣٠	٧	ابي مجد	ابي بكر مجد
٣١	٢	بن	ابن
٣١	حاشية رقم (٧)	با	بسا
٣٢	١١	المتنبي	المتنبي
٣٣	٩	ولا هو .	ولا هو .
٣٧	٩	موضوعة .	موضوعة .
٣٨	٦	٢٢٠ هـ	٣٢٠ هـ
٤٠	١٠	عمرة	عمره
٤٧	٢	غربا	غربا
٤٨	حاشية رقم (٥)	المتنبي	المتنبي
٤٩	١	زائدين	زائدين
٤٩	١	كياي	كياي
٤٩	١٥	بن جنى	ابن جنى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩	١٥	بناظره	ميناظره
٥١	حاشية رقم (٧)		لسان الميزان ٤ / ٢٢٤
٥٢	٢	بن	ابن
٥٣	حاشية رقم (٢)	يتيمة	تيمية
٦٢	٤	انه	ابنه
٨٤	٧	بن جنفي	ابن جنفي
٨٤	١٢	البشري	البشري
٨٥	٩	الآسيوية	الآسيوية
٩٧	آخر سطر (هامش)	النحور	النحو
١٠٣	١١	بن	ابن
١٠٥	٧	بالاقناع	بالاقناع «
١٠٦	حاشية رقم (٧)	الامتناع	الامتاع
١٠٩	حاشية (سطر أخير)	(١)	(٤)
١٣٦	٢	بالنظوم	بالمنظوم
١٥١	سطر أخير	ما أجربه	ما أجوبه
١٥٥	١١	قصار	فصار
١٦١	٦	عصفور	عصفور
٢١١	١	مؤذر	مؤذن
٢١٤	٩	بجمراء	بجمراء
٢١٦	٨	ووأى	ووأى
٢١٧	٧	الفتور	الفتور
٢٣٦	١٠	لعفلن	لعفان

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٤٨	٥	انحاز	انماز
٢٤٩	١٦	بنظروا	ينظروا
٢٦٨	سطر أخير	والكافية	الكافية
٢٧٨	٢		رفع المبتدأ بالابتداء : جاء في (الخصائص) :
٢٨٠	٣	ن	أن
٢٩١	٤	وحسّ ولبّ	وحسّ ولبّ
٣٢٤	٣	الاشمولي	الاشموني

* * *

